



٢٤

البيان في المغرب

في أخبار الأندلس والمغرب

لابن عبد أري المراكشي

الجزء الرابع

تحقيق ومراجعة

الدكتور احسان عباس

حاد الثقافة

بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة

١٩٨٣

تقدير

هذه قطعة من كتاب ابن عذاري «البيان المغرب» تختص بعصر المرابطين في المغرب والأندلس ، وهي قطعة جلية الشأن في القاء أضواء على تلك الفترة التي فقدت أكثر مصادرها الأصلية ، وقد كانت أوراقاً عثر عليها الأستاذ ليثي بروفنسال ، ونشر منها الجزء الخاص باستيلاء السيد الكنبيطور على بلنسية ، ثم قام الأستاذ هويسى ميراندا بنشر سائرهما في مجلة « Hesperes » عام ١٩٦٠ .

ولما رأت دار الثقافة أن تعدّ كتاب ابن عذاري للنشر وتيسره للقارئ المشرقيّ في صورته المحققة ، عهدت اليّ بالقاء نظرة على هذا الجزء من البيان المغرب ، فصوّبت ما رأيته في حاجة الى التصويب ، وعلقت في حواشيه تعليقات لازمة موجزة ، ثم ذيلته بملحقات تسدّ بعض الخلل الواقع في هذه الأوراق وخاصة في أخبار يوسف بن تاشفين بين سنتي ٤٧٩ - ٤٩٥ ، راجياً بذلك كله تقديم العون للقراء والباحثين .

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

احسان عباس

[ابتداء أمر اللمتونيين]

[والموجب لخروجهم عن الصحراء إلى وطن المغرب أن أحد بني جدالة ^(١) ، ويعرف بيحيى بن ابراهيم من جدالة ، كان قد توجه لأداء فريضة الحج واجتاز في اياه ^(٢) على مدينة القيروان وذلك سنة ٤٤٠ هـ ، فحضر بها مجلس الفقيه المدرس أبي عمران الفاسي ^(٣) ، فسأله عن قبيلته ووطنه ، فذكر أنه من الصحراء من قبيلة جدالة ، إحدى قبائل صنهاجة ، فقال له الفقيه : ما مذهبكم ؟ فقال له : ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب ، لأننا في الصحراء منقطعين لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهال ، حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ولا علم عندهم] ^(٤)

-
- (١) جدالة (والجيم مصرية النطق) إحدى قبائل صنهاجة ، واخوتهم لمتونة ، وهم صحراويون وهم بطون ضخمة وبلادهم مما يلي أرض السودان (مفاخر البربر : ٥٢) .
- (٢) في مطبوعة الحلل : أيامه ، وهو خطأ ؛ وعند البكري : ولقي في صدره ، يعني في اياه .
- (٣) اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي التقى فيها يحيى بن ابراهيم بالفقيه أبي عمران ، بين ٤٤٠ . ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ (النويري ٢٢ : ١٧٢ وصبح الاعشى ٥ : ١٨٩ ، وابن الأثير ٩ ، ٢٥٨ والروض : ٧٦) وتنص المصادر على ان ابا عمران توفي سنة ٤٣٠ فلا بد ان يكون هذا اللقاء قد تم حسب رواية صاحب الروض (أي ٤٢٧ أو ٤٢٩) .
- (٤) هذا النص من الحلل له ما يقابله في المصادر الاخرى مع اختلاف في العبارة وتقارب في الدلالة (انظر الروض : ٨٠ والبكري : ١٦٥) .

... ويشتهرون ، وفينا اقوام على تعليم العلوم يحرصون ، وعلى التفقه في الدين من الله يرغبون ، [فمسي] يا سيدنا تنظر في من يتوجه معي الى بلادنا ليعلمنا ديننا ، فقال له الفقيه : « سوف اجتهد لك في ذلك ان شاء الله تعالى » ؛ فعرض الفقيه الامر على الطلبة هنالك ، فلم يجد احداً يوافقه على ذلك ، لأجل مشقة السفر البعيد والانقطاع في الصحارى ، فدل الفقيه على رجل من فقهاء الغرب الاقصى اسمه واجاج ^(١) ، فاعطاه كتاباً يوصله اليه يؤكد في الاجتهاد في ذلك عليه . فلما وصل يحيى بن ابراهيم الى اقصى المغرب وجده في موضع يقال له « ملكوس » ^(٢) واجتمع معه فيه ، واعطاه كتاب الفقيه ابي عمران ، فرحب به واكرمه ، وكلمه يحيى بما اراد ان يكلمه ، واعلمه بوصية الفقيه ابي عمران اليه ، وتوكيده عليه ، فاختر له شخصاً يقال له عبد الله بن ياسين ، فسار معه الى قبيلة جدالة ، فاجتمع عليه عندهم نحو سبعين شخصاً ما بين كبير وصغير من فقهاءهم ليعلمهم ويفقههم في دينهم ، فانقادوا له انقياداً عظيماً ووالوه ^(٣) في ابتداء الامر تكريماً ، واقاموا معه على ذلك مدة كبيرة ، واجتمع عليه منهم اعداد كثيرة ، الى ان امر عبد الله المذكور لقبائل جدالة بغزو قبائل لتونة ، فحاربهم جدالة حتى غلبوهم ودخلوا في دعوة عبد الله بن ياسين ، وغزوا معهم سائر قبائل الصحراء وحاربوهم ، فقوي امر جدالة وظهورهم الى ان مات يحيى بن ابراهيم .

وبقي فيهم عبد الله بن ياسين يمثلون كل ما به يأمرهم منقادين لامره ونهيه ، الى ان نقض عليه شخص منهم اسمه الجوهر بن سحيم ^(٤) شيئاً من احكامه

(١) الحلل : واكاك ؛ وفي نسخة بوجاج (أي يعرف بوجاج) فالاسم واكاك أو وجاج بالجيم المصرية واسم أبيه زلوان (كما في الحلل والروض) وزلوى (في البكري) .
(٢) كذا هو عند البكري أيضاً ، وفي الروض : « نفيس » .
(٣) اقرأ أيضاً : وأولوه .
(٤) سماء البكري : الجوهر بن سكتم ، وذكر أن اثنين من قومه شابعاه يقال لأحدهما إيار وللآخر ايتنكوا .

وجد فيها تناقضاً ، فتوافق مع بعض رجال من كبارهم فعزلوه من الرأي والمشورة ، وقطعوا منه ما لهم ، وانتهبوا داره وهدموها ، واخذوا ما كان فيها ، وخرج عبد الله بن ياسين منهم خائفاً منهم .

وكان امير لمتونة يومئذ يحيى بن عمر بن بولنكاين ^(١) اللتوني ، فرحل اليه عبد الله المذكور فتلقيه يحيى بن عمر بأحسن قبول من اقباله ، واخذ معه في اموره وأحواله ، فتوجه عبد الله بن ياسين الى شيخه واجاج الذي دخل يحيى ابن ابراهيم الجدالي عليه ، وقيل انه كتب ولم يتوجه بنفسه اليه ، فأعلمه بما جرى في جدالة ، وبيّن له امره معهم وحاله ، فشقّ على الشيخ واجاج المذكور ما أعلمه من ذلك فكتب الى بعض أشياخ جدالة يعاقبهم على ما صدر لعبد الله بن ياسين منهم وما بلغه من فعل المشغبين عليه وهو مقيم بينهم وأخذ في ذلك أخذاً كلياً عليهم ، وعاتب عتاباً شافياً اليهم ، لكونهم كانوا قد انقادوا اليه ، ثم انتقدوا ما شيعه عدوه عليه ؛ فلما وصل جواب الشيخ واجاج من أشياخ الجدالين المذكورين ، مستعذرين له على تقصيرهم في حقّ عبد الله بن ياسين ، أمره بالرجوع الى تلك القبائل الصحراوية وكتب لاشياخهم يعلمهم أن من خالفه قد خالف الجماعة .

بعض اخبار عبد الله بن ياسين مع لمتونة في ابتداء أمرهم

وذلك انه لما استقر عبد الله بن ياسين عند لمتونة انقادوا له واطاعوه ، واحتال على الذين شاغبوا عليه في جدالة فقتلهم ، وأمر بقتل من استوجب القتل عندهم ، فأجابته بعض القبائل الصحراوية ودخلوا في دعوته والتزموا السنة به ، وكان اشدّهم انقياداً له امير لمتونة يحيى بن عمر ، فكان يخرج معه

(١) البكري : يحيى بن عمر بن تلاجاجين . وفي صبح الأعشى : يحيى بن عمر بن واركوت .

مع قبائل لتونة لمحاربة بعض القبائل الذين لم يخرجوا تحت طاعته ، إلى أن نهضوا إلى قبيلة لمطة فسألوهم ثلث أموالهم ليطيّب لهم الثلثان الباقيان - كذا سنّ لهم عبد الله بن ياسين في الأموال المختلطة - فأجابوه إلى ذلك ودخلوا معهم في دعوته مدة كبيرة ، وتقدم يحيى بن عمر اللمتوني على قبيلة مسوفة وغيرها .

وكان عبد الله بن ياسين قد دخل بلاد الأندلس في دولة ملوك الطوائف فأقام بها سبعة أعوام ، وحصل فيها على علوم كثيرة ، ثم رجع إلى المغرب الأقصى فمر بتامسنا فوجد فيها أمماً لا تحصى أكثرهم تحت أمراء البرغواطية ، وكان عسكر أمراء برغواطية أكثر من ثلاثة آلاف ، وانضاف اليهم من سائر القبائل ، ما بين فارس وراجل ، أزيد من عشرين ألفاً من جراوة وزغاوة ومطغرة والبرانس وركونة وغيرها .

وكان أهل المغرب يتولون أمور بلادهم ، وأمراؤهم يتولون الإمارة بينهم ، إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه ، كما فعل ملوك طوائف الأندلس . فمرّ عبد الله بن ياسين ببلاد المصامدة بعد منصرفه من الأندلس فوجدهم يغيرون بعضهم على بعض يغنمون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون الحرم ولا يرجعون إلى طاعة إمام . فكان من عبد الله بن ياسين بعض الإلهام أن قال لبعضهم : « ألا تعرفون الله ربكم ومحمداً رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام » فقالوا له « نعم عرفنا الله ربنا ومحمداً نبينا - صلى الله عليه وسلم - » فقال لهم عبد الله : « فما لكم بدلتم وغيرتم ؟ هلا قدمت عليكم إماماً يحكم بينكم بشريعة الإسلام وبسنة النبي عليه السلام ؟ » فقال له بعض أشياخ المصامدة : « لا يرضى أحد منا ينقاد إلى حكم أحد من غير قبيله » فتركهم ورحل عنهم إلى بلاد جزولة فكان من أمره مع يحيى بن إبراهيم وجدالة ما تقدم ذكره . ثم رحل من جدالة إلى لتونة فانقادوا له وكان أميرهم يحيى بن عمر أشد انقياداً له كما تقدم ذكره . قال بعض المؤرخين في « المجموع المفترق » وفي كتب غير ذلك : أن بعد الأربعين والأربعماية قامت

قبائل في الصحراء من صنهاجة يعرفون ببني وارث وخلفهم لمتونة وجدالة وهم يحاورون البحر ليس بينهم وبينه قبيل غيرهم ، وهذه الثلاثة قبائل في ذلك الوقت مسلمون قاموا بدعوة الحق وردّ المظالم وقطع المغارم وهم متمسكون بالسنة .

وكان الذي شرع فيهم ذلك ، ودلهم على أرشد المسالك ، عبد الله بن ياسين واول ما اخذت لمتونة من البلاد بلاد درعة . قال ابو عبيد^(١) - رحمه الله - وكان لمتونة في قتالهم في ابتداء امرهم شدة وجلد وليس كذلك لغيرهم ؛ وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وكان قتالهم على النجيب اكثر من الخيل واكثرهم مترجلون على اقدامهم صفوفاً صفّاً بعد صف ، يكون بأيدي رجال الصف الاول القنا الطوال ، وكانت لهم راية يقدمونها امام الصفوف فهم يقهون ما وقفت منتصبه ، وان أمالها الى الارض جلسوا فكانوا في ذلك اثبت من الهضاب فمن فر امامهم سلبوه ولم يقتلوه ... ويقتلون الكلاب^(٢) ولا يستصحبون شيئاً منها في سكناتهم ولا في حركاتهم ؛ وكان يحيى بن عمر يمثل امر عبد الله بن ياسين امتثالاً عظيماً ، ولقد اخبر جماعة عنها ان عبد الله قال له في بعض الحروب : « ايها الامير ان عليك ادباً » فقال له يحيى « وما الذي أوجبه علي » ؟ فقال له عبد الله : « لا اخبرك حتى آخذ حق الله بك » فحكمه في نفسه وضربه بالسوط ضربات في رجله ثم قال له « ان الامير لا يدخل القتال بنفسه لان حياته حياة عسكره وهلاكه هو هلاكهم^(٣) » .

(١) هو البكري : ١٦٦ وانظر الحلل : ١١ مع اختلاف في ترتيب الجمل ، وما هنا أقرب الى نصر البكري .

(٢) في البكري : ومن فرّ امامهم لم يتبعوه ؛ وهم يقتلون ... الخ .

(٣) هنا توقف النقل عن البكري ، وانظر الروض : ٢٩ .

بعض اخبار الامير أبي زكرياء يحيى بن عمر امير اللمتونيين

وسبب تسميتهم بالمرابطين وخروجهم من

الصحراء الى سجلماسة ودرعة

كان هذا ابو زكرياء منقاداً في جميع اموره لامامة عبدالله بن ياسين فقدمه بعسكره وعبدالله في مقدمته وهو في الحقيقة الامير الذي يأمر وينهى . وكان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربر على غير دين الاسلام ، فدعاهم عبدالله بن ياسين الى الدين فامتنعوا له ، فأمر يحيى بن عمر بغزوهم فغزاهم لمتونة ، وسبواهم وقسموا سبيهم بينهم وأخذ اميرهم خمسم وهو أول خمس قسمه اللمتونيون في صحرائهم ، وكان قد فقد في ذلك الوقت من عسكرهم اكثر من نصف عددهم ، وكان امامهم عبد الله بن ياسين يصبرهم الى ان ظهروا باعدائهم ، فسأهم عبد الله بالمرابطين ، وسمى اميرهم يحيى بن عمر « أمير الحق » : ووقفت على كتاب قديم ... لما بعث الفقيه ابو محمد عبد الله بن ياسين لاهل هذا الجبل الموالي لبلاد لمتونة يدعوهم للدخول في الاسلام وشريعة محمد - عليه السلام - وان يؤدوا ما فرض الله عليهم من الزكاة فاستنعوا وقتلوا رسله فأمر لمتونة بغزوهم فخرج اليهم وصمد عليهم الجبل وقتلهم ثلاثة ايام قتالاً ... مات من لمتونة فيه عدد كثير ، وصبر الفريقان صبراً عظيماً ، فلما كان في اليوم الرابع جمع عبد الله بن ياسين اصحابه لمتونة وقال لهم : اذا احتسبنا انفسنا في حق الله وسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - واراكم قد أعياكم حرب هؤلاء المشركين ولم يأمرنا الله ان نتركهم اذ ... فاستعينوا بالله ربكم ينصركم عليهم ، فخرجت لمتونة في اليوم الرابع وكان ... اسبغ ... وعزم على الحرب فحمي الوطيس بين الفريقين ، واشتدت الحرب الى ان انهزم اعداؤهم وقتلواهم قتلاً ذريعاً وسلبوا اموالهم وسبوا نساءهم وابناءهم ..

وعادوا الى بلادهم فأمرهم امامهم عبد الله بن ياسين باعطاء الخمس لاميرهم يحيى بن عمر ... واخذوه .

ولما ظهر لعبد الله بن ياسين استقامة لمتونة وجيدهم واجتهادهم ، أراد ان يظهرهم ويملكهم بلاد المغرب ، فقال لهم : « انكم قد غزوتهم ونصرتهم دين محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد فتحتم ما كان امامكم وستفتحون - ان شاء الله - ما وراءكم » فأمرهم بالخروج من الصحراء إلى سجلماسة ودرعة واهلها يومئذ تحت طاعة زناتة المغراويين واميرهم مسعود بن وانودين ^(١) وذلك بعد ما خاطبهم فلم يجيبوهم الى ما طلبوا منهم فغزاهم في جيش كثيف واكثرهم على النجيب ^(٢) ركبانا ومنهم رجالا وفرسانا فقاتلهم لمتونة الى ان غلبوهم فطلبوا العفو منهم وادخلوهم سجلماسة فقبل انهم قتلوا مسعود ابن وانودين اميرهم وقيل بل فرأى امامهم واقام بها الامير يحيى بن عمر مدة اشهر مع اخوانه اللمتونيين .

ثم تخلف جماعة منهم ورحل منها مع اخوانه الى الصحراء لاجل جدالة اعدائهم ، وبعد ذلك زحفت زناتة المغراويون على سجلماسة فدخلوها وقتلوا من كان بها من اللمتونيين في المسجد الجامع ، فقبل ان ذلك كان في السنة ست واربعين واربعمئة وقيل في سنة ثمان واربعين .

ثم بعد ذلك ندم اهل سجلماسة على ما فعل مع لمتونة وتواترت رسلهم على عبد الله بن ياسين يذكر ان زناتة المغراويين [زحفوا اليهم] ^(٣) وانهم هم الذين فعلوا ما فعلوا وقتلوا من قتلوا وطلبوا الوصول اليهم والقدم ... عليهم ليأخذوا ثأرهم منهم فندب عبد الله بن ياسين اللمتونيين وغيرهم [إلى غزو زناتة ثانية] ^(٣) فخالفه قبائل جدالة وذهبوا الى الساحل ، فأمر عبد الله

(١) في الحلل : مسعود بن وانود بن خزرون ؛ وما هنا موافق لما عند البكري .

(٢) البكري : في جيش عدته ثلاثون الف رجل سرج .

(٣) التتمة من البكري .

ابن ياسين امير لمتونة يحيى ان يتحصن في جبلهم وهو جبل غزير الماء والكلاب
قال ابو عبيد - رحمه الله - (١) : كان في طوله مسيرة ستة ايام وفي عرضه
مسيرة يوم واحد وفيه حصن يسمى ازكي (٢) حوله نحو من عشرين الف
نخلة فصار يحيى بن عمر في ذلك الحصن ، قيل بسبب مرض اصابه ، وقيل
غير ذلك .

وكان ابو بكر بن عمر قد تركه اخوه يحيى بن عمر اميراً على بلاد درعة
فاجتمع لعبد الله بن ياسين جيش كثيف من لمتونة ومسوفة ولطة ومزجة (٣)
وصار بهم الى درعة . ثم بعد ذلك رجعت جيوش جدالة الى يحيى بن عمر :
قيل انهم كانوا نحو ثلاثين الفاً وأقل منهم ركبان على النجيب وبعضهم على
الخيال وذلك في سنة ثمان واربعين وقيل سنة تسع ؛ وكان [التقاؤهم] مع
لمتونة في موضع معروف عندهم : قتل فيه يحيى بن عمر وقتل فيه بشر كثير (٤)
وهم يذكرون بزعمهم انهم يسمعون في ذلك الموضع اصوات المؤذنين عند اوقات
الصلوات والآن يحترمون ولا يدخله احد منهم .

ذكر دولة الامير ابي بكر بن عمر اللمتوني - رحمه الله -

وذلك انه لما بلغ الخبر بوفاة اخيه ابي زكرياء ببلاد الصحراء قدمه امامه
عبد الله بن ياسين في درعه وتوجه الى سجلماسة واخذ له البيعة من اهلها ؛ ثم
وصلها الامير ابو بكر فبوع بها في اوائل شهر محرم مفتتح عام خمسين
واربعمائة ، وقيل غير ذلك ، وبايعه فيها بعض الزناتيين على يدي عبد الله بن

(١) المغرب : ١٦٧ .

(٢) البكري : اركى .

(٣) البكري : وترجة ، وفي الحلال : وهزجة .

(٤) أوجز صاحب الروض في الخبر عن مقتل يحيى فقال : وتوفي الأمير أبو زكريا يحيى بن

عمر في جهاد كان له ببلاد السودان .

ياسين وخرج الامير ابو بكر من سجلماسة بعسكره في الثالث عشر الى درعة
 ليأخذ منهم ما اوجب له عليهم من الزكاة والفطرة؛ وكان بدرعة قوم من زناتة
 فامتنعوا له فقاتلهم الامير ابو بكر وهزمهم وغنم ابلهم ومواشيهم، وولى الامير
 ابو بكر على بلاد درعة رجلاً من خيار لمتونة وترك معه جمعاً كبيراً وعاد الى
 سجلماسة؛ وانصرف ابو محمد عبدالله بن ياسين عنه الى بلاد المصامدة وغيرها
 حين تذكر ما عاينه من تلك القبائل واحوالهم فخرج من سجلماسة قاصداً الى
 اغمات فاجتمع بوريكة وهيلانة وهزميرة وطاف على قبائل المصامدة وقبائل
 بلاد تامسنا فوجدهم على ما كان تركهم من الفتنة الفها (؟) فقال لهم : « ألا
 تعرفون انه من مات منكم في هذه الحروب الجاهلية فانه من اهل النار »
 فوعظهم وقال لهم : « اتقوا الله وارشدوا عما انتم عليه من فتنكم وقدموا على
 انفسكم من يؤلفكم » فقالوا له : « ما هو فينا ... ولا في قبائلنا الا كل قبيلة
 منا ترى ان يكون الامير منها » فقال لهم : « ان انتم سمعتم مني ادلكم على رأي
 صالح يصلح الله به احوالكم : هذا امير لمتونة الصحراء اهل الزهد والورع
 - وقد كانوا سمعوا به - وما اصلح الله من البلاد على يديه » فأنعموا له
 [وأخذ] عليهم العهود والمواثيق بذلك .

ثم رحل عنهم ورجع الى سجلماسة فتلقيه الأمير ابو بكر بن عمر على مسيرة
 يوم منها وسر بقدمه عليه ، فبشره عبدالله بن ياسين بما أفاء الله له على يديه ،
 فشكره الامير ابو بكر على ذلك ودعا له بامتداد عمره فقال له ابو محمد
 عبدالله : « تأهب للحركة اليهم وقدمك المبارك اليهم » فأخذ في غد ذلك
 اليوم في حركته وولّى على سجلماسة احد اخوانه مع جمعٍ وافر من لمتونة
 وخرج من سجلماسة في السابع عشر لربيع الآخر من السنة خمسين المذكورة
 وذلك في عسكر فيه اربع مائة فارس وثمان مائة راكب على النجب والراجل ،
 وكان وصولهم الى اغمات وريكة في الثاني لجمادى الاولى من السنة
 فتلقاهم بعض اشياخ قبائل المصامدة على مرحلتين من اغمات ، فاحتل الامير
 ابو بكر مدينة اغمات واستوكن مع امامه عبدالله بن ياسين فبايعه بعض
 القبائل بها .

ثم وفدت عليه وفودها فبايعوه ، وافام باغيات مع امامه مدة من ستة اشهر ؛ فلما كان اول شهر ذي قعدة من العام المؤرخ انصرف عنه امامه ابو محمد الى بلاد تامسنا فقتله برغواطة في اوائل سنة احدى وخمسين واربع مائة وقال بعض المؤرخين لدولتهم انه توجه في بلاد السوس ليصلح بين اخوته جدولة في فتنة فأصابه مرض فقضى نحبه ووصل نعيه الى اغيات ، واما ما صح عنه فانه قتله برغواطة كما تقدم ذكره (١) . ولم يقتل عبدالله بن ياسين حتى استولى على سجلماسة واعمالها واغيات وبلاد السوس وغيرها .

وبما يذكر (٢) من احوال عبدالله بن ياسين انه سافر مع قوم كانوا معه فعطش جميعهم فشكوا ذلك اليه فقال : « عسى الله ان يجعل لنا من امرنا فرجاً ومخرجاً » . ثم سار بهم ساعة وقال « احفروا » فحفروا فوجدوا الماء بأدنى حفر ، فعدوا ذلك كرامة له ، فشربوا جميعاً وسقوا دوابهم وانصرفوا . وكانت لمثونة لا تقدم احداً منهم للصلاة الا من صلى خلف عبدالله بن ياسين ، وقيل : كان عبدالله نكاحاً للنساء يتزوج في الشهر عدداً منهن ثم يطلقهن ، فكان لا يسمع بامرأة حسناء الا خطبها ولا يجاوز بصداقهن اربعة مثاقيل .

واما ما شذ فيه عبدالله من الاحكام (٣) فأخذه الثلث من الاموال [المختلطة] وزعم أنها بذلك تطيب ، وان الرجل اذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له : « قد اذنبت ذنباً كثيرة فيجب ان يقام عليك حدودها » فيضربوه حد الزنا وحد الافتراء ، وان علموا انه قتل قتله سواء اتهم تايباً طائعاً او غلبوا عليه . ومن يتخلف من مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطاً ومن فاتته ركعة ضرب خمسة اسواط فكان اكثرهم

(١) أسهب صاحب روض القرطاس في وصف حروبه مع برغواطة ومقتله في احدى المعارك متأثراً بجراحه يوم الاحد ٢٤ جمادى الأولى سنة ٥٤١ هـ ، ودفن بموضع يقال له كريفلت .

(٢) انظر البكري : ١٦٨ والروض : ٩٦ .

(٣) عقد البكري : ١٦٩ فصلاً بهذا العنوان .

يصلون بغير وضوء اذا حان الوقت واعجلهم الأمر من اجل الضرب . ومما يحفظ من جهل عبد الله بن ياسين ان رجلاً اختصم اليه مع تاجر غريب فقال له التاجر في جوابه : حاشا لله ان يكون ذلك - فأمر بضربه ؛ ولما مات ابن ياسين وقتله برغواطة كان الامير ابو بكر بن عمر قد تولى امر صنهاجة وغيرها وطاعت له قبائل المصامدة بأسرها ، فقام معهم لقتال برغواطة حتى أخذ الثار منهم . وفي ابتداء هذه الدولة المتونية اختلاف اختصرنا منه ما وقع الاتفاق عليه .

ذكر نسب أمراء الدولة المرابطية

قال ذوو العلم بأخبارهم ان الجد الذي ينتهي اليه نسب جميعهم هو منصور والجد الذي يفترق منه افخاذهم ترجوت بن ورتاسن بن منصور بن مصالة بن امية بن وانغالي الصنهاجي^(١) ثم المتوني . وكانت لترجوت ثلاثة بنين محمد وحמיד وابراهيم فتفرقت منهم بطون كثيرة ، وكان القائم بالملك في الصحراء بعد ابيه ابراهيم وهو جد يحيى بن عمر الامير المتقدم ذكره ، وكان يقال له امير الحق وهو يحيى بن عمر بن ابراهيم بن ترجوت ، وكان لأمير الحق يحيى المذكور من الولد اربعة بل ثلاثة محمد وعلي وعيسى وكان لأم محمد نبأ ظريف يأتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى - واستصحب يحيى بن عمر الامر بقية عمره ؛ فلما قضى نحبه ولي الامر بعده أخوه ابو بكر بن عمر وكان يرى في منامه بقرتين يخير فيها فيضع [يده على] احدهما فيقال له « هذا الذي اخذت هو الملك والذي تركت هو الولد » . وكان له ابنان ابراهيم ويحيى ، فأما يحيى فيعرف بابن عايشة وهي بنت ياران بن تايفشت اخت اسحاق بن ياران ، وأما ابراهيم فلم تعرف امه وكان اسود الجلدة وهو ابراهيم بن الامير ابي بكر بن عمر . وأما

(١) الحلال : تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن أنغالي الصنهاجي .

فخذ يوسف ابن تاشفين ومن ذكر معهم فهم بنو ابراهيم فهو يوسف بن تاشفين
ابن ابراهيم بن توجوت .

وفي سنة ستين واربع مائة استقامت الامور للامير ابي بكر بن عمر
وطاعت له البلاد ووجه عماله اليها ، وكان مستوطناً بمدينة اغمات ، وكانت
بها امرأة جميلة تعرف بزینب النفزاوية قد شاع ذكرها وامرها في قبایل
المصامدة وغيرها ، فكان يخطبها اشياخهم وامراؤهم فتمتنع لهم وتقول :
« لا يتزوجني الا من يحكم المغرب كله » فكانوا يرمونها بالحق ، وكان لها اخبار
مستطرفة غريبة كمثل اخبار الكهنة ، فبعض يقولون ان الجن يكلها ،
وبعض يقولون هي ساحرة ، وبعض يقولون كاهنة . فأعلم يجهلها الامير ابو بكر
ابن عمر فخطبها وتزوجها فوعدته بمال كبير تخرجه له ، ثم ادخلته في دار
تحت الارض معصب العينين ثم أزال العصابة ففتح عينيه فرأى بيوتاً فيها
ذهب كثير وفضة وجواهر ويواقيت ، فعجب من ذلك ابو بكر بن عمر كل
العجب لما عاين من الذخائر والذهب والفضة ، فقالت له زوجه زينب : هذا
كله مالك ومتاعك اعطاك الله اياه على يدي فصرفته الآن عليك ، وكان
رؤيته له بضوء الشمع ، ثم اخرجته معصب العينين من ذلك الموضع كما ادخلته
فيه فلا علم من اين دخل ولا من اين خرج ؛ وكان دخوله معرساً ^(١) بزینب
المذكورة في شهر ذي القعدة من عام ستين واربع مائة . وكانت هذه المرأة
موسومة بالجمال والمال وكان لها محاسن وخصال محمودة وروية مستطرفة فقيل
- والله اعلم - ان الجن كانت تخدمها وقيل غير ذلك كما تقدم .

وفي سنة احدى وستين وأربعمائة بعث الامير ابو بكر بن عمر عسكرياً
كبيراً قدم عليه ابن عمه يوسف بن تاشفين وبعث معه جملة كبيرة من اشياخ
لمتونة ومن قبائل البربر المصامدة وغيرهم وذلك برسم قتال رؤساء القبایل
القاطنين بأرض المغرب وكان اكبرهم شوكة بني يفران الزناتيين المستوطنين في

(١) في المطبوعة : معرقاً .

قلعة مهدي ابن تبالا (١) . فحاربهم يوسف بن تاشفين بمن كان معه من القبائل التي دخلت في طاعة الامير ابي بكر بن عمر وفر معنصر بن حماد الى مدينة فاس وقتل من اتهم بالقيام بأمر لمتونة وقتل يوسف بن تاشفين اناساً من سدراتة .

وفي هذه السنة (٢) ضاق الجمع بمدينة اغمات وريكة عن الخلق فيها فشكا اشياخ وريكة وهيلانة بذلك الى الامير ابي بكر بن عمر مرة بعد اخرى الى ان قال لهم : « عينوا لنا موضعاً أبني فيه مدينة - ان شاء الله تعالى ، - وكان سكناه مع اخوانه في الاخبية ... حتى ابتنى بوجه زينب النفزاوية في هذا العام فزاد الخلق باغمات من اجل ... هيلانة وهزميرة على ان يعينوا موضعاً حيث يكون بناء المدينة ، فوقع التنازع بين المذكورين في ذلك ، وطلب كل واحد ان يكون بناء المدينة في بلادهم لينسب بناؤها اليهم وذلك لأجل ما تقدم بينها من الفتنة ومداولة الامارة الى ان اجتمعت اشياخ قبائل المصامدة وغيرهم فوقع تدبيرهم ان يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة وبين بلاد هزميرة فعرفوا بذلك اميرهم ابا بكر بن عمر وقالوا له : « قد نظرنا لك موضع صحراء لا انيس به الا الغزلان والنعام ولا تنبت الا السدر والحنظل ، . ثم كان اراد بعضهم ان تكون المدينة على وادي تانسيفت فامتنع لهم من ذلك وقال : « نحن من اهل الصحراء ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكنى على الوادي ، فنظروا له ذلك الموضع انكي يكون وادي نفيس جنانها ، ودكالة فدائها ، وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها ، فركب الامير ابو بكر في عسكره مع اشياخ القبائل فمشوا معه الى فحص مراکش وهو خلاء لا انيس به فقالوا له : « ابن هنا مدينة تكون متوسطة بين هيلانة وهزميرة ، .

وفي سنة اثنتين وستين واربعمائة في الثالث والعشرين لرجب ابتدء بأساس

(١) سماها ابن خلدون (٦ : ١٨٤) قلعة فازاز وسمى صاحبها مهدي بن توالي .

(٢) انظر الحلل : ٥ .

مراكش وذلك قصر الحجر ، وشرع الناس في بناء الدور دون سور ؛ وفي ذلك اليوم بعينه كان ركوب الامير ابي بكر بن عمر واخوته وجميع محله مع اشياخ المصامدة والفعلة من البنائين وغيرهم ، فابتدأ العمل في الاساس بمشاركة الاشياخ وحسب عونهم ، فأعانوا على البناء بالمال والرجال ، فقام سور قصر الحجر في نحو ثلاثة اشهر على نحو ما ذكره ذور المعرفة والاخبار ، واشتغل الناس فيها ببناء الديار كل واحد على قدر جهده واستطاعته . فذكروا ان اول دار بنيت بمراكش من ديار لمانونة دار تورزجين بن الحسن السكائنة بموضع أسدال بناها بالطوب وجدها وهي الان ظاهرة على المقر بالموضع المذكور الى وقتنا هذا سنة ست وسبعمائة ؛ وذكروا ان اللمتونيين حين طلبوا موضعاً صحراء يبنون فيه مدينتهم ليعبدوا من مواضع الوادي والقياض على أنفسهم ومواشيهم لعادتهم في بلادهم فوقع بحثم وجدم واجتهادهم على موضع مدينة مراكش والله اعلم بذلك .

وفي سنة ثلاث وستين واربعماية كان الامير ابو بكر بن عمر قاعداً على السور والفعلة امامه يعملون في السور وفي غيره الى ان وقف عليه رجل راكب على فرس أشعث الرأس فسلم عليه وقال : « ايد الله الامير ان جدالة أغارت على اخوتك فقتلوا الرجال وسلبوا الاموال وهزموم » . فلما استوفى كلامه قال الامير ابو بكر : « انا لله وانا اليه راجعون » وبعث الى اشياخ لمتونة وكبرائهم وعظماهم وقال لهم « ان اخوانكم قد اغارت جدالة عليهم وقتلهم ... وأنا مسافر - ان شاء الله - اليهم لآخذ بثأرهم فانظروا منكم رجلاً استخلفه عليكم » .. فأطرق الجميع رؤوسهم وصمتوا ثم رفعوا ويهتوا فلم يكن اجماع على ذلك فقال لهم : « لا بد ان تدبروا من ترونه يصلح لذلك » ثم انصرفوا فلما كان في ... ابو بكر صلى ودعا الله ان يسمي له رجلاً صالحاً يستخلفه فهتف به هاتف مرعوباً فقال : « من هو هذا الغايب » فأنساه الله ذكر يوسف بن تاشفين الى ان وصل من بلاد المغرب في تلك الايام وحضر بين يدي ابي بكر بن عمر وهو يعيد القول على اخوته وهي الثالثة

فقال له يوسف بن تاشفين « انا أكون خليفتك ان شاء الله - عز وجل » -
فقال له الامير ابو بكر : « صدقت يا يوسف انت والله خليفتي » وتذكر قول
الهاتف له فولاه الامر بعده (١) .

ذكر حركة الامير أبي بكر بن عمر الى الصحراء

لما اخذ الامير ابو بكر في الحركة الى الصحراء ولي يوسف مكانه وقسم
الجيش بين يوسف وبينه ، فقليل ان الذي ترك مع يوسف بن تاشفين من اللمتونيين
الثلاث ورحل معه الثلاثان (٢) وذلك في غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين
فشيعة يوسف ووادعه وأوصاه ابو بكر فطاوعه . وكان ابو بكر بن عمر لما
عزم على حركته تلك قال لزوجته زينب « اني مسافر منك برسم الفتن والحروب
ولا يمكنني ان امشي عنك وانت في عصمتي فان أنا مت كنت مسؤولاً عنك
والرأي ان اطلقك » . فقالت له : « الرأي السديد ما تراه » فطلقها فذكروا
انه قال لابن عمه يوسف بن تاشفين « تزوجها فانها امرأة مسعودة » وقيل انها
هي التي طلبت منه طلاقها فأسعفها بذلك .

ذكر ولاية يوسف بن تاشفين ونبذ من اخباره

لما توجه الامير ابو بكر بن عمر الى الصحراء ولأه مكانه وترك معه
الثلاث من لمتونة اخوانه فاشتغل ببناء مراکش وتحصينها ، وحصل منها تحت

(١) في الروض : ٩٨ اختلاف واضح عما أورده هنا ، اذ يذهب ابن أبي زرع الى ان أبا
بكر بن عمر هو الذي استدعى يوسف وعقد له على المغرب ، وأن أشياخ المرابطين اتفقوا على
تقديمه لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته ... الخ .

(٢) في الروض ان أبا بكر بن عمر ارتحل بنصف الجيش الى الصحراء .

سور وابواب في قصر الحجر^(١) ، وأعاناه القبائل في جميع أموره وأحواله ، وحبب نفسه اليهم ، وأفاض إحسانه عليهم ، وكان يكاتب الأمير أبا بكر بكل ما يصنع ، فيشكره على ذلك وأبو بكر بن عمر في الصحراء يحارب جدالة حتى أخذ ثأره منهم في خبر طويل . وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية في شهر شعبان المكرم من سنة ثلاث وستين بعد تمام عدتها ودخل بها فسرت به وسر بها وأخبرته انه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله واعطته الاموال الغزيرة ، فأركب^(٢) الرجال الكثيرة ، وجمع له القبائل أموالاً عظيمة ، فجند الأجناد وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد ... بنفسه وبتدبير زوجه زينب في كل يوم مع امسه ، حتى ... سلك اهل المغرب في قانون الضغط فتأتى من ملكه ما لم يتأت ...

وفي سنة اربع وستين وأربعمائة تحرك الأمير يوسف بن تاشفين بعسكر جرار الى بلاد المغرب ... ورجع الى وطاط الى ملوية الى ناحية جراوة ودوخ ما مر عليه من القبائل ودخلت كلها في طاعته ، هكذا ذكر ابن القطان في نظم الجمان .

وفي هذه السنة صنع الأمير يوسف بن تاشفين دار السكة بمراكش وضرب فيها السكة بدراهم مدورة زنة الدرهم منها درهم وربع سكة من حساب عشرين درهماً للأوقية ، وهو الدرهم الجوهري المعلوم في وقتنا هذا ، وضرب الدينار الذهبي باسم الأمير أبي بكر بن عمر في هذا العام .

وفيه ارتدت قبائل في القبلة في جهة سجلماسة من زناتة وغيرهم فجهز اليهم يوسف بن تاشفين عسكراً قوود عليه محمد بن ابراهيم اللتوني فخرج في شهر ربيع الآخر وغنم تلك القبائل وقتل المرتدين ورجع بغنائم كثيرة .

(١) الحلل : واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر الحجر برجة مراكش وحصله تحت سور وأبواب وحصنه .

(٢) في المطبوعة : فركب .

فدوت يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد وكتب الى بعض اخوانه في السر من ابي بكر بن عمر يحضهم على الوصول اليه والقدوم عليه ويعدهم بالخير الجزيل الحفيل فوصل منهم جماعة كبيرة .

وفي هذه السنة ولد ليوسف بن تاشفين مولود ذكر سماه المعز بالله من زوجته زينب النفزاوية .

وفيها قوي امر الامير يوسف وعظمت شوكته فاشترى جملة من العبيد السودان وبعث الى الاندلس فابتيع له بها جملة من الاعلاج فأركب الجميع^(١) وانتهى عنده منهم شراء ماله مائتان واربعون^(٢) فارساً ، ومن العبيد شراء ماله نحو الالفين ، وأركب الجميع فغلظ حجاباه وعظم ملكه .

وفيها افترض على اليهود فريضة^(٣) ثقيلة في جميع طاعته اجتمع له فيها مائة الف دينار عشرية ونيف على ثلاثة عشر الف دينار .

وفي هذه السنة اتصل الخبر بالأمير يوسف ان ابن عمه الامير ابا بكر بن عمر قد أخذ في الرجوع من الصحراء الى بلاد المغرب فاغتم لذلك غماً شديداً وحزن حزناً عظيماً وصعب عليه مفارقة الملك بعد أن ذاق حلاوته ورتب فيه ما رتب من الأجناد والضخامة ، فعرفت زينب ذلك في وجهه فقالت له : « أراك مهموماً مكروباً من وصول ابن عمك الى ملكه الذي ولاك عليه ، والله لا ذاق ابو بكر طعامها أبداً ، فطب نفساً وقر عيناً ، فقال لها : « انه ... استخلافه اليّ من بين كلّ بنيه ويثق عليّ في هذه المملكة ولو كان غير ابن عمي لقاتلته ، فقالت له « انا ادلك ... الله » فقال « ما ذلك يا زينب فاني - والله - اعرفك ميمونة » ... قالت له « اذا قدم عليك وبعث مقدمات رجاله اليك فلا تخرج اليه [ولكن] بادره بهدية جليلة ... فلا يقاتلك على

(١) في المطبوعة : فركب ، وفي الحلل « فاشترى جملة من العلوج فأركبهم » .

(٢) في المطبوعة : مائتين وأربعين ، وفي الحلل : مائتان وخمسون .

(٣) في المطبوعة : فريضة .

الدنيا فان الرجل خير لا يستحل سفك دماء ... على امرك وتفوز بملكك -
ان شاء الله - . فقال لها : « والله لا خالفتك في امر تشيرين به ابداً »^(١) .
وفي سنة خمس وستين واربعماية كان وصول الامير ابي بكر بن عمر من
صحرائه الى مراکش ، فوجد يوسف قد استبد بالمملكة واعجبته الامرد
وطاعت له جميع البلاد الغربية ، فعلم انه مغلوب عليه ، وعزم على تسليم
الامر اليه .

ذكر خلع الامير ابي بكر بن عمر نفسه عن الملك واسلامه

ليوسف بن تاشفين

كان وصول ابي بكر بن عمر من الصحراء الى اغمات في الخامس لشهر
ربيع الاول المبارك في السنة المؤرخة قادماً الى مراکش ، فنزل بخارج
اغمات في مضاربه ، وتسابق اكثر أصحابه الى مراکش برسم رؤيتها ورؤيا
بنائها والسلام على اميرها يوسف ، وكانوا قد سمعوا عن ضخامة ملكه وجميل
كرامته وجزيل احسانه وانعامه على اخوانه وقرابته ، فاجتمع اليه من
القادمين عليه خلق كثير ، فوصلهم على قدر منازلهم ومراتبهم وأمرهم
بالكسب الفاخرة والخيول العتيقة وغير ذلك من المبرة والمكرمة ؛ فلما عا
الامير ابو بكر أحوال يوسف وما هو عليه من الميل الى نخوة الملك وعز
السلطان عزم على تسليم الأمر له ، وعلم أيضاً يوسف أحوال الأمير أبي بكر
من اللين في أمره لتقواه وديانته ، [كما ان يوسف]^(٢) استمال نفوس اخوانه

(١) قال في الروض : ٩٨ « فشاور (يوسف) زوجته في ذلك الأمر فقالت له : يا يوسف ار
ابن عمك رجل متورع في سفك الدماء ، فاذا لقيته فقصر عما كان يعمده منك من الأدب والتواضع
وأظهر له غلظة ... ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدية والخلع والثياب والطعام والطرف واستكاه
من ذلك فإنه ببلاد الصحراء وكل شيء عندهم من هنا مستطرف » .
(٢) زيادة لتوضيح المعنى .

باحسانه وانعامه وزاد طمعه في الانفراد (١) والاستبداد .

وانقطع رجاء الأمير أبي بكر من الملك ، فبعث الى يوسف يعلمه بوصوله اليه ، وعيّن له يوماً معلوماً يكون فيه اجتماعه به ، فخرج يوسف من مراکش في جنده وعبيده ، وتلقاه في نصف الطريق ، فسلم عليه راكباً على دابته ولم تكن قبل عادته ، ثم نزل الى الأرض وقعدا على برنس بسط لهما في ذلك المكان ، فسمي ذلك الموضع فحص البرنس الى الآن ، وأبو بكر مع ذلك متعجب من كثرة عساكره واحتفال هيئته ، يطيل النظر في ذلك كله ، فتكلم الأمير أبو بكر مع يوسف في مصالح المسلمين ثم قال له : « يا يوسف انت ابن عمي ومحل أخي وانا لا غنى لي عن معاونة اخواننا بالصحراء ، ولم أرَ من يقوم بأمر المغرب غيرك ، ولا أحق به منك ، وقد خلعت نفسي لك ووليتك عليه فاستمر على تدبير ملكك وانت حقيق به وخليق له ، وما وصلت اليك الا لامرتك (٢) في بلادك واسلم لك [الأمر وأعود] في [الصحراء] مقر اخواننا وموضع استيطاننا ، فدعا له الأمير يوسف وشكر [وقال له : لك عليّ] « ألا اقطع امراً دونك ولا استأثر - ان شاء الله - بشيء عليك ، وأحضر [أشياخ لمتونة] الصحراويين ، وخلع له ابو بكر نفسه ، وشهد بذلك بعض العدول وأعيان القبائل ، وعاد الأمير ابو بكر الى اغمات موضع نزوله ورجع يوسف الى مراکش دار مملكته ، فكان هذا التدبير برأي زينب النفزاوية زوجته فهي التي جسرتة على ذلك كله حتى ملك المغرب أسعد ملك واثمه نصراً على العدو ، ولم يهزم له قط جيش ولا ردت له راية بملك ، والله يؤتي ملكه من يشاء .

(١) في المطبوعة : في الانقداد .

(٢) الحلل : الا لأمدنك .

ذكر الهدية التي أهداها الأمير يوسف بن تاشفين

إلى ابن عمه أبي بكر بن عمر^(١)

لما وصل الأمير أبو يعقوب إلى مراکش بعد اجتماعه بالأمير أبي بكر بن عمر وخلعته له نفسه وتقديمه ليوسف وبيعته شرع يوسف في توجيه الهدية المذكورة وذلك خمسة وعشرون ألف دينار من الذهب ، وسبعون فرساً منها خمسة وعشرون مجهزة بفاخر الجهازات ، وسبعون سيفاً محلاة ، وعشرون من الاشار^(٢) المذهبة ، ومائة وخمسون من البغال والذكور والاثاث ، وخدوراً كثيرة بنفيس الامتعة والكسى الفاخرة ، وبعث له عشرين جارية ايكاراً وجملة من خدم الخدمة ووجه له بمائتين من البقر وخمسمائة رأس من الغنم والاف ربع من دقيق الدرملق واثنى عشر الف خبزة وسبع مائة مد من الشعير وبعث اليه وزناً صالحاً من العود والعنبر والمسك .

وكتب يعتذر له من ذلك ويحلف انه ما بقي له شيء مما ادخره واقتناه فطابت نفس الأمير أبي بكر وقال : « خير كثير هذا من يوسف » . ثم انصرف بهديته بعد ما اعطى منها بعض اخوانه وخاصته ؛ وأقام بصحرائه ثلاثة اعوام والأمير أبو يعقوب يمدّه بالتحف والهدايا الى ان قتله السودان المجاورون للمتونة في الصحراء لانه كان يحاربهم ، حتى قضى الله بوفاته بسهم اصابه كان فيه منيته ، وذلك في سنة ثمان وستين وأربعماية .

وفي سنة ست وستين واربعماية بعث الأمير أبو يعقوب مزدلي بن بانلونكا بعسكر ضخم الى ناحية سلا فافتتح تلك القبائل من غير قتال ولا نزال ، فأمنهم

(١) انظر الحلل الموشية ١٦ - ١٧ ، وقارن بما هنا فان ما في الحلل اكثر تفصيلاً .

(٢) الحلل : المهامز .

وانصرف عنهم في الخامس والعشرين لشهر ربيع الآخر ، وكان خروجه من
مراكش في الثاني لشهر صفر ، فكانت غيبته هذه نحو ثلاثة اشهر .

وفيهما بعث ايضاً يوسف بن تاشفين عسكرياً الى الغرب قوّد عليه يطى بن
اسماعيل ولما وصل الى وادي بهت بعث رقاصاً الى امير مكناسة الخير بن خزر
الزناتي بأنه قد عفا عنه وبعث كتابه اليه بذلك فقرأ كتابه على زنانة
وشاورهم في أمره فقالوا « نقاتله بأجمعنا حتى نخرجه من بلادنا » فقال لهم
« لا سبيل لذلك ولا افعاله حتى ابعث له » فبعث اليه منغفاد بن عبدالعزيز
الزناتي فلما وصل الى يطى بن اسماعيل رحب به واكرمه ولمن كان معه فقال
له منغفاد : « نحن رجال الأمير أبي يعقوب وبلادنا بلادك ، غير اننا لا بد لنا
من الاجتماع به وشروط نشترطها عليه وحينئذ نسلم البلاد اليه ونخرج له عنها ،
وضمن له اللمتوني ابن اسماعيل تلك الشروط عنه وتعاهد على ذلك معه ، ودخل
مكناسة وخرج الخير منها اميرها ومن كان معه من زناتة الى موضع القناطير ،
وولي مكناسة بعد الخير بن خزر الزناتي الافضال اللمتوني ، ورحل ابن
اسماعيل بعسكره مع الخير المذكور الى مراكش ، وأنعم عليه الأمير يوسف
بكل ما أراد ، ثم صرفه فبقى الخير مستوطناً بخارج مكناسة الى ان مات
رحمه الله .

ذكر تسمية يوسف بن تاشفين رحمه الله بأمر المسلمين

وفي هذه السنة اجتمع أشياخ القبائل على الأمير أبي يعقوب يوسف بن
تاشفين وقالوا له : « انت خليفة الله في المغرب وحقك اكبر من ان تدعى
بالامير إلا ^(١) بأمر المؤمنين ، فقال لهم « حاشا لله ان اتسمى بهذا الاسم ،

(١) الحلل : بل ندعوك .

إنما يتسمى به الخلفاء وأنا راجل^(١) الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد الغرب، فقالوا له « لا بد من اسم تمتاز به، فقال لهم « يكون أمير المسلمين، فقبل أنه هو الذي اختاره لنفسه، فأمر الكتاب أن يكتبوا بهذا الاسم إذا كتبوا عنه أو إليه .

وفي سنة سبع وستين وأربعمائة افتتح أمير المسلمين يوسف مدينة فاس : وذلك لما افتتح مدينة مكناسة ووصله أميرها الخير وأحسن إليه وأكرمه وخيَّره حيث يريد السكنى وأسعفه في كل مطلب ، جهَّز أمير المسلمين عسكراً جراراً وقدم عليه ابن عمه يحيى بن وآسينوا الممتوني ، وأمره بمنازلة^(٢) فاس فكان وصوله إليها عقب رجب الفرد من هذه السنة . وكان امراء فاس يومئذ أبناء حمامة ، فقاتلهم يحيى قتالاً شديداً سبعة أيام ، وفي الثامن دخلها عنوة ، مات فيها من أهل فاس بشر كثير وسلبت ديارهم ثم عفا عنهم وانحصر ابناء حمامة الفتوح ودوناس في قصرهما ، ثم طلبا^(٣) الأمان فعفي عنها في نفسها ، فكتب بفتح فاس وبأخبار الفتوح بن حمامة وإخيه إلى الأمير يوسف بن تاشفين فأمر بتوجيهها حيث شاء^(٤) فاستوصى^(٥) الفتوح مغيلة ، واستولت لمتونة على مدينة فاس حرسها الله .

وفي هذه السنة وصل الخبر إلى يوسف بن تاشفين بوفاة الخليفة العباسي القائم بأمر الله وبيعة الخليفة المقتدر بالله في الثالث عشر لشعبان .

(١) كذا هو في المطبوعة وفي الحلل .

(٢) في المطبوعة : بمنازل .

(٣) في المطبوعة : طلبوا .

(٤) في المطبوعة : شأوا .

فتح مدينة تلمسان

وفي سنة ثمان وستين واربعمائة جهز امير المسلمين يوسف بن تاشفين عسكراً ضخماً وقدم عليه ابن عمه مزدي المتوني وبعثه الى مدينة تلمسان^(١) وكان اميرها يومئذ العباس بن يحيى امير زناتة ، فكتب امير المسلمين اليه كتاباً بالعفو عنه ان نزل دون قتال ، فخرج هذا العسكر من مراکش في أوائل شهر محرم ووصل الى مدينة تلمسان عقب شهر صفر ، فقدم مزدي الكتاب الى العباس بكتاب امير المسلمين فعند وصول الرقاص بالكتاب اليه وقف عليه ، فخرج من تلمسان فأنعم عليه الامير مزدي بمطلبه ووافقه في مذهبه ، ورحل الامير مزدي الى تلمسان ودخلها في مهلة وحال هدنة ثم ولي عليها ابنه يحيى ابن مزدي ورجع الى مراکش ، فكان وصوله اليها في نصف ربيع الآخر من هذه السنة ومعه العباس صاحب تلمسان فأنعم عليه أمير المسلمين بكل خير ، وأمر له بظواهر كريمة وانصرف الى وطنه .

وفي سنة تسع وستين واربعمائة وصل ابراهيم بن ابي بكر بن عمر من الصحراء يطلب ملك أبيه ، فنزل بخارج أغمات في خلق كثير من اخوانه لمتونة ، فسمع بذلك امير المسلمين فبعث اليه الامير مزدي فقال له « ما الذي تريد يا ابراهيم ؟ » قال : « اطلب ملك أبي الذي غصبنا فيه عمي يوسف » قال مزدي : « ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا ، فان كنت عاقلاً فاطلب منه ان يعينك بمال وخيل ترجع بها الى بلدك ، وان طلبت غير هذا اخاف ان يجعل على رجلك قيداً ويحبسك عنده عبداً ، وما قلت لك ذلك الا بوجه الشفقة عليك » فقال له : « يا عمي مزدي - رضي الله عنك - عسى ان تجتمع معه في امري وتبين له

(١) يجعل ابن خلدون هذه الغزوة سنة ٤٧٢ .

حالي ، وكان الامير مزدلي حسن السياسة صحيح المذهب عارفاً بخدمة الملوك ،
فهدن ابراهيم المذكور وقال له : « أقم في موضعك حتى آتيك بكل ما
يرضيك ، فانصرف عنه ووصل الى الامير يوسف بن تاشفين فحسن كلامه اليه
وانعم الامير يوسف عليه بمال وخيل وكسى وغير ذلك بعدما بولغ في كرامته
وضيافته ، واحتمل له ذلك مزدلي ، فشكره الولد على ذلك وانصرف عنه
من هنالك ، ولم يجتمع بالأمير يوسف ولا رآه وانصرف الى الصحراء وبقي بها
الى ان مات .

وجرت لأمير المسلمين مع أمير تازى في هذه السنة - وقيل في سنة سبع
وستين - حروب شديدة بفحص الوادي هزمه أمير تازى وهو أبو يعلى وكان
معه القاسم بن عبدالرحمن بن ابي العافية على لمتونة وذلك بموضع (اجر سيف) .

وفي هذه السنة ولد للأمير يوسف بن تاشفين ولده الفضل من زوجه زينب
النفزاوية وكانت [أحب] مالمديه ، امرأة غالبة عليه ، ليس ... ولا كان أمر
إلا امرها وكان يقول لبني عمه اذا خلا بهم وورد ذكرها : انما فتح [البلاد
برأيها] (١)

(١) وقع في أوراق البيان المغرب هنا خرم كبير ضاعت به أخبار الأحداث بين عامي
٤٦٩ - ٤٩٥ وذلك يشمل بقية فتوحات يوسف في المغرب ، وجوازه الأول الى الأندلس
وأخبار معركة الزلاقة (٤٧٩) والجواز الثاني (٤٨١) والثالث (٤٨٣) وسقوط أكثر دول
الطوائف ؛ وهذه الأحداث مما يمكن مراجعته في روض القرطاس والحلل الموشية وغيرهما ،
وشرحها يطول وليس في الامكان استيفائها في هذا المقام ، ولكننا سنذكر في الملحقات بعضاً
منها (وخاصة النصوص المتصلة بالزلاقة) .

أما الخبر عن سقوط بلنسية في يد السيد الكنييطور فانه من أصل ابن عذارى ، غير أن
الأستاذ ميراندا كان قد أسقطه من هذه القطعة لأن ليفي بروفنسال كان قد نشره مستقلاً ، وقد
أعدناه الى موضعه اعتماداً على نشرة الأستاذ بروفنسال .

[الكبيطور في بلنسية]

وكان الطاغية لذريق النصراني ، الملقب بالكبيطـُور قد أخذ بمخنق بلنسية وألقى زوره عليها ، يحيي رعيتهما ويستغلها حاضرة وبادية . وقد استضعف حفيد ابن ذي النون ، ملكها المشئوم ، وكان اجتلبه ليحترم به ؛ فرمى بسهمه إلى نحره ، فخلعه اللعين وبقي حتى أراد الله بما أراد من حتفه . وكان أيضاً صاحب سرقسطة ابن هود يدير لذريق واصحابه النصاري ، ويعضده بالسلفة ، ويوجه المغيرة يثنة ويسرة ، فكان ما يأتي به الذكر . قال محمد بن علقمة : وفي شعبان من العام ٤٨٥ هـ انتقل الكبيطور الى سرقسطة ، واستخلف على أطعمته المخزنة وضرائب المفترضة ببلنسية ، فتنفس مخنق أهلها ، وانفجرت الضيقة عنها .

ثورة القاضي ابن جحاف ببلنسية

ولما ظهر ابن عائشة بمرسية ، وتوالى ظفـره بها وبذواتها ، وقع الإصفاق من القاضي أبي أحمد جعفر بن عبدالله بن جحاف ، وصاحب الأحكام ابن واجب ، وأهل العقد والخل من اهل بلنسية ، على استدعاء محمد بن عائشة ؛ فأنفذ اليهم لمة من المرابطين تحت نظر ابن نصر ، واتصل النظر بمن ببلنسية ، فظفر أحياء سلطانهم ابن ذي النون في إنفاذ عيالهم وذخائرهم وأموالهم إلى المعادل والقلاع ، وأخرج حفيد ابن ذي النون بعض عياله الى ابن ياسين قائده على حصن 'شبرب' ، وإلى ابن حـُديدة بحصن العقاب ، وفرّ على وجهه من فيها من الروم من رجال 'لذريق' . وخرج القاضي والفقهاء لتلقي ابن نصر ، رسول ابن عائشة وإدخاله البلد ، وفر القادر عن البلد إلى دار هجينة ، ففحص ابن جحاف عنه إلى أن ظفر عليه ليلة الجمعة لسبع بقين من رمضان .

مقل القادر حفيد ابن ذي النون

لما حصل بيد ابن جحاف ، أمر بقتله ، فتولى ذلك فتى من بني الحديدي زعيم طليطة ، فقتله بيده كفعله بوليته ابي بكر بن الحديدي ، وحمل رأسه على عصا يطاف به الأسواق والسكك . واحتوى ابن جحاف على ما كان معه ، وطرحته جثته في سبخة ، فواراه رجل من التجار : اجتاز به على باب مغضى بحصير خلق ، ودفنه دون كفن .

وتبوء ابن جحاف تبوء الرياسة ، ورتب أرزاق الجند والخدمة واستشعر غلظة الرؤساء ، وأظهر أبهة الملك ، وطمح بصره إلى قضية القاضي محمد ابن إسماعيل بن عباد ، فما حسن النظر ، ولا ساعده القدر ، فكان مجلس مكتنفاً بالوزراء والفقهاء والزعماء ، والغلة أمامه ، ويركب فيتقدمه العبيد والطراد ، ويتأخر عنه الجند ، وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء .

وكتب لذريق الكبيطور إلى ابن جحاف المذكور يهنئه على تلك الأمور ، ويد . . بالحسنة التي اكتسبها في رمضان بقتل سلطانه ، ويطلب منه أطعمته المخزنة عنده ببلنسية . فراجع الكبيطور ، يقسم بمغلظات الأيمان ألا يبرح من بلنسية حتى يظفر به ، ويأخذ ثأر ابن ذي النون منه ، وأنفذ إلى الحصون المجاورة يستمد الأقوات فأمدته من اتقى شره ، وأقبلت الميرة إلى محله ، واتصل الضرب منها إلى بلنسية ، فأضر بها ، وقتل من ظفر به من أهلها . وكان معه جملة من رجال ابن ذي النون .

وفي خلال ذلك ، ألحق ابن جحاف من الجند عدداً ، وأنفذ إليه ابن عائشة بعد ذلك المدد مدداً ، واجتمع له ببلنسية زهاء ثلاثمائة فارس ، وابن جحاف يزداد غلظة وحجبة ، وجيش الروم يراوهم ويفادهم ، والحرب تدور عليهم . فمنهم القتلى والجوحي . وأمل الكبيطور إزعاج المرابطين من بلنسية ، وكان ابن جحاف قد استثقلهم ، لكنه يستعملهم ، واستشعروا

ذلك منه . وداخل الكبيطور ابن جحاف في اخراجهم واستبداده بالملك
لنفسه ليقيمه معه مقام ابن ذي النون ، يحمي حوزته ، ويقاقل عنه ، فطمع
في ذلك .

وفي سنة ٤٨٦ هـ عظم بلاء الطاغية على بلنسية ، واشتد حالهم ، وعظم
أمرهم . فاستصرخوا أمير المسلمين يوسف ، وبسطوا عنده القول فيما نزل بهم .
فجدت في أمرهم ، وأمر قواده وعماله على بلاد الأندلس بنصرهم ، فتلاحقت
جموع المسلمين بشاطبة ، واتصل النبا بالعدو ، فما برح ، ولا ترحزح . فوصلت
الجيوش ومعها من المطوعة خلق كثير خيلا ورجلا ، فاستقبلت بلنسية سيرا
حنيثا حتى أشرفت عليها ، واستشرف أهلها عليهم ، واستبشروا بنصرهم
والانتقام من عدوهم ، واستنشقوا ريح الحياة . وخرج العدو الى طرف محلته ؛
فعبا الجيش فرقتين وأمر كل فرقة ، فلزمت مصافها . وأوقع الله لما قضاه في
قلوب المسلمين النكول عنهم ؛ فرجعوا عودهم فبهت أهل المدينة ، وسقط
في أيديهم ويثسوا من الحياة . واستأسد العدو ، واشتد كلبه ، وأقام يجبي
الرعية ويوجه المغيرة ، ويمنع الدخول الى المدينة ، ويعيث في قل " الفار " عنها ،
ومن تحرك من قريته ، أو شعر بحركته ، يُستبعد أهله وولده . فلم يقدم
أحد على التحرك ولا حدث نفسه بالتحول . ولما صدرت جيوش المسلمين الى
شاطبة ، بادر الأمير أبو بكر بن ابراهيم إعلام أمير المسلمين .

وفي سنة ٤٨٧ هـ لما انصرف جيش الأمير أبي بكر بن ابراهيم الممتوني
بحكم القدر السابق عن بلنسية ، أيقن من فيها بالهلكة ، وغلب على الناس
اليأس ، وضافت النفوس ؛ وزاد حقد العدو ، وقسا قلبه ، وهلك أكثر الناس
جوعا ، وأكلت الجلود والدواب وغير ذلك ، ومن فر الى المحلة فقئت عيناه ،
أو قطعت يده ، أو دقت ساقاه ، أو قتل . فرضي الناس بالموت في المدينة ،
وزادت هذه الأزمة على أزمة طليطة أضعافا لاتفساح مدة الحصار . وتضاعف
حقد العدو لصبرهم وطلبهم النصرة .

ذكر تغلب العدو على بلنسية في هذه السنة

لما بلغ بأهل بلنسية الماء الزبى ، وانتهوا من الصبر إلى الغاية القصوى ، ولا نصر ولا غوث ، ألبأتهم الحال إلى دخول العدو بحكم الاضطرار ، لا بحكم الاختيار . فتجمعوا إلى قاضيهم أبي المطرف ابن جحاف ، وسفروا إلى الطاغية الكبيطور - لعنه الله - من يتوسط لهم معه أخذ الأمان . فأجاب في هذا الشأن ، وعقد نيته على الختر ، ونقض العهد ، وإعطاء أمان مثله من الأنجاس . فخرج اليه القاضي ، وعقد عليه العقود ، وأخذ المواثيق والعهود ، وحزم في كل ذلك ، وبلغ الغاية التي ما بعدها غاية ، ولا وراءها لمجتهد نهاية ، فلما كمل الأمر فتحت له الأبواب ، ودخل المدينة يحملته ، وذلك في جمادى الأولى من هذه السنة فلم يعمل هو وأصحابه - لعنهم الله - ما يسوء المدينة وأهلها بحال من الأحوال ، فانتشطت الأنفس من عقاب ، وانبسطت الآمال ، وأمن الناس . وهو مع ذلك يراعي أمرهم ويمنعهم من الخروج من المدينة ، وحصل - لعنه الله - على هذه الحضرة ، ورمى على ما هي عليه من النعمة والنصرة والحسن والبهجة .

واشتد جزع المسلمين بدانية وما اتصل بها من ذلك الصقع من القلاع والقواعد ، وكثر شر الغارات من بلنسية عليها ، وتوالى الضرب وعظم الضرر ، وانقطعت السابلة ، وخافت الطرقات ، وصار أهل تلك الجهات في أضيقت من العزق ، وقد حميت الفتنة . فخاطب الناس أمير المسلمين مستصرخين معلمين بفساد الشرق ، وإشراف الأمة على الهلكة . فتحرك إلى مدينة سبتة ، وتقدم أمره إلى القبائل باللاحاق بها ، وأقام هنالك يحند الأجناد ، ويسرب الأمداد ، وجعل تلك الجيوش وأمرها إلى نظر ابن أخيه الأمير أبي عبد الله ابن أخي يوسف لأمه ، والأمير أبو بكر هو أيضاً ابن أخي يوسف بن تاشفين لأمه وابن

عه . وأوعز أمير المسلمين الى صاحب اغرناطة وما والاها أن يمدوه بأنفسهم ورجالهم ، وكتب الى صاحب شنت برية ابن رزين الملقب بالحاجب ، والى الشنيطي - وكان من أنجاد الفرسان ودهاة الحرب - ليجتمعوا مع ابن أخيه لاجتماع الكلمة واتصال المعاضدة والمظاهرة على منازلة العدو ببلنسية .

ولحق الجيش بالأندلس عقب شعبان المكرم ما ينيف على أربعة آلاف فارس ، واضعافها مرات من الرجال . وتحرك من أمر بالحركة الى الاجتماع به . وأقبلت دواب الميرة من كل صقع ، ونزلت المحلات على فرسخ من بلنسية . فصارت مصراً عظيماً . ورأى الروم بجزراً محيطاً ، وهموا بالفرار وإخلاء بلنسية إلا اللعين زعيمهم الكبيطور ، فلم يرعه في ظاهر الأمر ذلك الجمع ولا عباً به ، وكانت له في الطير عياقة وزجر ، يضيف الى ذلك مخرقة من كذبه ، يقوّي بها نفوس أصحابه ، وفي ذلك يقول أحد أهل بلنسية :

قولوا للذريق إن الحق قد ظهرا أو نقدوه إذا ما طيره زجرا
سيوف صنهجة في كل معترك تأبى لأطياره أن تصدق الخبرا

وعمد اللعين ، عند نزول المحلات عليه ، الى الضعفة من النساء والولدان من المسلمين فأزعجهم الى المحلة ، وقال : « الحقوا بأهل ملتكم ! » فوقعن الى أيدي السودان وخدمة الدواب والسفلة من الباعة فغلبوا عليهم وفسقوا بهم ، ولم يُرفع ذلك الى صاحب الجيش ، فيقع التغيير والنهي عن المنكر .

ثم رحلت المحلة الى دانية وغيرها ، فضاع الحزم وانتقض العزم ، وظهر العجز ، واختل الجيش ، وصاحبه في غفلة عنه ، مفتر بكثرتة ، يقدر أن الجيش بوفره ، ويتهاون بعدوه ، ويحسب أنه مثله على مثله . فبدت العورة ، وأمكنت الفرصة . وكان الكبيطور قد ضاقت نفسه من مقاومة هذا الجمع ، فاستجاش الأذفونش ، وشاع ذلك في محلات المسلمين ، فتوجست النفوس ، وأشربت خوفاً القلوب ، وكانت هذه الأمور ، دواعي لما جره المقدور .

ذكر غدر لذريق اللعين لمحلة المسلمين

ولما رأى لذريق - لعنه الله - ضياع المحلة ، وتفرق الناس عنها في كل جهة ، اعتبر الغرة وأعمل الحيلة ولم ينتظر النصر . فركب في بعض خيله ، وكمن البعض ليلاً على مقربة من المحلة ، وخرج صبح تلك الليلة بمن معه في أهبة وعلى تعبئة ؛ والناس في طمأنينة وعلى غفلة . فلما اشتهر من في المحلة ، وقعت الرجة وعلت الصيحة . وركب من بقي من المرتزقة والمطوعة ، ولم يبق في المحلة إلا الغلظة ومن لا يدفع عن نفسه . وصممت الخيل الى لذريق المذكور ، فاستطرد لهم إلى المدينة ، ونشطوا في أثره ، فاستدراً بالسور ، ولازمته الجيوش تصيب منه وتظهر عليه . فخرجت كائنة إلى المحلة ، فدوختها . وكان الأمير محمد ابن أخي أمير المسلمين شاكياً متخلفاً بها ، فبادر بالخروج عنها . واتصلت بالمسلمين الصيحة بدخول المحلة ، فبهت الناس ، ولم يشكوا ، لما كان في انفسهم ، أن الأذفونش طرقتها . فهام كل على وجهه ، واخذوا في غير طريق ، ومن صمد إلى المحلة ، فرأى النهب فيها ، والخيل تخرقها ، تنكب عنها ، فلم يرجع أحد اليها . وأقبل العدو على النهب ، ولم يتبع الفل ، ورفه عن الخيل لسقوطها من عنده بالضيعة لما لحقها ببلمسية . فلم يعمل سيف ، ولا أريق دم إلا أفذاذ رزقهم الله الشهادة .

واتصل النبأ بإذفونش - يوقه الله - وقد تجاوز في نصف طريقه لنصرة لذريق ، وبلغته هديته من نهب المحلة ، فكره أن يفرق جمعه ويخفق جيشه ، فقصد أرض وادي آش من نظر اغرناطة ، فتردد في جهاتها ، واكتسح ما ألفاه بها ، وحمل جملة من رعيته المعاهدة لعبارة أرض طليطلة .

واتصل النبأ ايضاً بأمير المسلمين يوسف ، فبلغ منه كل مبلغ ، واشتد غضبه على ابن اخيه لتضييع الحزم وإسلام المحلة دون حرب يقوم به عذرا

وانتقلت جيوش المسلمين إلى دانية ، ثم إلى شاطبة فابتدروا بمخاطبة أمير المسلمين معتذرين ، فأعرض عن كتبهم وأضرب عن جوابهم . ولما طال إعراض أمير المسلمين عن ابن أخيه ومن معه ، استلطفه ورجع في أمره إلى القضاء والقدر ، فسلم الأمر لله فيما قضى ، وعاد من العتب والسخط إلى الرضى ، وخاطبه بلزوم شاطبة لتشмир العادية ، عن تلك الناحية ، وقطع الطريق إلى بلنسية ، وحضه على الضرب عليها . فبلغ من ذلك ما في وسعه وبذل غاية جهده . ولم يزل أمير المسلمين يمد ابن أخيه بالأموال والرجال إلى أن عظم الجيش وكثف ، وضخم أيضاً أمر الفتنة والتعب . وبعد ذلك كتب إليه ، يأمره بالقدوم عليه . وبعث عوضه أبا الحسن علي بن الحاج ، فلحق بشاطبة وانضمت الجيوش عليه . وكانت هدنة على دخن !

ذكر حرق القاضي أبي أحمد ابن جحاف

ومحنة أهله وقرابته ومحنة أهل بلنسية .

ولما نهدت بلنسية للكبيطور - لعنه الله! - بدأ بثقاف قاضيها ابن جحاف وثقاف أهله وقرابته ، فعمهم الثقاف ، وبلغتهم المحنة ، وجعل يطلبهم بال حفيد ابن ذي النون . ولم يزل يستخرج ما عندهم حتى استصفى أموالهم واستنفد أحوالهم . فلما لم يترك لهم ظاهراً ولا باطناً ، أمر بإضرام النار ، وسبق القاضي أبو المطرف ، يرسف في قيوده ، وأهله وبنوه حوله وقد حشر الناس من المسلمين والروم . ثم قال للمؤمن المسلمين : « ما جزاء من قتل أميره عندكم في شرعكم؟ » فصمتوا ، فقال لهم : « جزاؤه عندنا الإحراق بالنار ! » وأمر به ويحمله إلى ذلك الضرم ، وقد لفح الوجوه على المسافة البعيدة . فضج المسلمون والروم ، وتضرعوا إليه في ترك الأطفال والعيال ، إذ لا ذنب لهم ، ولا علم بتلك الأمور عندهم ، فأسعف الرعية في رغبتهم بعد جهد ومدة

وترك النساء والصبيّة . وحُفر للقاضي حفرة ، وأدخل فيها إلى حُجْزته ،
وسوّي التراب حوله ، وضمت النار إليه . فلما دنت منه ، ولفحت وجهه ،
قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم ضمها إلى جسده . فاحترق - رحمه الله
تعالى -

ولم يكف غضب الطاغية عليه إلا لشدة صبره على تلك الأزمة ، واجتهاده
في طلب النصر ، ودفعه إياه بالمطاولة ، رجاءً في استمساك البلدة وإبقاء
الكلمة .

وعمد الطاغية - لعنه الله - بعد إحراق القاضي - رحمه الله - إلى
الجملة من أهل بلنسية ، فثقتهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ما عندهم وجعل
الناس في المحنة أسوة ، يأخذهم على طبقاتهم ، حتى عمتهم المحنة ، وهلك في
ذلك الثقات كثير منهم - رحمهم الله وجعلها كفارة لهم .

ومما امتحن به أهل بلنسية في هذه السنة المؤرخة الغلاء ، قال محمد بن
علقمة : بلغ رطل القمح في ربيع الأول بمثقال ونصف ، ورطل الشعير بمثقال ،
ورطل زريعة الكتان ستة أثمان مثقال ، وأوقية الجبن ثلاثة دراهم ، وأوقية
البصل بدرهم ، ورطل البقل بخمسة دراهم ، وببيضة دجاجة بثلاثة دراهم ،
ورطل اللحم البغلي بستة دنائير ، ورطل الجلد البقري بخمسة دراهم .

وفي ربيع الثاني ، عظم البلاء ، وتضاعف الغلاء ، واستوى في عدم
القوت الفقراء والأغنياء . فأمر ابن جحاف اقتحام الدور فحصاً عن القوت .
وأعاد ابن جحاف استصراخ ابن هود ورغبه في المال والبلد ، مع الأجر في
استنقاذ المسلمين من القتل والأسر .

وانسلخ هذا الشهر ، ورطل القمح بثلاثة مثاقيل غير ربع ، وما سواه
تابع له . ولا يصل إلى إدراك شيء من الموجود إلا أهل الجاه ، وترمق سائر

الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس ، ومن دون هؤلاء بالفثرة والقطط وجيف بني آدم . وهُجِم على نصراني وقع في الحفير ، فأخذ باليد ، ووزع لحمه . وجدّ الطاغية في حرق من خرج من المدينة إلى المحلة ، لئلا يخرج الضعفاء ويتوفر القوت على الأغنياء . فهان على الناس الإحراق بالنار ، فعبث فيهم بالقتل ، وعلقت جثثهم في صوامع الأرباض وبواسق الأشجار .

ودخل جمادى الأولى ، وعدمت الأقوات بالجملة ، وهلك الناس . ولم يبق من ذلك اللحم إلا نزر يسير . وتوالى اليبس ، واستحكم الوباء ، وبينما الرجل يمشي ، سقط ميتاً . ولم يبق ما يدب على أربع إلا اثنان لابن جحاف وابنه ، واثنان لابن رُتْبَيْر . وباع ابن رتبير فرسه من الجزارين بمائتي مثقال ، واستثنى منه عشرة أرطال ، فبيع الرطل منه أوله بعشرة دنانير ، وآخره بائتي عشر ديناراً ، ورأسه بخمسة عشر مثقالاً .

ولما بلغ الأمر إلى هذا القدر ، وابن هود يخاطب بالتسويق والمطل ، اجتمع الناس إلى الفقيه ابن الوليد الوقشي في التكلم لابن جحاف . فأخذوا الأمان بشرط التوقف ريثما يستصرخ من بمرسية وصاحب سرقسطة ، وعلى بقاء ابن جحاف على حاله آمناً في نفسه وماله وجميع أهله ، ويُخَلَّى اللعين عن المدينة بعد ما قدم عليها ابن عديس مشرفاً ، وتكون الأبواب بأيدي الروم البلديين إلى آخر الشهر المؤجل . وخرج الأرسال في منتصفه ، وهو جمادى الأولى . وفي هذا اليوم وصل القمح ثلاثة مثاقيل للرطل ، ورطل الشعير مثقالين ونصف ، وأوقية الجبن بعشرة دراهم ، وبيضة دجاجة بثمانية دراهم . وبعد ما نفذت الأرسال ، ارتفعت الحرب ، ولان السعر ، والحمد لله . وذلك لما انصرم الأجل ، خرج القاضي إلى الكبيطور يوم الخميس منسلخ الشهر المذكور . ثم صار وفتح الباب ، ودخل اللعين إلى المدينة مع جملة من رجاله . وصعد جماعة منهم ، فملكوا الأبراج والأبواب ، وتسابق الباعة من موضع المحلة بأعبز والفواكه إلى المدينة . وخرج أهل البلد إليها لابتياح القوت منها ،

فتهللت الوجوه ، وانبسطت النفوس ، إلا أهل العقول والنظر في العواقب .
واستمرت المحنة عليهم إلى أن دخل شهر شعبان ، فاتصلت الأنباء أن
عساكر المسلمين بمرسية . فأشاع الروم : « إنه متى نزلت علينا محلة المسلمين ،
أَمْضِينَا السيف على أهل بلنسية » ومشى بريجه : « من وجد عنده شيء
من آلات الحديد ، فماله ودمه حلال ! » فبرىء الناس منه حتى من الإبر
والمسامير ، ووضعوا ذلك بباب القصر ، وقد تضاعف الجزع والخوف . ثم
مشى بريجه من الغد بالخروج إلى البحر لجر القطع التي فيه إلى البر ، فلما تكامل
الناس ، لحق بهم المترجم مع زعماء الروم ، فميزهم ، فمن كان من أهل اليسار
صُرف إلى المدينة ، ومن كان من أهل النجدة جُرد وتُفِي ، وغلب على الظن
أنهم قتلوا ، فكان الحزن في دورهم . واستمرت الحال على ذلك شهر رمضان
ومحلة الأمير محمد بن تاشفين ابن أخي أمير المسلمين بقرب المدينة ، واجتمع
على الأمير محمد جميع عساكر المرابطين المغربية والصحراوية ، وجميع عساكر
الأندلس . فلحق به تأييد الدولة صاحب لاردة ، وسيد الدولة من طرطوشة ،
وحسام الدولة من شنت برية ، ونظام الدولة من البوننت ، فكانت أفعالهم
ضد ألقابهم ، ولحق الشنيطي من الثغر ، وابن ياسين صاحب شرب وابن
يَمَلُول صاحب حصن الأشرف وغير هؤلاء المذكورين ، واستهل هلال شوال
وصلى الناس بمنزل عطاء على ساقية هواره ، ومن كان بالمدينة من النصاري
المعاهدين يتصنع لمن بها من المسلمين ، ولا شك عندهم في غلبتهم لهم .

وفي الثامن من شوال ، أشاع اللعين ابن ردمير (ملك ارغون)
لحق بجملته لنصرته ، فأعمل الحيلة وأخرج جمعا من الروم ، وأمرهم أن
يشغلوا المسلمين بالتناوش ليظنوا أنه الكبيطور ، وخرج هو من حومة
أخرى ، فأجفلوا أمامه ، فأخذ إلى المحلة ، فدوختها خيله ؛ واتصل الصراخ
بالأمير محمد ، فكر إليها ، ومتى انقض الناس عنه والمحلة تنهب ، فتوقف
العدو عن الاتباع وأقبل على النهب . ثم رجع إلى المدينة ، فمشى بريجه

باجتماع المسلمين الى القصر ، ثم خرج عليهم ونظر اليهم وعرض بذكر
المرابطين وكثرتهم وأن ذلك ما أغنى عنهم ، وجعل ينظر في عطفه ،
ويشمخ بأنفه . ثم قال : « انظروا إلي في سبعمائة الف مثقال ، وإلا هلكتم ،
وأحلت السيوف عليكم ، ثم خرج وبقي المسلمون في القصر ، وأغلق
عليهم الباب ، فصاروا في سجن ، والروم تحفهم بالأسلحة ، فرأوا الموت ،
ووقع البهت ، وخرست الألسنة . ثم رجع اليهودي وزيره اليهم ، وقال لهم :
« لم أزل ألاطفه حتى قاطعته عليكم بمائتي الف مثقال فبادروا بتوزيعها ،
وافدوا أنفسكم منه » فتوزع العدد على الأحوال واشتد ثفاف الأغنياء .

وبلغ اليهودي - لعنه الله - من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب وسلط
اليهود على الاسلام ، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية ، ومنهم الأمناء
الموكلون ، والمتصرفون ، وأصحاب الرسوم ، وخدام البر والبحر . وجلس
اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضرب بالعصا والسوط ، وقبض لكل
منهم شيطاناً يخرج معه كل عدو ، فإن جاء بشيء وإلا أخذ بالسوط والعذاب ،
وتمادت هذه المحنة مدة ، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم .

.. رجائين من اجناد رجاله وبقي المستعين بن هود المذكور في محاربة مع
الروم الى ان وصل انته ... ذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر فتح بلنسية وعودها للمسلمين

قال أبو بكر يحيى بن محمد الانصاري : اخبرني ابو عبدالله البوني قال :
لما لحق الامير مزدلي ... صدر ذي القعدة من السنة الفارطة نزل بمقربة منها ،
كما تقدم ذكره ، وكان الروم الذين بالمدينة قد استصرخوا ملكهم الاكبر
اذفونش فتوجه اليها بجيش أخشن ، فلما كان على فرسخين منها أفرج الامير

مزدلي عنها وصار بمحلته الى قلييرة ^(١) فأقام الاذفونش ببلنسية نحو شهر والروم ترومه على التمسك بها ويرغبونه فيها ويهونون عليه امر جيوش المسلمين ، فلما ألحوا عليه خرج يحيوشه لقصد قلييرة وهو يظهر القصد لأكل الزرع وفساده - يستر استطلاع جيش الامير مزدلي في باطن امره - فتحرك الامير مزدلي لما اتصل به ذلك من هنالك وكتب الكتاب ، وعباً المواكب في وجه الاذفونش ، فظهر لأذفونش من عزمه وصرامته وقوة جأشه ما ظهر . فكانت بين الفريقين مكافحة عظيمة عامة النهار ، [وعند] المغرب [اخذ] الاذفونش في الصّدْرِ الى بلنسية وجدّ في اخلائها وخرج يجميع من كان فيها من الروم ، واضرمت النار في الجامع والقصر وبعض الدور ، وصدر الامير مزدلي الى بلنسية في شهر رجب فأنقذ الله بلنسية من يد الشرك وملكة الروم وطهرها وصرف اليها نور الاسلام ودين محمد عليه السلام بعد ثمانية أعوام وشهر ونصف وبعد نفوذ القدر السابق في علم الله تعالى ... وهلك من هلك بها ، جعل الله ذلك تمحيصاً لهم وتطهيراً بعزته ^(٢) . ووليها في هلّ ذي الحجة القائد أبو محمد عبدالله بن فاطمة ، ثم استناب فيها ونهض الى سرقسطة فوافاها ثاني عيد النحر مع الف وخمسمائة فارس وذلك لما وصل ولد ابن هود من العدو بكتاب من أمير المسلمين ، وبعد وصول هذا الكتاب توجه القايد ابو محمد عبدالله بن فاطمة اليها بجيش كثيف من الف وخمسمائة فارس فوفاه ثاني عيد النحر من السنة المؤرخة .

وفي هذه السنة اخذ امير المسلمين في الحركة من حضرته مراکش برسم الجواز الى الأندلس ... المرسوم بالانوار الجليلة فلما جاز ... ثم صدر الى اغرناطة [وعقد عليها] للقائد علي بن الحاج وجمع اعلام المرابطين والرؤساء

(١) هي Cullera وتقع الى الجنوب من بلنسية ولعل الأصوب أن يقال فيها « قلييرة » .
(٢) ذكر ابن بسام في الذخيرة (القسم الثالث ، الورقة : ٣٢) أن استرداد بلنسية كان في شهر رمضان سنة ٤٩٥ .

الأندلسيين في حال البيعة [لابنه علي] . ووجه احمد بن هود المقتدر بالله ^(١) ابنه عبد الملك المدعو عماد الدولة من روطه ^(٢) الى قرطبة بهدية جليلة منها اربعة عشر ربعا من آنية الفضة مطرزة باسم المقتدر بن هود فأمر يوسف بن تاشفين بضرها قراريط وفرقها ليلة عيد النحر في طبقات المرابطين ؛ [وفي ذلك الوقت عقد البيعة لولده علي بن يوسف] ^(٣) وحضر العهد ^(٤) عبد الملك ابن المستعين بن هود ، وكتبه ابو بكر بن القصيرة ^(٥) .

وفي هذه السنة توفي ملك شنتمرية ^(٦) من ثغر الأندلس الملقب بذي الرياستين حسام الدولة ^(٧) وكانت رياستهم في هذا القطر من سنة احدى واربعين واربعماية اولهم مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن ازحن ^(٨) ثار بها ودام ملكه فيها الى ان مات : ثم قام بعده اخوه عبد الملك الى ان مات [ثم ولي ابنه هذيل] ^(٩) ثم ثار بعده ابنه ذو الرياستين هذا حسام الدولة وقمادى ملكه بها الى ان مات في هذه السنة وولي بعده ابنه ^(١٠) مدة يسيرة وصار امره الى امر الامير يوسف .

(١) الصواب : المستعين بالله وهو حفيد المقتدر بالله ؛ وخبر هذه الهدية في أعمال الاعلام : ١٧٤ وفي الحلة ٢ : ٢٤٨ .

(٢) روطه (Rueda) من مدن الثغر الأعلى ، كانت تابعة لسرقطة .

(٣) زيادة من أعمال الاعلام : ١٧٤ .

(٤) في المطبوعة : البيعة .

(٥) في الحلل الموشية نص هذا العهد ، ويذكر أن الذي كتبه هو الوزير الفقيه أبو محمد ابن عبد الغفور (ص : ٦٣) .

(٦) هي شنتمرية الشرق او سهلة بني رزين Santa Maria de Albarracin وهي في كورة شنتبرية Santaver في الثغر الأوسط ، وتقع على أحد فروع نهر تاجه .

(٧) انظر ترجمة عبد الملك بن هذيل في الحلة السراء ٢ : ١٠٨ وهو عند ابن الأبار يلقب بحسام الدولة .

(٨) في الحلة السراء : بن خلف بن لب بن رزين .

(٩) زيادة من الحلة يصح بها السياق .

(١٠) سماه ابن الأبار : يحيى ، قال : وعليه انقروا ملكهم .

وفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة اخذ يوسف بن تاشفين في الحركة الى
حضرة مراکش من بلاد الاندلس لما كمل امر البيعة لابنه علي وضبط احوالها
وتقديم عمال للنظر في اشغال التحرك ، صار الى العدو وأوعز الى ابي الحسن
علي بن الحاج عامله على اغرناطة في النهوض الى شرق الاندلس واستحثه في
السير ، فلحق به كتابه وهو على مقربة من الجزيرة الخضراء ... بامتثال امره
ووصل علي بن الحاج الى بلنسية في شهر صفر .. الامير يوسف في ...
كتب اليه جوابه في محلة مضاربه واقام علي ابن الحاج ببلنسية الى شهر
رمضان فورده ... الخبر عن منازلة اذفونش بن فرذلند مدينة سالم فتوجه
بجملته وافرة من الخيل والرجال ... فلما احتل بقلعة ايوب استمد القايد
الاعلى ابا محمد عبدالله بن فاطمة فبادر اليه ... تفاوض فاجتمع الرأي على
غزو بلاد العدو فلحقا مدينة طليطلة من ... سرقسطة .. المحلة واتصل بالحل
والترحال فوافوا مدينة طليطلة فخرج منها ... والحرب تدور على الدوام
وبأخرة أحلت .. الامير علي بن الحاج رحمه الله ... في طرف المترك
ميتاً بدرعه وسلاحه ... ولا ضربة ... الى تطيلة فدفن في قبلي جامعها
وانصرف ... قاهراً ومالاً وافراً ، فاقتفى اثر ابيه وسلك سبيله في عضد الحق
وانصاف المظلوم ... الظالم وأمن الخائف وسد الثغور ونكابة العدو فلم يرم
السداد في اعماله ، والتوفيق في حسن افعاله ، وكان اخص الناس به ابو محمد
عبدالله بن اسباط فجعله المترجم عن بيانه ، وأقامه في الاوصية مقام لسانه ،
وناط به الآمال ، وأوطأ عقبه جماهير الرجال .

وفي سنة ثمان وتسعين شاع الخبر بالاندلس بمرض الامير يوسف واستيلاء
الآلام عليه ، وخاض فيه اهل الدولة الذين يستنبطون الفوائل ، ويشملون
نيران الشقاق والنفاق ، واتصلت الاخبار بالطاغية اذفونش على غير صورتها ،
وجلبت لديه في غير معرضها ، وصوّرَ عنده ان بلاد المسلمين من الرجال قد خلت ،
ومن الحماة وذوي النجدة قد تفرغت ، وظنّ انه من هذا الحادث قد اضطربت
الامور ، وانحل نظام التدبير ، فخرج الاعداء في زهاء ثلاثة آلاف وخمسمائة

فتوغلوا في نظر اشبيلية حتى وصلوا الى موضع يعرف بمقاطع ، فغنم من تلك القرى الغنائم الوفيرة والاسلاب الكثيرة ، وخرج ابو محمد سير من اشبيلية وتحصن في حصن هنالك ، وتلاحقت به أجناده وامداده ، وبقي هناك مرتقباً لورود ابي عبد الله ابن الحاج بعسكر اغرناطة الى ان استوفت العساكر فهرب جميع الكفرة وولوا امامهم فارين مهزومين ، وبلغ المسلمون الشفاء من القتل فيهم ، وكاد السيف يستأصلهم ويفنيهم ، وصح بعد هذا الفتح الجليل أن الذي قتل منهم الف وخمسمائة .

وفي هذه السنة تنهى القحط في بلاد الاندلس والعدوة حتى ايقن الناس بالهلاك .

وفي سنة تسع وتسعين تزيّدت بالامير يوسف علة التي قبض منها . وفيها صدر الامير تيم عائداً من شرق الاندلس ووصل مراکش بسبب ذلك (١)

وفيها عزل موسى ابن الحاج عن اغرناطة ووليها ابو بكر بن ابراهيم اللمتوني .

وفيها قرىء باشبيلية كتاب نفذ من ولي العهد بتأخير القاضي ابن [منظور] وفي هذه السنة خرجت سبعون قطعة من البحر الغربي وقصدت بيت المقدس فلما توسطت البحر [هبت] عليها ريح فرققتها واغرقتها فلم يرجع شيء منها وكفى الله المسلمين شرها .

وفيها ظهر نجم منظور الضوء طويل الذؤابة ... كأنها طيرة المجرم تمادى نحو ثلاثة اشهر .

وفي سنة خمسماية استأثر الله امير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى وذلك يوم الاثنين مستهل شهر المحرم من السنة (٢) .

(١) يعني بسبب اشتداد المرض على أبيه .

(٢) في الحلل الموشية : ٦٧ « وقد مات في شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٠ » .

بعض اخباره على الجملة

... كان خائفاً لربه كتوماً لسره كثير الدعاء والاستخارة مقبلاً على الصلاة ، [يا كل من عمل] ^(١) يده ... اكثر عقابه كان الاعتقال الطويل إلا من انتزى وشق العصا «فالسيف احسم لانتشار الداء» .

كنيته : ابو يعقوب .

ديناره تبر في احدى صفحته : « لا إله الا الله محمد رسول الله . »
وتحت ذلك : « أمير المسلمين يوسف بن تاشفين » . وفي الدابر : « ومن يبتغ
غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » الآية . وفي الصفحة الاخرى اسم امير
المؤمنين العباسي .

عنوان كتبه : من امير المسلمين وناصر الدين الى فلان .

وكان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الامور اليهم ، ويأخذ فيها
برأيهم ، ويقضي على نفسه بفتياهم ، وولع بالاختصار في ملبسه ، وما زال الى
أن لقي الله مجدداً في الامور ملقناً للصواب فيها مستصحباً حال الجدة مؤدياً
الى الرعية حقها من الذب عنها والغلظة على عدوها وافاضة للأمن والعدل فيها ،
ويرى صور الامور على حقيقتها ، وكان معظماً مهوباً لا يخلد الى راقبة ولا يسكن
الى دعة .

نسبه : هو يوسف بن تاشفين بن ترجوت بن ورتانطن بن منصور بن مصالة
ابن امينة ابن وانمالي الصنهاجي ، وقد ذكر الهمداني في كتاب «الاكلیل» ان
صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير ، واجتمعت الروايات ان
صنهاجة من حمير .

(١) زيادة من الحلل .

وطوى الدهر امير المسلمين يوسف فاسترجع ما وهب ، وقبض وهو على
أوله في الحزم والعزم لنصر الدين واظهار الكلمة وعضد الاسلام ، وقد
امتدحه الشعراء في حركاته وغزواته وصدوره ووروده فأجزل لهم العطاء ،
ورثاه جماعة منهم ابو بكر بن سوار^(١) من جملة مراثيه وانشدها على قبره :

ملك الملوك وما تركتَ لعاملٍ
يا يوسفُ ما أنتَ الا يوسف
اسمع أمير المؤمنين وناصر الـ
جوزيت خيراً عن رعتك التي
اما مساعيك الكرام فانها
في كل عام غزوة مبرورة
تصل الجهاد الى الجهاد موقفاً
ونجياً ما دبرته كنجيته
متواضعاً لله تظهر دينه
ولقد ملكتَ بحقك الدنيا وكم
لو رامت الأيامُ ان تحصي الذي
انا لمفجوعون منك بواحد
واذا سمعت حمامةً في أبكةٍ
ومضى قد استرعى رعيته ابنه
واذا هزبر الغاب ضرئى شبله
واذا (عليّ) كان وارث ملكه

عملاً من التقوى يشارك فيه
والكل يعقوبُ بما نطويه
سدين الذي بنفوسنا نفديه
لم ترضَ فيها غيرَ ما يرضيه
خرجت عن التكييف^(٢) والتشبيه
تردي عديد الروم او تقنيه
حتم القضاء بكل ما تقضيه
فكان كل مغيب تدرية
في كل ما تبديه أو تخفيه
ملك الملوك الأمر بالتمويه
فعلت سيوفك لم تكن تحصيه
جمعت خصال الخلق أجمع فيه
تبكي الهديل فانها ترثيه
فأقام فيهم حق مسترعيه
في الغاب كان الشبل شبل أبيه
فالسهم ملقى في يدي باليه^(٣)

(١) محمد بن سوار الاشبوني ابو بكر ، أسره الروم بمدينة قورية مدة من الزمن ثم فده
أحد بني عشرة أعيان سلا فأكثر من مدائحه فيهم (الذخيرة القسم الثاني : ٣١١ والمغرب
١ : ٤١١) وقصيدته في رثاء يوسف وردت في الذخيرة : ٣٢٢ .

(٢) الذخيرة : التحديد .

(٣) هذا البيت لم يرد في الذخيرة

ذكر دولة امير المسلمين علي بن يوسف

ولما استأثر الله بامير المسلمين يوسف بن تاشفين وصى الامر الى ولده ولي عهده علي أمير المسلمين ، فاضطلع أبرع اضطلاع ، وقام احمد مقام ، وألبسه الله المهابة ، وقذف له في القلوب المحبة ، فاجتمعت عليه الامة ، واتفقت الكلمة ، وبعد مواراة ابيه خرج ويده في يد اخيه ابي الطاهر تميم [علي] قبايل المرابطين والمصموديين وغيرهم من زعماء القبايل ورؤسائهم ، فنعياهم اليهم ، وجدد ابو الطاهر بيعة اخيه واخذ الحاضرين بذلك فاستتب الامر ، وبادر الامير ابو الطاهر الى مكناسة بالجيش والامير يحيى ابن ابي بكر بفاس والامير مزدي بتلمسان ، وكان الامير سير ابن ابي بكر في طاعة اشبيلية ، ولحق الامير ابو بكر ابن ابراهيم بغرناطة في ربيع الاول من هذه السنة . وقصده زعماء الاقطار مهنئة وامتدحته الشعراء فوهب الهبات لهم ؛ وكان خروجه من غرناطة في رجب العام المذكور .

ذكر حركة امير المسلمين علي بن يوسف من مراکش الى الاندلس

وتحرك امير المسلمين علي بن يوسف من حضرة مراکش مع جيوش المرابطين والمصموديين والجنود والحشود يوم الجواز الى بلاد الاندلس لتفقد اهلها وسد خلاها ، وأغذ السير الى ان وُصل الى مدينة سبتة وجاز البحر منها الى الجزيرة الخضراء ، فبادر اليه قضاة الاندلس وفقهاؤها وزعماؤها ورؤساؤها وادباؤها وشعراؤها ، فامتدحته الشعراء فأجزل لهم العطاء وقضى لمن كان ذا ارب اربه ، وسنى لكل ذي مطلب مطلبه ، فولى اخاه ابا الطاهر تيمماً أغرناطة ، وولى ابا عبد الله محمد بن أبي بكر اللتوني قرطبة ، وبقي محمد بن الحاج

تحت الحمول (١) الى ان ولاء بعد ذلك مدينة فاس ثم نقله الى بلنسية في سنة ثلاث . قال ابن الصيرفي : وجرت في هذا العام أحداث ، ذكر في كتاب « تقصّي الأنباء في سياسة الرؤساء » : وفي هذا العام انبرى ابو العلاء بن زهر (٢) الى مطالبة القاضي ابن منظور باشبيلية وخبر ذلك ابن زهر « اعتل » فذكر ذلك للقاضي فقال : « وطبيب ماهر يمرض !! » فنهى ذلك الى الوزير أبي العلاء ابن زهر فحرّك منه وقال :

ان ابن منظور تعجب هازلاً لما مرضت فقلت : يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائماً (٣) فمن الفقيه (٤) المرتضى أكل الرشا

فأنفذ امير المسلمين عليّ اليه كتاب عزله .

ولما كملت اشغال حاز بها اللانداس [؟] ... امورها وعمت البيعة دانيها وقاصيها صدر الأمير علي بن يوسف الى سبتة وادي مشيه في ... الى حضرته مراکش .

وفي سنة احدى وخمسمائة ورد الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بفرناطة والياً عليها فاطمأنت النفوس وهجرت العيون ... بملكته وظهر به جمال دولته ، ونظر الأمير أبو الطاهر في أسباب الفوز وأحسن إلى الجند وخرج منسلخ شعبان المكرم من العام ، فلما احتل الجيش مدينة جيان تلوم بها الأمير أبو الطاهر أياماً حتى وفدت عليه الجيوش والعساكر من قرطبة وغيرها

(١) قد وضع ابن الأبار في معجم أصحاب الصدي : ١٣٣ سبب هذا الحمول ، فذكر أن محمد بن الحاج كان والياً على قرطبة ، فلما ولي علي بن يوسف الامارة بعد أبيه رام ابن الحاج القيام عليه ودفع امرته وتلكأ في بيعته ، ومالاه الملائكة من أهل قرطبة ومشيختها وفقهاؤها سنة ... ، فقبض عليه ونكب وفسد تدبيره ثم رضي عنه علي بن يوسف وولاه مدينة فاس وأعمالها .
(٢) هو أبو العلاء زهر بن عبد الملك ، حظي في أيام المرابطين وكان قد اشتغل بالطب منذ أيام المعتضد حتى أصبح من البارزين فيه (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٤)

(٣) ابن أبي أصيبعة : يمرض دهره .

(٤) في المطبوعة : فمن الامام .

واستقبل على حصن أفلش^(١)، فاضطربت المحلات بازائه وانتشرت الحروب عليه الى ان دخله عنوة وامتنع اهله في قصبته والحروب محدقة به ، وفي خلال ذلك وصل اليه ولد اذفونش شانجه . من زوج المأمون . التي كانت تنصرت^(٢) - بنحو سبعة آلاف فارس فكانت بينه وبين جيوش المسلمين حروب يطول ذكرها كانت الدائرة فيها على الروم ، مات فيها شانجه بن الفنش أخزاهما الله ، ورجع الامير أبو الطاهر الى اغرناطة . قال ابن الصيرفي : فكان ذلك دليل اليمن والبركة بولاية علي بن يوسف في اول دولته وكانت الواقعة على الروم وموت شانجه المذكور في ... شوال . وفي آخر هذا العام مات اذفونش لعنه الله تعالى .

بعض اخبار الاذفونش ملك قشتالة اخزاه الله

قال الراوية : هلك طاغية الروم الاعظم اذفونش بن فردلند بطليطة في شهر ذي الحجة من عام اثنين وخمسمائة وكان ملكه نيفاً على خمسين سنة بأشهر وهو اذفونش بن فردلند بن غرسية بن شانجه بركة^(٣) وكان لغرسية بن شانجه بركة ثلاثة اولاد غرسية وفردلند وردمير قال ابو بكر بن عبد الرحمن : كان غرسية اشجع اخوته وقتله اخوه فردلند في حرب كان بينهما وترك ابنين قام احدهما بالملك وهو شانجه وخرج الآخر الى بلاد الاسلام وهو الفنت الذي احرق جامع البيرة وقتل لعنه الله بروطة بسبب يطول شرحه هنا ويقولون في اسم الفنت^(٤) الهنت يصرفون الفاء هاء في النطق ، ومعناه عندهم ابن الملك ،

(١) أفلش (Ucles) في كورة شنتبرية ؛ وعندها المعركة المشهورة التي انتصر فيها أبو الطاهر تميم سنة ٥٠٢ هـ ، انظر تفصيل الخبر عنها في روض القرطاس : ١١٨ وفظم الجمان : ٥ وما بعدها ، ومقالة للاستاذ هويسبي ميراندا عن المعركة بمجلة تطوان ١٩٥٧ .
(٢) المأمون ابن المعتمد بن عباد وزوجه هي زائدة (انظر الاسلام في المغرب والاندلس) .

(٣) Sancho Abarca

Infante (٤)

كما عند الفرس سابور ؛ وهلك غرسية بن شانجه بركة وقد قسم البلاد بين بنيه واختص فردلند وردمير بملكه مناصفة ، ولم يكن لردمير من الولد الا شانجه : فلما قتله المقتدر بالله بن هود في الحرب التي كانت بينها قام بالملك بعده شانجه وحده فلما هلك ترك ابنين بطرة واذفونش المصروع على أفراغه بما افضى الى هلكه .

ولما اشرف فردلند على الهلك ايضا قسم بلاده ^(١) بين اولاده شانجه واذفونش وغرسية فخص شانجه بملك برغوش ^(٢) وقشتالة وما حولها من المدن وخص اذفونش بليون وما حولها من المدن وخص غرسية بغليسية وبرتغال ففسد ما بين شانجه واذفونش وكانت بينهما حرب أتت على أكبر رجالهما ، ثم ظفر شانجه بأخيه اذفونش فأسره وحبسه مصفدا عنده في قشتالة مدة ثم حل اعتقاله ونقاه عن بلاده فلحق بالمأمون بن ذي النون بطليطلة وبقي عنده مدة كانت سبباً لتطلعه على احوالها حتى استولى بعد ذلك عليها وقد تقدم ذكره فيه . وكانت لشانجه واذفونش أخت يقال لها أراكة ^(٣) تميل الى أخيها اذفونش فدخلت بعض رجال أخيها شانجه على قتله ، وخرج شانجه يتصيد في [لمة] من خيله وفي جملته الداخل في قتله ، وتسابقت تلك الخيل الجري فأجرى ذلك الفارس وبيده رمح معدة ، فلما قرب من شانجه طعنه فقتله ، ومر على غلوائه الى حصن سمورة وبه أراكة اختها فاعتصم بها ... الدعوة بالاذفونش واتخذ فيه ، فلحق للحين ، وانفرد بالملك . فلما استوسق امره قتل قاتل أخيه وقال بلغته : « عمل جيد وعادة سوء » . ويذكر ان اذفونش بن فردلند لعنه الله زنى بأخته أراكة فجمع بين النصرانية والمجوسية ثم طلب الى أحبار دينه المغفرة مما واقعه فحملوه على قصد الكنائس الفاضلة والتعبد - أخزاهم الله ولعنهم - ؛ ثم فسد ما بين اذفونش وغرسية فكانت بينهما

(١) انظر أعمال الأعلام : ٣٢٩ وما بعدها .

Burgos (٢)

Urraca (٣)

حرب أسر فيها اذفونش لأخيه غرسية فحبسه ثم دس عليه من قتله . . في محبسه وانفرد في مملكته الى ان توفي هذه السنة المؤرخة .

وفي هذه السنة فسد صلح المستعين بالله احمد بن هود مع الروم وعادت الفتنة بينه وبينهم على ما اذكر بعضه .

وفي سنة ثلاث وخمسمائة تحرك امير المسلمين علي بن يوسف من مراکش الى الاندلس برسم الغزو والجهاد وفتح مدينة طليبة^(١) وذلك أنه لما تمهدت المملكة لعلي بن يوسف ببلاد المغرب تحرك الى الاندلس فأجاز البحر ويمم أغرناطة وتلوّم بها ريثما اجازت العساكر العدوية والحشود والمطوعة وتأهبت الجيوش الاندلسية ، ثم تحرك الى قرطبة وأقام بها أياماً ومشى البريح باعياد ، ولحقته الجيوش والاجناد ، وتحرك منها الى مدينة طليبة فنزل عليها ثم دخلها ووقع النهب والسبي فيها واعتصم الروم في قصبتها وأجارهم الليل فرموا بأنفسهم في النهر وتسربوا بين المحلات فأفلتوا وامتلات ايدي المسلمين بالسقط والثياب والماشية والاسلحة ، وطهر الجامع وردّ على الهيئة المسلمة ورجع به حرامه واقامة الصلوات ومحا الله منه الكفر ، وندب لها امير المسلمين الخيل والرجال والرماة وقوّد عليهم احد المرابطين ورحل الامير علي عن طليبة ، فاستقبل طليطة فأناخت محله عليها ثلاثة ايام ... الضيقة ... وساءت ظنون اهلهما مع ما هي عليه طليطة من الحصانة والمنعة [ودامت] عليها الحرب يوم الخميس والجمعة والسبت وأخذت الجيوش في القفول يوم الجمعة وانقضى امر هذه الحركة في اربعين يوماً فصدر علي بن يوسف وقد دوخ تلك البلاد ولم يعمد في ذلك الوقت مثل هذه الغزوة قوة وظهوراً وعدة ووفوراً ونكاية في العدو وبقي رعبه في الروم .

(١) عين ابن القطان تاريخ هذه المعركة، اذ ذكر أن علياً بلغ طليبة يوم الخميس الثالث عشر من المحرم سنة ٥٠٣ أي ١٢ أغسطس سنة ١١٠٩ (انظر ص ١٣) .

ومن أخبار المستعين ابن هود في هذه السنة

قال الراوية : نزل المستعين أحمد بن هود حصن روطة الى مدينة سرقسطة فجدد البيعة عن اهلها لنفسه ولابنه بولاية عهده ، فلما كمل له من تجديد البيعة أمره عزم على الغزو على بلاد الروم المجاورين له ، فجمع وحشد وسار في جيش دهم وتحرك في شهر جمادى الآخرة فاجتاز بمدينة تطيلة ودخل منها على أرنبة^(١) فغلب على أرباضها ، واعتصم اهلها منه بكنيسة منيعة^(٢) ، ثم صالحهم^(٣) على مال يؤدونه اليه^(٤) أخذ به رهائن منهم ، ثم انصرف قافلا عنهم ، وشن في صدره الغارات على من بذلك الصقع من الروم وهدم وحرق وقتل وسبى وعاد الى بلاده فلما شارف بلاد الاسلام لحقته خيل الروم المتألفة من البلاد في أول يوم من رجب الفرد^(٥) فاجتلدوا أحراً جلد ، وصبر الفريقان وطال الضرب ، واستشهد المستعين بن هود وانقض الجمع والحم السيف ... على كثير من المسلمين ، كرمهم الله بالشهادة اجمعين .

وولي عبد الملك الملقب عماد الدولة بعد استشهاد أبيه وبايعه الناس بسرقسطة بعد ما اشترطوا عليه ألا يستخدم الروم ولا يتلبس بشيء من أمرهم ؛ واتصل بعبد الله بن فاطمة موت المستعين فطمع في سرقسطة وتحرك اليها وذلك على نحو شهر واحد من الواقعة ، فلما انتهى الى مقربة منها وجه اليه اهلها ان ينصرف عنهم ولا يبدأ الفتنة مع المبايع له خشية استصراخه بالروم فيعود الحرب على الأول ثم بعد ذلك لم يف عماد الدولة ابن المستعين بالشرط الذي ألزمه نفسه من طرح الروم وتركهم ، فعزم على مداخلتهم ، وفهم منه ذلك أهل سرقسطة فاستدعوا

(١) كذا ولعل صوابه « أرنيط » كما هو في أعمال الاعلام .

(٢) في أعمال الاعلام : عتيقة .

(٣) في المطبوعة : صلح .

(٤) في المطبوعة يورد رن . والتصويب عن أعمال الاعلام .

(٥) من عام ٥٠٣ - ٢٤ يناير ١١١٠

الأمير محمد بن الحاج صاحب بلنسية من قبل أمير المرابطين معوضاً به من الأمير عبد الله ابن فاطمة الوالي على غرناطة ، فوافاها صبيحة يوم السبت العاشر من ذي القعدة ففتحت له الأبواب ، ففتحها واضطربت المحلة في الشريعة منها ، ودخل المرابطون سرقسطة وتقدم أهلها لمحمد بن الحاج ، فدخل الجعفرية وصار القصر المذكور في ملكه تحت ثقافه ، فجری ابن المستعين على سيرة أبيه وصانع اذفونش ابن ردمير فاستجابه ووافاه بحصن تطيلة ، ومحمد بن الحاج بالجيش في تلك الناحية . ثم انصرف الى سرقسطة وتقدم ابن ردمير حتى كان منها على فرسخين فابتدر ابن الحاج الى حرمة وأمر الناس بالخروج اليه للمحاربة ، ورتب الناس على هيئة الأبهة والرتبة عامة يومهم ، وبآخره أدخلوا مراكزهم وتسلسلوا الى المدينة ، فظهر الخلل والتسلل ، وانتهر ابن ردمير الفرصة وقسم جيشه فرقتين وصدمت احداها ابن الحاج وصدمت الاخرى ابنه ابا يحيى فتفرق الناس عنه واستشهد هناك ^(١) وفقد في تلك الواقعة جملة من المسلمين وذلك عشية يوم الاحد منتصف شهر ذي الحجة من السنة المؤرخة .

تلخيص التعريف بتاريخ من ملك سرقسطة وبعض اخبار البلاد

الشرقية من بني هود رحمهم الله الى هذه السنة

كان استيلاء المستعين سليمان بن هود الجذامي على طاعة منذر بن يحيى وتغلبه على شرق الاندلس في ذي الحجة من سنة ست وثلاثين واربعمئة وكان هذا المستعين صاحب مدينة لاردة وبلغني ^(٢) واجتمع ذلك الثغر كله سرقسطة وتطيلة وقلعة ايوب ودروقة ووشقة وبربشتر ولاردة وبلغني ومدينة سالم ووادي الحجارة الى ان توفي في سنة ثمان وثلاثين واربعمئة . فولى ابنه المقتدر

(١) يجب ان نفهم هنا ان بن عذارى يشير الى استشهاد ابي يحيى لا محمد بن الحاج إذ أنه سيعود الى ذكر محمد بن الحاج في الفقرة التالية في حوادث سنة ٥٠٤ هـ وما بعدها .

(٢) في الأصل : وبلغني ، وهي Balaguer وتكتب في المصادر الاخرى مضبوطة بالعين .

بإله أحمد بن سليمان بن هود في سنة ثمان المذكورة ، وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة وكانت مدة ولايته ستاً وثلاثين سنة ، وولي ابنه المؤتمن سنة أربع المذكورة، وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وكانت مدته أربعة أعوام . وولي بعده المستعين بن هود المقتول في ملحمة يوم الاثنين مستهل رجب من السنة ثلاث وخمسمائة المؤرخة . وولي عماد الدولة أحمد بن أحمد المستعين ابن المؤتمن بن أحمد المقتدر بن سليمان المستعين بإله بن هود الجذامي في غرة رجب من هذه السنة وأخبره أهل سرقسطة كما تقدم ذكره في يوم السبت العاشر من ذي القعدة ودخلها عامل علي بن يوسف .

وفي سنة أربع وخمسمائة استقر محمد بن الحاج بسرقسطة وابن ردمير يساجله الحرب والظهور عليه وعبد الملك بن المستعين معه في جيوش تعضل بها الأرض، فنزل على نحو فرسخ من المدينة ومحمد بن الحاج يناوشه الحرب صباحاً ومساءً إلى أن لحق أبو عبدالله بن عايشة الوالي على مرسية من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف بعسكرية مرسية والطاغية ابن ردمير صادر إلى بلاده والعساكر المسلمة في أثره ، ولم تزل بعد ذلك الحرب متصلة والمضارب مترددة وغزوات محمد بن الحاج متوالية إلى أن توجه علي بن كنفاط اللمتوني بعسكر من المرابطين في جهة قلعة أيوب فنازل حصناً من حصون ابن المستعين وضيق عليه وأخذ بمخنقه ، فلما نال منه الضغطة استصرخ أهله بإبن المستعين صاحبهم ، فوجه إليه مدداً من الروم شفى أمره حتى دخل الحصن وخرج منه ليلاً على المحلة والناس على طمأنينة فتغلب العدو على المحلة وأسر أميرهم ابن كنفاط ، وصدر المدد الرومي به إلى روضة فبقي في اعتقال ابن المستعين مدة ثم خلى سبيله فكان مهادنة ثم كانت حرب ، والحرب سجال والنفوس آجال .

وفي هذه السنة خرج الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عن أغرناطة وولي مدينة تلمسان واستقر بها .

وفي سنة خمس وخمسمائة ولى أمير المسلمين علي بن يوسف الأمير مزدي على مدينة قرطبة واغرناطة والمرية وما انتظم معها من الحصون والقرى .

وفي شهر صفر منها قام المنصور بن سير بن مسلمة الشهير بابن الأفطس من أرض النصرانية الى مدينة اشبيلية فصمم منها الى حضرة أمير المسلمين فكانت له منزلة لطيفة ومكانة رفيعة .

وفيهما خرج عماد الدولة من مدينة روطه برسم محاربة سرقسطة فخرج اليه واليهما محمد بن الحاج بعسكرها فحاربه ثم بعد منه .

وفي سنة ست وخمسمائة غزا الأمير مزدي بعساكره ومن انضاف اليه قاعدة وادي الحجارة بأرض الروم واكتسح ما حولها وضيق عليها ثم صدر الى قرطبة بغنائه .

وفيهما أغري بالأمير مزدي عند أمير المسلمين فاقتضى نظره ايفاد مشيخته من المرابطين لثقاف ... ما الى نظر الأمير مزدي من بلاد الاندلس وكان لأبي علي بن ... حثيث المسعى والقده المعلى ، واتصل النبأ به فبادر الى أمير المسلمين ولما اجتمع به جلا عن نفسه فارتفع الظن وحصحص الحق ... الى طاعته على أكرم حال وأتم آمال .

وفي سنة سبع وخمسمائة توفي الأمير سير بن ابي بكر الوالي على مدينة اشبيلية بتقديم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وذلك في شهر رجب من عام اربعة وثمانين ، وكانت وفاته في شهر جمادى الاولى من هذه السنة بموضع يعرف باغرناط على مقربة من اشبيلية ، خرج زافاً لنفسه فاطمة الى أمير المسلمين علي ابن يوسف ومشيعاً لزوجته حواء بنت تاشفين ؛ وكان هذا تاشفين أخو يوسف بن تاشفين لأمه وابن عمه لانه لما مات تاشفين والد يوسف دخل مكانه أخوه علي . فخرجت حواء واختها من اشبيلية فلم يعهد مثل ذلك اليوم لهواً وكثرة ونعماً ، خرج فيه الجسم الغفير الى مضارب المحلة بعين العلو فلما جن الليل نزل بالأمير سير بن ابي بكر بن تاشفين مفص تزايد عليه حتى قضى رحمه الله عند انصداع

الفجر فشهد جنازته بشر عظيم (١) .

وكانت هذه الحرة حواء (٢) اديبة شاعرة جليلة ماهرة : اخبر ابو عبدالله محمد بن سعيد الخزرجي في كتابه ، قال : حدثني ابو محمد بن جلوت عن شيخه ابي عبد الله بن زرقون وكان شيخه مالك بن وهيب قال : أمرت الحرة حواء اللمتونية بمراكش بمجلس الكتبة والشعراء كانت تحاضرهم فيه وكانت ذات نباهة وخطر فاجتمع يوما في ذلك المجلس جماعة منهم ابن القصيرة وابن المرخي ، وهذا لقب له لأنه يقال كان له فتور على فصاحته ، وحضر غيرها فلما غص المجلس اقبلت الحرة تريد هم وهم ينحادثون ويأخذون في الشعر ، وكان ابن المرخي قد قال صدر بيت وهو « انا للبدر أخ » ولم يحزه احد منهم ، إذ اقبلت الحرة فسلمت عليهم وبادرها ابن المرخي وقال لها : « حياك الله يا قمري يا زهري » فقالت : « وصفتني والله بأقل وذابل » ففرح بفطنتها فقالت له « فيم كنتم » قال لها : « كنا قد قلنا صدر بيت ولم يقدر احد على عجزه » فقالت : « انشدني » فقال : « انا للبدر أخ » فقالت على البدنية : « على ذا سنخ » (٣) فتعجب الحاضرون من براعتها .

وفي هذه السنة خرج الامير مزدي من حضرة مراکش الى الاندلس وولاه علي بن يوسف على مدينة قرطبة واغرناطة فاجاز البحر للاندلس الى مدينة اشبيلية فاستمد ... الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني فأمدّه بعسكر ضخم من المرابطين والحشم وغيرهم ، وانضم اليهم عسكر قرطبة واغرناطة ولما من العدو ولقيف من المطوعة خيلاً ورجلاً فعظم الجيش ، وأمّ به الامير مزدي ارض طليطلة فدوخها واكتسح به أوديتها وأبلغ في نكايتها وصدر الى قرطبة

(١) كان سير بن أبي بكر من أشهر قواد المرابطين ، وهو الذي احتل اشبيلية من بني عباد ، وفتح بعدها قرمونة ولبلّة ، وشهد الحصار على حصن لبيط ثم أزال دولة بني الأفطس واستولى على بطليوس سنة ٨٧٤ وظل والياً على اشبيلية مدة سبع وعشرين سنة .

(٢) للأعشى التطيلي الشاعر الوشاح قصائد في مدح الحرة حواء زوجة سير بن أبي بكر (انظر ديوانه) وقد ترجم لها القاضي ابن عبد الملك في القسم الخاص بالنساء من الذيل والتكملة .

ظافراً ظاهراً على عدوه (١)

وفي هذه السنة خرج لروم الارض الكبيرة نحو خمس مائة قطعة تحمل مائة الف مقاتل فيهم الف وخمسمائة فارس وخمسون الفا من الرماة فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية اغرقتهم فلم تبقى منهم باقية وأتت مع ذلك مراكب الحاج وجهه مشحونة بالأطعمة .

وفي هذه السنة صرف القاضي ابو مروان الباجي عن قضاء اشبيلية وقدم ابو عبدالله بن داود ، ثم نقل الى فاس ، وولي القضاء ابو مروان الباجي ثم صرف ، وولي ابو محمد عبدالله بن سمجون فنقل الى غرناطة ، وولي بعده ابو القاسم بن ورد ثم صرف وولي بعده الفقيه الخطيب المقرئ [ابو الحسن] شريح بن شريح ثم صرف ، وولي الفقيه ابو بكر بن العربي - رحمهم الله اجمعين - وكانت ولاية ابن العربي المتأخر منهم في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

قال ابن حمادة : وكان يوسف بن تاشفين أمر القاضي محمد بن عيسى ببنيان جامع سبتة وزاد فيه حتى أشرف على البحر ، وكان بنيانه عام احد وتسعين وقبل بناء الجامع بأعوام أمر يوسف بن تاشفين ببناء سور الميناء السفلي بسبتة على يد القاضي ابراهيم بن احمد

وقام على يوسف بن تاشفين في هذه السنة رجل يعرف يعرف بابن الزنر بحاربي وادعى انه ابن معنصر الزناتي الذي كان صاحب فاس ببلاد غمارة ، فتوجه اليه يوسف وقتل خلقاً من أصحابه ثم اعطى غمارة مالا فغدروه وأتوا اليه برأسه . وقام عليه ايضاً ماخوخ الزناتي بناحية تلمسان واختط بلداً لنفسه فخرج اليه يوسف وفرّ امامه وخرج من بلاده .

(١) تذكر المصادر الاسبانية انه فتح في هذه الوقعة حصن « اورينجا » (انظر مجلة تطوان

. (١٩٥٨ : ١٦٢) .

ذكر حرق الاحياء وما قال ابو حامد حين بلغه ذلك

قال ابن القطان في نظم الجمان ^(١) : أمر علي بن يوسف باجماع قاضي قرطبة ابن حمدين وفقهائها على حرق كتاب الأحياء فأحرق على الباب الغربي من رحبة المسجد يجلوده بعد اشباعه زيتاً بمحضر جماعة من اعيان الناس ووجه الى جميع بلاده يأمر باحرقه وتوالى الاحراق على ما اشترى منه ببلاد الغرب في ذلك الوقت فكان إحراقه له سبباً لزال ملكهم وانتشار سلكهم ، وكان المتلقب بالمهدي في بلاد المشرق يومئذ ، فذكر ابن القطان في السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان : ورحل المهدي من بلاد أقصى المغرب الى الاندلس في سنة خمسمائة فدخل قرطبة ثم وصل الى المرية فدخل في مركب الى الشرق فغاب فيه الى ان وصل مراکش سنة اربع عشرة . وذكر ابن القطان ايضاً عن عبدالله بن عبد الرحمن العراقي شيخ مسن من سكان فاس من اثبت في مدرسة ابي حامد فجاء رجل كثر اللحية على رأسه كرزية صوف ودخل للمدرسة وحيهاها بالركعتين ثم دخل الى الشيخ أبي حامد فسلم عليه فقال : « بمن الرجل ، ؟ فقال : « من أهل المغرب الأقصى ، . فقال له : « دخلت قرطبة ، ؟ قال : « نعم ، . قال : « فما فعل فقهاؤها ، ؟ قال : « في خير . قال : « هل انتهى اليهم كتاب الاحياء ، ؟ قال : نعم . قال : « فماذا

(١) انظر ص : ١٤ وما بعدها ، وقصة حرق كتاب الاحياء وردت في الحلال : ٨٥ ، وهناك رسالة صادرة عن تاشفين بن علي الى امير بلنسية يحيى بن علي بن الحاج والفقيه القاضي ابي محمد بن جحاف تاريخها سنة ٥٣٨ هـ وقد جاء فيها : « ومتى عثرتم على كتاب بدعة او صاحب بدعة وخاصة وفقكم الله كتب ابي حامد الغزالي فليتبّع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع خبرها » (نصوص سياسية - مجلة المعهد ٣ : ١١٣) وهذا تاريخ متأخر ، ولكن وفاة ابن حمدين كانت سنة ٥٠٨ هـ ، فاذا صحّ ذلك فلا بد أن يكون الامر بالحرق قد صدر أولاً أيام علي بن يوسف . وقد ذكر ابن الابار (المعجم : ٢٧١ - ٢٧٢) أن أبا الحسن البرجي استنكر حرقها وأفتى بتأديب من يفعل ذلك ، وأبو الحسن هذا توفي سنة ٥٠٩ هـ .

قالوا فيه ، ؟ فلزم الرجل الصمت حياءً منه فعزم عليه ليقولن ما طراً
فأخبره بأحراقه وبالقصة كما جرت . قال : فتغير وجه الشيخ أبي حامد ومد
يده إلى الدعاء والطلبة يؤمنون فقال : « اللهم مزق ملوكهم كما مزقوه
واذهب دعوتهم كما حرقوه » فقام المهدي فقال : « أيها الامام ادع الله تعالى
ان يجعل ذلك على يدي » فتغافل عنه أبو حامد فلما كان بعد وقت إذا
بشيخ آخر على شكل الاول فقال له أبو حامد فأخبره بالخبر المتقدم فتغير
ودعا بمثل دعائه الاول فقال له المهدي : « على يدي » فقال له : « على
يديك » فقبل الله دعاءه .

وفي سنة ثمان وخمسمائة توفي الأمير مزدي^(١) الوالي على قرطبة في شوال
غازياً على مقربة من حسن مسطاسة صرف به إلى قرطبة فوصل به يوم
الاربعاء ثاني يوم وفاته وصلى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضي أبو القاسم بن
حمد بن .

نسبه : هو مزدي بن بوبلنكان بن حسن بن محمد بن توجوت : قال
ابن الصيرفي لم ازل اطلب نسب لمتونة حتى لم أجد منه الا ان الجسد الذي
تفترق منه افخادهم ترجوت .

وفي هذه السنة توفي الكاتب الجليل أبو بكر ابن القصيرة الذي اشتملت
عليه الدول الثلاث العبادية المعتمدية والدرلة اليوسفية وهذه الدولة العلوية
بعد خطوط اصارته طريداً وقطعت منه وريداً^(٢) .

وفي هذه السنة اتصل الخبر بأمير المسلمين علي بن يوسف وهو بحضرته

(١) كان أبو محمد مزدي بن سولنكان (أو بوبلنكان أو ملنكان) من أكابر المرابطين ،
وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وله جهود كبيرة في الدور الأول من التاريخ المرابطي
قبل دخول الأندلس ، وهو الذي استولى على بلنسية ٩٤٤ ، ثم تولى تلمسان سنة ٩٧٤ وفي سنة
١٠٠٥ عين على قرطبة وغرناطة والمرية وبقية أخباره في الأندلس أوردها ابن عذاري في الفقرات
السابقة .

(٢) انظر هذه العبارة في ترجمة ابن القصيرة في قلائد العقيان : ١٠٤ .

مراكش عن وفاة الامير مزدلي فسد خلا من مصابه ودفع [رزء] فقده بابنيه فولى الامير عبدالله بن مزدلي من مراكش وورد اغرناطة آخر ذي القعدة وتحرك الامير محمد فاحتل ايضاً بقرطبة واستقر بها وضبط امورها واحوالها.

وفي سنة تسع وخمس مائة ضرب العدو على نظر قرطبة فخرج اليه محمد ابن مزدلي بعسكره وبادر في الاستعجال لاثره فلحق بالعدو ونشبت الحرب وصبر المسلمون فاستشهد محمد بن مزدلي والامير محمد بن الحاج (١) والامير ابو اسحق بن دانية والامير ابو بكر بن واسينوا ومات [من] الامراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم واهل الاندلس وذلك يوم الخميس مستهل صفر من السنة المؤرخة ، فكان مصاباً عظيماً وخطباً جسيماً واتصل الخبر بامير المسلمين علي فولى قرطبة الامير ابا بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عمه شقيق ابيه لأمه فنفذ اليها وقدم عليها ؛ ولأيام من وصوله اكتسح العدو الاول صاحب الجولة على قرطبة فلاحقه بجهة بياسة ولحق الصريخ بالامير عبدالله بن مزدلي صاحب اغرناطة فبادر في اثره وقاتل الجيش مغزاً فلحق به على مقربة فكانت للروم ايضاً ، واستشهد خلق من المسلمين كرمهم الله بالشهادة في اعلى عليين ، وذلك يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفي هذه السنة توفي محمد ابن الحاج صاحب سرقسطة شهيداً واتصل الخبر بامير المسلمين فأنفذ ولاية سرقسطة للامير ابي بكر ابن ابي يحيى ابراهيم (٢)

(١) ذكر ابن الأبار (المعجم : ١٣٤) أن محمد بن الحاج استشهد بالمرض المعروف بالبورت وتفسيره بالعربية « الباب » وذلك سنة ٥٠٨ هـ ، فابن الأبار قد عرفنا اسم الوقعة التي ملك فيها كثير من المرابطين ولكنه يجعلها بجهة برشلونة .

(٢) هو المشهور بابن تيفلويت تروج من أخت علي بن يوسف ، وولاه غرناطة أولاً ثم سرقسطة ، ولابن خفاجة فيه مدائح وكان وزيره الحكيم ابن باجة في سرقسطة ، وكان مثلاً في الجود والشجاعة ، استسلم في سرقسطة الى ترف الملك وانهمك في اللذات ، وتوفي سنة ٥١٠ هـ (الاحاطة ١ : ٤١٢ - ٤١٧) .

وكان مقيماً بها فتولى الامر فيه وأخذ بالعزم والحزم وثقف امور المملكة ونظر في مصالح الرعية .

وفي هذه السنة عوض عبدالله بن فاطمة عن ولاية فاس بولاية مدينة اشبيلية فاستقر بها في اول السنة المؤرخة .

وفي سنة عشر وخمس مائة تحرك الامير ابو بكر صاحب سرقسطة الى الغزو فقصده حصن روطة فأحرق وبالع في النكاية ، ثم تحرك الى برجه وبها عماد الدولة بن المستعين بن هود فضيق عليها وبالع في نكايتها حتى صالحه أهلها ورجع عنها الى مدينة سرقسطة .

وفي هذه السنة قدم امير المسلمين محمد بن ميمون قائد الاسطول البحري فكان له غزوات مشهورة وامور مذكورة .

وفي هذه السنة ^(١) أمر صاحب المهديّة علي بن يحيى بن تميم بإعداد الأساطيل وعمارتها الى جزيرة جربة ، فساروا في جمادى الاولى وحاصرها وأخذوا بمخنق أهلها الى أن أقروا ^(٢) بالطاعة له وسلموا لأمره ونزلوا على حكمه ، فانصرف الأسطول عنها وصلاح أمر البحر في هذه السنة .

وفيهما أرجف العوام بأنه سيكون في شهر رمضان خطب عظيم وحادث كبير وقطع على الدولة شديد وان السلطان سيموت فيه ، وفشا القول بذلك فيهم وانتشر ، فأكذب الله قولهم وعطل إرجافهم وعملت الشعراء في ذلك وقد تكون اصابتهم فيها ايضاً كما حدثنا ابو الصلت قال : حدثني ابو محمد عبدالعزيز ابن الامام اخذ خواص الامير ابي القاسم محمد بن عباد قال : كنت في عسكر الامير أبي القاسم عند وجهه مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب الأقصى الى لقاء اذفونش بن فردلند ملك جليقية اول غزوة غزاها المرابطون بالاندلس ، وكان الناس ينزلون بنزوله ويرحلون برحيله

(١) انظر ابن ابي دينار : ٨٨ ورحلة التجاني : ١٢٥ .

(٢) في المطبوعة : أمروا .

تقريباً ورعياً لمكانه من السن وعظم القدر ووفور العدد وجودة الرأي، قال:
فسمعنا طبوله تضرب وقيل أمير المسلمين يتقدم إلى العدو فأمر الأمير أبو القاسم
منجمه بتحقيق طالع الوقت والنظر فيه، قال: فوجده بحسب ما
تقتضيه أصول هذه الصناعة دالاً على أن الدائرة تكون على المسلمين وأن
النصر والغلب للمشركين، قال: فأشفق من ذلك وكره إعلام يوسف لنفاره
من الاستدلال بالنجوم والعمل بها، ولم يتمكن غير مساعدته والانتقال معه،
فبينما هو يحاول ذلك إذ خفتت الأصوات وهدأت الضجة وجاء من آخر أن
يوسف قد بدا له في الانتقال من هنا، فلما كان بعد ساعات من ذلك اليوم
بعمقه عادت الأصوات وضربت الطبول، فأمر الأمير أبو القاسم منجمه بأخذ
طالع الوقت والنظر فيه فوجده أوفق طالع وأبعد نصبة وأدله على أن
الظفر للمسلمين والدائرة للمشركين حسب ما جرى الأمر عليه، قال فتعجب
من ذلك ومن قوة سعادة يوسف، وقال: وهذا من المصنوع لهم المعنى بأمرهم
المؤمنين إلى رشدكم الذين... لهم التوفيق ويخدمهم [السعد] وذلك كله بمشيئة
الله تعالى وسابق علمه وناقد حكمه.

وكتب أمير المسلمين علي بن يوسف من مراكش في هذه السنة إلى أبي
محمد بن قاطمة كتاباً يحضه فيه على إقامة الحق وذكر الآن منه بعض فصول:
«وقد رأينا والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، أن نجد عهدنا إلى
عمالنا بالالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح
الشامل والخير العاجل، والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته.
وانت أعزك الله ممن يستغني بإشارة التذكرة، ويكتفي بلمحتها التبصرة، لما
تأوي إليه من السياسة والتجربة، فاتخذ الحق أمامك، وملكت يده زمامك
وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك، وارفع لدعوة المظلوم حجابك،
ولا تسد في وجه المضطر المظلوم بابك، ووطىء الرعية - حاطها الله -
أكنافك، وأبذل لها انصافك، واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها،
واطرح كل من يحيف عليه ويؤذيها، ومن تثبت عليه من عمالك زيادة، أو

خرق في أمرها عادة ، أو غير رسماً ، أو بدل حكماً ، أو أخذ لنفسه
درهما ظلماً ، فاعزله عن عمله وعاقبه في بدنه وألزمه ردّ ما أخذ تعدياً الى
اهله ، واجعله نكالا لغيره ، حتى لا يقدم احد منهم على مثل فعله ، ان
شاء الله تعالى ، وهو ولي تسديدك ، والمليّ بعضدك وتأبيدك ، لا إله إلا هو
عليه توكلت ، وهو من انشاء ابن الجدر رحمه الله .

وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة تحرك امير المسلمين علي بن يوسف من
حضرتة مراکش الى بلاد الاندلس فأجاز البحر في أواخر محرم ويم اشبيلية
ريثاً استتب امر الغزو ولحقت العساكر العدوية ، وتأهبت العساكر الاندلسية
ولحقت من قرطبة لمة من الفقهاء والعلماء ولفيف من المجاهدين الزعماء خيلاً
ورجلاً ، وتأهب فقهاء اشبيلية ومجاهدوها ، واستوفت مطوعة غرناطة
ومرتبوها ، ثم تحرك امير المسلمين بجميع العساكر من اشبيلية لغزو قلمورية^(١)
فحاصرها عشرين يوماً وضيق بها ثم انصرف عنها الى اشبيلية ومشى عبدالله
ابن فاطمة والمنصور بن الافطس فقابلا ارواما في بلاد الروم ثم وردا الى
اشبيلية واستاقا غنيمة عظيمة واسرى كثيرة وانصرف الناس الى بلادهم .

وأنفذ امير المسلمين علي بولاية ابن الوليد بن رشد خطة القضاء بقرطبة .
ومدح الشعراء لأمير المسلمين فمن ذلك لأبي العباس التطيلي^(٢) من قصيدة طويلة^(٣) .

اركب اذا دارت رحاها وانزلِ وقل اذا صم صداها وافعلِ
واقصّ واستوفِ وهبْ فاحتفل وابلغ بأدنى السعي أقصى الأمل
في عمر الشعر وسير المثل ورتبة الوسطى من العقد العلي

(١) قلمورية أو قلمرية (Coimbra) وهي تعني حينئذ مملكة البرتغال ، ويقول صاحب
الحلل الموشية ان علي بن يوسف فتحها يعني مدينة قلمرية ولكن يفهم من المصادر الاسبانية انه
لم يستطع فتحها (تطوان « ١٩٥٨ » : ١٦٩) .

(٢) في المطبوعة : السلمي .

(٣) وردت هذه الارجوزة (لا القصيدة) في ديوان الأعمى التطيلي : ١٤٧ .

وجهك بالإحسان والحسن ملي وأنت للدنيا وللدين ولي
نيطت بك الآمال فاقطع وصل وهذه الدنيا قول واعزل

وفي هذه السنة ورد كتاب علي بن يوسف بولاية موسى بن حماد قضاء
اغرناطة ، وفيها قدم باشبيلية لخطبة القضاء ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح
الرعي عن اصفاق من اهل بلده ، وفيها ولي محمد بن سعيد قضاء المربة .

وفيها فسد ما بين الزهري وابن زهر ، من الصداقة والصهر ، ورمى كل
واحد صاحبه بقاصمة الظهر ، وبادر ابن زهر بمخاطبة علي بن يوسف فبادر
اليه الزهري اثر ذلك بنفسه فتكلم في ابن زهر ملء فيه ، فأمر الزهري
بسكنى مراکش ، ثم ورد ابن زهر بعد ذلك اليها وقد أظلم له البصر وصعب
عليه اللتين فتلقى من أمره ما أصدره ... ولم يسمح له بالوصول ، وكان قبل
في غاية الجاه والعزة والتمكين من الدولة ، يولى من قبله حاكم يحكم من
حاشيته ، وصاحب المدينة من توليته ، وشهود البلد بحكمه ، وأمر المستخلص
وأمالك السلطان جارية على نبيه وأمره بمدينة اشبيلية ، والزهري في كل ذلك
تلوه ومقتدر به ، فما راعوا حق الحرمة ، ولا أدوا شكر النعمة (١) .

ذكر ولاية أبي حفص عمر بن يوسف بن تاشفين

وفي هذه السنة صرف علي بن يوسف امير المسلمين الأمير أبا زكريا يحيى
ابن علي عن اشبيلية ، وقدم اخاه أبا حفص والياً عليها ، ولما وصل الأمير
ابو حفص الى اشبيلية برز اليه اهلها وخرج الأمير ابو مروان بن ابي العلاء
زهر وكان أبوه ابو العلاء مستوطناً بفاس بالأمر ، فلما رآه أصغره وقصّره به ،

(١) أشار ابن عبد الملك الى ما حدث لابن زهر عبد الملك ايام الامير علي بن يوسف اشارة
مقتضية فقال : « وأدركته مطالبة عند ابي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كانت سبب اعتقاله
بسجن مراکش مدة » (الذيل ٥ : ١٩) .

وترجل صاحب المدينة خالصة ابن زهر فأخذ بيده مسلماً عليه ، فلما أعلم به أمر عليه فأقيت عمامته في عنقه وجر إلى السجن ، فتقلقت نفوس الحاشية واستشعروا الشر . وجلس الأمير أبو حفص عشية ذلك اليوم في رحبة القصر فاستحضر من حاشية ابن زهر رجلين متلبسين بأمره فأمر بضرب اعناقهما وطيف برمحه على أسواق المدينة ، وذهب ادب ابن نهيبة العتاد واقبل أدب .. الحجاج ..؛ فتثقف البلد وتمهد وسكن الأرجاف وفر المريب وجاء البريء ، واقبل الأمير أبو حفص على تتبع هذه الحاشية وجعل غرضه الانتقام فيهم والتشريد لهم .

وفي هذه السنة نفذ عهد أمير المسلمين علي بن يوسف إلى ... محمد بن ميمون قائد الاسطول بشعير جملة وغزو بلاد الروم بها فعمر حمسة وعشرين ... الدربة والنجدة فاستفتح مدينة قطرون وهي على مسافة يوم من مدينة . . فيها وامتنعت جملة من أهلها بقصبتها وهي وعرة المرتقى باسقة (١) الذرى فتعلقت ... واشرفوا على استفتاحها فحماها الليل ... دونها وصدر المسلمون إلى الاسطول وعدما ... وخمسون رأساً من السبي وكثير . . وانصرف عنها القاييد إلى المربة .

قال .. أبو بكر [ونهب] علي بن يوسف إلى مدينة اشبيلية . في الاقبال واثبت ابن رواده ريثما يلحق بقرطبة فلما تمهدت مدينة قرطبة واستلب أمره أخذ في الصدر منها فلقى أبا الطاهر بجزيرة طريف مقبلاً وصادراً ولحق أبو الطاهر اغرناطة في رمضان المعظم (٢) .

(١) في المطبوعة : فاسقتها .

(٢) كان الأمير أبو يحيى بن رواده (رواد في الحلل) قد ولي قرطبة ، فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه وكانت فتنة ، اضطرت علي بن يوسف إلى مخاطبتهم أولاً بالتقريب والتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض اليهم سنة ١٠٥ هـ (وهذا هو جوازه الرابع) وطال مقامه على قرطبة وتردد إليه أعيانها يسألونه الصفح ، فوقع الاتفاق على أن يؤدوا إليه مالا عوضاً عما نهب من المرابطين (الحلل : ٧٠ - ٧١ وابن القطان : ٣٢) والنص المضطرب هنا يشير إلى هذه الحادثة ؛ وفي طريف التقى الاخوان علي وتميم .

وفي هذه السنة ولي مرسية ابو زكرياء يحيى بن غانية اللمتوني .

وفيهما ولي قضاء المرية ابو الحسن بن اضحى .

وفيهما نهض يناله الى شرق الاندلس فلم يزل به الى جمادى الاولى من العام المقبل .

وفي سنة ست عشرة وخمسمائة اغزى ابو عبد الله محمد بن ميمون قايد الاسطول علي بن يوسف مدينة نقوطرة ^(١) من عمل رجار صاحب صقلية ففتحها وسبى نساءها واطفالها ... فيها وكان علي بن يحيى صاحب المهديّة كتب كتابا الى رجار عندما وقع بينهما وحشة يضمن تهديده فيه بادخال المثلثين والعرب الى صقلية فلما كان من غزو ابي عبد الله ما كان لم يشك رجار صاحب صقلية ان السبب الباعث على ذلك والمحرك له صاحب المهديّة، فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة [وأكثر] الاستنصار واستجاش وحشد كأنما في ذلك كله لامره ، فمنع ^(٢) السفر الى سواحل المسلمين، والتأم له ما لم يعهد مثله ^(٣).

وفي هذه السنة ولي الامير تميم بن يوسف اشبيلية من بعد ولايته اغرناطة فوردها في جمادى الثانية .

وفي سنة سبع عشرة وخمسمائة صرف الامير تميم عن ولاية اشبيلية ووليها ابو بكر بن علي بن يوسف .

وفيهما حاصر اسطول صاحب صقلية مدينة المهديّة ونزل عليها في جمادى

(١) في المطبوعة : بقوطرة والتصويب عن المكتبة الصقلية : ٢٨٢ .

(٢) في المطبوعة : بمنع .

(٣) يحدثنا ابن الاثير أن علي بن يحيى صاحب المهديّة كتب لأمير المسلمين علي بن يوسف ليجتمعوا على قصد صقلية ، ولكن علياً توفي سنة ٥١٦ هـ وخلفه ابنه الحسن ، فأرسل علي بن يوسف الأسطول سنة ٥١٦ هـ ففتح نقوطرة بساحل قلورية Calabria وهذا أدى رجار الى جمع اسطول كثيف قيل انه هيا فيه ثلاثمائة قطعة وجهها لغزو ساحل افريقية (سنة ٥١٧ هـ) (انظر المكتبة الصقلية ٢٨٢ - ٢٨٣) .

الاولى في نحو ثلاثية مركب حمل على ظهورها ثلاثين الف راكب وزهاء الف فارس فأرسل الله عليهم ريحاً صيرت جميعهم الى الانتشار ، وأصلتهم مع برد الماء حر النار ، فلما عاينوا ما نزل بهم انزلوا عن ظهور مراكبهم ما كانت انجاء الفرق من افراسهم فصدموا بها جيوش المسلمين فخيبت الله آمالهم وجعل الدائرة عليهم لا لهم ، وأقلع جميع الاسطول خاسرين الى بلادهم وبعد ذلك لم [تجلب] صقلية بنخيل على المهدي الى ان استولى عليها بعد ذلك واخرج الروم منها الموحدون على ما يأتي .

وفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة تسمى محمد بن تومرت السوسي بالمهدي وكان لما اشتهر صيته ^(١) في قبائل الجبال ووصلوا اليه رحل معهم الى جبل ايجليز لهرغة فلما صار في منعة الجبل وحماية عشيرته خاطب القبائل ومد يده للبيعة وذلك في سنة ست عشرة على ما اذكره في موضعه . قال اليسع بن عيسى الغافقي : ولما صعد الامام بالجبل امر بتحصين موضعه لانه ما كان له الا طريقاً واحداً وذلك الطريق لا يمشي فيه الا راكب بعد راكب من كثرة توعره واخذ يعرض اصحابه على قتال الملتزمين ويقول لهم اقتلوا المجسمين والبرابر المفسدين والفقهاء المكارين . قال ابن القطان ^(٢) : ولما ارتقى جبل ايجليز اقام فيه ثلاثة اعوام من سنة خمس عشرة الى هذه السنة المؤرخة .

وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة ^(٣) امر المهدي بتمييز الموحدون ونودي في جبل المصامدة من هرغة وجنفيسة من كان مطيعاً لله ولرسوله وللمهدي فليصل وكانوا يعرضون الى ابي محمد البشير فيخرج قوماً على يمينه وقوماً على يساره فكل من اخرجته على يمينه يزعم انه من اهل الجنة وكل من اخرجته على يساره يزعم

(١) نظم الجمان : ٧٥ وهو منقول عن اليسع .

(٢) نظم الجمان : ٢٣ .

(٣) شرح ابن القطان : ١٠٢ - ١٠٤ قصة هذا التمييز وانظر البيهقي : ٧٨ وابن خلدون ،

٢٢٨ : ٦ وابن الأثير ٨ : ٢٩٧ ونهاية الأرب ٢٢ : ١٩١ .

انه من اهل النار ولا يخرج على اليسار الا من كان شاكاً في ان الامام هو المهدي المعلوم . . . الله ممن خرج على اليسار آلافاً ذكر ذلك ابن القطان وغيره ، واخبرني ابو علي صالح قال : لما قتل محمد بن تومرت هزيمة تينمل قال له الفقيه الافريقي احد عشيرته : كيف تقتل اقواماً بايعوك ودخلوا في طاعتك وتقسم أموالهم ؟ ، فأمر به فقتل وصلب لانه كان شك في عصمته ؛ وكان قتله لهزيمة تينمل سنة ثمان عشرة جمع المهدي عليهم اهل تلك الجبال فقام بهم وقتل منهم فيما ذكروا خمسة عشر ألفاً فلما استأصلهم وسبى أموالهم بنى حصن تينمل فلما ملك المهدي تلك الجبال وما حولها ضاق الامر على علي بن يوسف فبعث اليها عسكرياً فهزم .

وفي هذه السنة ^(١) خاطب اهل نظر اغرناطة من جبل دور . . . والبشارات لابن ردمير وتوالت عليه كتبهم وتواترت رسلهم ملحة عليه في الاستدعاء مطمعة له بدخول اغرناطة ووجهوا له زماما يشتمل على اثني عشر ألفاً من مقاتلتهم وأعلموه ان هؤلاء ممن شهدت اعينهم لقرب مواضعهم وبالبعد من يخفى امره ، ويظهر عند ورودك شخصه ، وهذه الجملة كافية ، وعورات البلاد بادية ، وعندنا رقب ونظر نخرج لك عنها بالمسانية ؟ ، فاستزاد طمعه وابتعث جيشه واستفزوه بأوصاف اغرناطة وما لها من الفضل على سائر البلاد بتحسينها وكثرة عيونها وانهارها ومنعة قصبتها وانطباع رعيته وانها المباركة التي يملك منها غيرها وهي المسماة سنام الاندلس عند الملوك في تواريجها ، وأشخصوا بكتابهم وزمامهم كهولاً منهم تكلموا بين يديه ملء افواههم ورموا على ذلك الغرض حتى عزم وجد في الحشد وانتخب من محتشده خمسة آلاف فارس وخمسة عشر ألف راجل .

وتحرك بهم اول شعبان وقد اخفى مذهبه وكنم اربه الى ان وصل بلنسية

(١) قارن بما جاء في الحلل الموشية ٧٥ - ٨٠ والاحاطة ١ : ١١٤ والنص هنا يتفق في كثير من عباراته مع ما جاء في الاحاطة .

في يوم الثلاثاء المو في عشرين من رمضان فأمر بضرب محلته ومشى في اهبة
فهر عليها وزاحمها ثم رحل عنها من موضع الى موضع الى ان وصل مدينة
وادي آش^(١) فاضطرب محلته بموضع يعرف بالقصر^(٢) من باديتها على فرسخ
منها ، وذلك لعشر بقين من شوال ، فبدأ نحيث^(٣) المعاهدة في استدعائه ،
وافترض سرهم في اجتلابه^(٤) وهم الامير ابو الطاهر يجمعهم وثقافهم ، فأعياء
ذلك بكثرتهم وبعد اقطارهم ، واقبلوا يتسللون الى ابن رديمير على كل طريق
ومن كل فج عميق ... فكثرت رجلته وضخمت جملته وضايق مدينة
وادي آش بالحرب من جهة القبلة فرأى ... فجذ في حربها من الغد فأتت
عليها السهم وفقد جملة من ... أقام بمضطرب محلته نحو النهر وأهل
وادي آش في حصار صعب قد اخذوا المنازل وسكنوا ... ارباض ...
المتجدة من السترة تنتقل اليها الاحجار وكانت تبرز المخدرة من خدرها
ومنها من سترها .

ولما اتصل بامير المسلمين نبأ ابن رديمير اللعين انفذ امره الى اقطار العدو
بتسريب الجيوش الى الاندلس فأجازت البحر وجدت في السير حتى احدثت
باغرناطة ، واقبلت عسكرية مرسية وبلنسية ، وتحرك ابن رديمير من وادي
آش وأخذ على بربيطة^(٥) يوم النحر ، فصلى الناس بالمصلى صلاة الخوف وهم
في الاسلحة ، وتحرك الامير ابو الطاهر من اغرناطة بالجيوش للقاء العدو فمشى
مسافة اميال ثم صدر الى المدينة ، وظهرت أخبية العدو في غد صدوره اليها
على فرسخين منها وجاءت الطلائع منبئة بها فعميت ... وانقطعت السابلة

(١) Guadix .

(٢) Alcazar وهي واقعة إلى الجنوب الشرقي من غرناطة .

(٣) في الاصل : فبدأ يحث وفي الاحاطة : فبدأ بحث ، وكلاهما خطأ ، وبدأ نحيث المعاهدة
يعني ظهر ما كان مكتوماً في انفسهم .

(٤) في المطبوعة : اجتلابه .

(٥) كذا وفي الاحاطة والحلل ٧٧ : «وتحرك من وادي آش فنزل بقرية دجمة» (Diezma)

وهي تقع إلى الغرب من وادي آش .

والواردة وقلت المرافق وثرأحم الناس في المدينة وسكنت المساجد والمصاطب
والرحاب والخراب وكثر الجزع والارجاف والموجان بالنهار والليل ...
والاسوار معمورة باهل البلدة وما نسي في الدور غير الصبية والنسوة ، وتوالت
الامطار وسالت الطرق وضافت النفوس اشد ضيقة .

واقام بن ردمير بمضطرب محله بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة ولا
شنت غزوة ولا انفصل بعض جيشه عن بعض ، والمعاهدة تجتلب اليه
الاقوات والعلوفات ، وخيل المسلمين تراوحه وتغاديه دون مناوشة ، وفي
خلال ذلك سفر الى رأس من رؤوس المعاهدة بالحضرة يعرف بابن القلاس
يوجه على استدعائه ويلومه على تضمنه بما لا يفي به ولا يقدر عليه ، فاحتج
له بتلومه وتباطؤه في اقباله حتى اقبلت الجيوش من الشرق والغرب والعدوة
وقال له : قد أوبقتنا واوقعتنا في الهلكة الى المسلمين ، وساق نفسه الى الخزي
فلما انصرف السفير بهذه المقالة تحرك ابن ردمير بمحلته من موضع الى موضع
الى الجبل الذي يحوي .. قبرة (١) فبدت للمسلمين جملة محله وكانت قبل
مكنة بالجبال والشعراء .

وبعد حركته من خارج اغرناطة لحق الامير ابو بكر امير المسلمين
بمحلته من اشبيلية فأقام يوماً ، ثم تحركت الجيوش في أثر العدو ،
واقام ابن ردمير يجبل قبرة اياماً ثم تحرك منه ، عساكر المسلمين تتبعه وتنتقل
بانتقاله ... عن يمينه وشماله الى حصن ارنيسول (٢) ، فصبحته الجيوش يوم
الاربعاء الثالث عشر من صفر فكانت عامة النهار مكافحة وفي اثنائها مناوشة
والظهور عليه . فلما طفلت الشمس أمر الأمير تميم برفع خبائه من وهدة كان
فيها الى ربوة عالية ... ، فاختلف الامر وانتكشت تعبئة الجيوش وساء به

(١) قبرة (Cabra) تقع الى الشمال الغربي من غرناطة .

(٢) ارنيسول (ويكتب احياناً الرنيسول) Arnizol أو Arnazuel فحص «رحصن»

يقع الى جنوب غرناطة .

الظنون ، وأخذ الناس في الفرار وجعلوا اوجههم الى الساقة ، وتهيب العدو والأمر فلم يدخل المحلة الا بعد هدأة من الليل ، ثم اخذ الى جهة الساحل ، ثم عاد الى اغرناطة ف ضرب محله على ثلاثة فراسخ منها فأقام بها ثلاثة ايام وفي الرابع ... العساكر وسرعان خيله بقرب من الزاوية صمد أبو حفص بن توزجين بجيش مكناسة ... ووقع الضرب والحرب فأخرجهم عنها ، وصار المسلمون الى المدينة وانجلت الجيوش عن هذا الفحص . . استشهد رجال من الموحدين . . وانتقل ابن ردمير الى المرج مضيقاً عليه والخيل تخرجه ، فاضطرب محله مضطراً ثم رحل منه ورجع الى وادي آش وقد بادره يناله اللتوني بعسكر فاس ، فحاربه من جهة واديا ، ففقد عدداً كثيراً في ذلك اليوم واصيب له زعيم كبير ، فرفع أخزى رفع ، ودفع شر دفع ، فأخذ الجيوش تضيق عليه الى فحص قرباقة ^(١) من انظار مرسية ، فاجتاز بجيوشه وأخذ على حصون شاطبة والعساكر في كل ذلك تطأ اذياله وتناوشه وتصيب منه ، فكان يترك في كل منزل هلكى ومرضى لا ترجى ، حتى لحق ببلاده مخترم الجمع مفلولا بلا حرب ، ومن خلص من حملته الى موضعه استولت عليه الامراض ... الاغراض فكاد الحين والموت يواصلهم وصدرت العساكر ... واستقر المختص منها بالاندلس في مواضع ارزاقها ، وأخذ المدد في الاجازة الى العدو .

وفي هذه السنة احتسب الفقيه القاضي ابو الوليد بن رشد ^(٢) - آجره الله - وتجشم النهوض الى حضرة مراکش ، فتلقياه امير المسلمين بالمكرمة والمبرة ، وبين له القاضي امر الاندلس وما بليت به من معاهدتها وما جرّوه اليها وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير ، وما في ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة ، واصفى اليه الامير عليّ وتلقى قوله بالقبول ، فوقع نظره على تغريبهم

(١) Caravaca .

(٢) انظر خبر جوازه هذا في الاحاطة والحلل الموشية ، وقد اخطأ ابن القطان فجعل جوازه سنة ٥٢٧ هـ وكانت وفاته قبل هذا التاريخ .

واجلائهم من اوطانهم وهو اخف ما يؤخذ به من عقابهم ، ونفذ عهده الى جميع بلاد الاندلس [باجلاء .] المعاهدين الى العدة ، فنفي منهم في رمضان عدد جم انكرتهم الاهواء واكلتهم الطرق ونسفتهم الاسفار وتزل فيهم الوباء وفرقهم الله شذر مذر واحل بهم عاقبة مكرهم واذاقهم وبال امرهم ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .

ونبه القاضي على بناء الاسوار فشرع الامير علي بن يوسف في بناء سور محقق بمراكش في هذه السنة فكمل في اقرب وقت وأعجله ، وورد كتاب الامير علي بن يوسف الى الاندلس بالنظر في الاسوار بجميع البلاد فتلوم ذلك النظر فيه حتى صرف الامير ابو الطاهر عن اغرناطة وقرطبة في رمضان ونهض الى مراكش ، وقدم ابا عمر يناله على اغرناطة ، وقدم ابا حفص عمر بن سير على قرطبة ، وخرج يناله من اغرناطة بالجيش متحملاً ميرة اقليش فلما احتل ... اعترضه جملة وافرة من الروم ووقع الضرب بينهم وثبت المسلمون فهزم الله الكفرة ، واورد يناله الميرة وصدر ظافراً ظافراً . ولما استقر يناله بغرناطة بعد انفصال الميرة وقد تهيب امره وانتهج امر السور ثم اغزى الامير ابو ... ابن يوسف بن تاشفين ارض طليطلة في جيشه وجيش قرطبة فغنمها وصدر منها غنائماً ظافراً الى اغرناطة .

ذكر التعيب بالاندلس وبناء الاسوار في هذه السنة

فلما صدر حد في تعيب البلد وقد ذلك من وقع الاتفاق عليه من قاضي القطر ابي القاسم بن ورد وصاحب المستخلص ابي علي بن هدية وقدم لقبض المعتب رجل من بني نجبة لم يكن من الحزمة ولا من الخدمة فمزق المال كل ممزق ، وعاث فيه كل ممخرق ، ودم يناله جميع البنائين ، وشد على الناس في دفع المال فكانت الآلات متمكنة والموردة متصلة ، وتُهيَّب يناله فكان

الناس يخافونه اضطه وشدته ، وكمل السور في اقرب وقت ، وكان جاطب ليل ، وبعض البنائين غمء سيل ، لا وفوا التأسيس ولا قوموا التريض ، ولأقرب مدة وهى وسقط كثير منه على المجاورة بحمة باب الرملة وباب البيرة ، فأهلك جملة لا تحصى وكثر الدعاء على بانيه وموتنه (١) .

وقولى المظر في اسوار المرية رجل منهم يعرف بابن المعجمي من اصحاب ابن ميمون ، فأخذ بالحزم ، واستكثر بالسياسة والعزم ، ولم ينفق شيئاً من المال الا في موضعه ، ولا استعان الا بمن جد في نصحه ، ورأى الناس ذلك فتساهلوا في الاداء وتواصلوا حمل تلك الاعباء ، فكمل السور على واجبه من التحصين والتحصين ، بيسير من المونة دون ضرب ولا سجن . وقولى اهل قرطبة رم اسوارها على سالف عادتهم ، فعزم أهل كل مسجد اقامة ما يليهم ، ككل الأمر دون تشغيب ولا تعتيب ، وكذلك اهل اشبيلية بوسط الحال دون اسراف ولا اجحاف .

وفي ليلة الاحد الحادي عشر لذي القعدة توفي بقرطبة الفقيه القاضي ابو الوليد ابن رشد رحمه الله (٢) وهو محمد بن احمد بن رشد وله شرح المستخرجة (٣) ، تأليف لم يسبق احد من العلماء الى مثله ينيف على المائة جزء هكذا ذكر صاحب كتاب « الأنوار الجلية في محاسن الدولة المرابطية » وله مقدمات في الفقه فسر فيها مذهب مالك - رحمه الله - بأبلغ حجة ووضح معنى الى غير ذلك من التوايف . وصلى عليه ابنه ودفن بمقبرة بني العباس فلم يعمد مثل ذلك اليوم في الحفل وكثرة المخلوق فيه .

وفي سنة عشرين وخمسة قال ابن حمادة : قام رجل في ريف سبتة في

(١) في المطبوعة : وموتنه .

(٢) انظر ترجمة ابن رشد الجد في الصلة : ٥٤٦ هـ والنباهي : ٩٨ والديباج المذهب : ٢٧٨ وبغية الملتبس رقم ٢٤ .

(٣) اسم هذا الكتاب « البيان والتحصيل ، والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل العنينة » .

مركال وادعى انه الحضر فقبض عليه في العشر الأول من جمادى الآخرة
ووصل الى سبتة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة من الشهر المذكور فحمل منها الى
حضرة مراکش فقتل وصلب .

وفي هذه السنة تواترت أخبار المهدي بمراكش وطاعت له الجبال كلها ..
فأكمل البشير الوثريسي الميز في العام الفارط امره المهدي بالتقديم على الباقيين ..
ففزأ بهم في هذه السنة كبك ووصل الى اغمات وحوز مراکش ورجع الى
الجليل ، فأخذ الأمير علي بن يوسف يبني المراصد بقرب مراکش ويسد الطرق
التي ينزل منها اتباع المهدي الى الاوطية .

وذكروا انه في هذه السنة كان وصول ابن رشد الى مراکش ووفاته
بقرطبة والله أعلم ^(١) .

وفي هذه السنة نهض يناله اللمتوني الوالي على اغرناطة الى شرق الأندلس
فلم يزل به الى ان عزل عن اغرناطة في جمادى الاولى من عام اثنين وعشرين
فكانت ولايته سنة وتسعة اشهر ، وكان ابو عمر يناله استدعى فقهاء وعلماء
من اهل جيان فلما حضروه أمر بسجنهم ظلماً واعتداء ، ثم نهض للغزو الى
الشرق فلم يزل في تلك الوجهة وهم في العقلة الى ان عزل بالامير ابي حفص
عمر بن امير المسلمين علي بن يوسف ، فلما ورد اغرناطة بادر بإخراجهم
واصدارهم الى بلدهم على غايبة المبرة والكرامة ، وفرج الله بعزلة يناله عن
المسلمين الغمة وانفرجت الضيقة بالأندلس .

وفي سنة احدى وعشرين وخمسمائة قال ابن القطان : وجمع الامام
المهدي في هذه السنة نحو اربعين الفا من الرجال ونحو اربعمائة فارس فنزلوا
على مراکش فخرج اليهم لمتونة في اكثر من عددهم مع اميرهم علي بن يوسف
فهمزموه ، ومات عسكر علي بن يوسف على باب اغمات ، وطال حصار
مراكش نحو اربعين يوماً يلتقون فيه ويتقاتلون ، وخرج علي بن يوسف

(١) في هذا متابعة لما ذكره ابن القطان . انظر الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ .

ايضاً بعساكره وانهمزم ومات من عسكره خلق كثير بالزحام عند باب دكالة ، وفر أقوام من عسكره حين لم يجدوا من اين يدخلون الى مراکش حتى وصلوا الى وادي ام ربيع ، فلما رجعوا بعد ذلك الى المدينة امر علي بن يوسف بخلق لحام ومثل بهم . ولما مكث اصحاب المهدي بحشودهم في البحيرة المدة المذكورة وصلت الحشود والعساكر من كل مكان الى علي بن يوسف فخرج بهم اليهم فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ، وفقد في هذه الهزيمة ابو محمد البشير ولم يحده الموحدون ولا المرابطون لا حياً ولا ميتاً ^(١) . وذكروا انه كان لطايفة المهدي على علي بمراكش اربعون هزيمة ، [و] عليهم هذه الهزيمة المعروفة بهزيمة البحيرة قتلوا فيها اجمعين حتى لم يبق منهم الا نفر يسير مع عبد المؤمن ؛ وقدم عبد المؤمن مرة أخرى وبات على هيلانه فحشدتهم ورجع بهم الى مراکش فهزموا ايضاً ، فمات في تلك الهزيمة نحو اثني عشر ألفاً وتوجه عبد المؤمن مع خمسين رجلاً الى تينجل ووجد المهدي فقال لهم : « بقي الامر » ^(٢) .

وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ولى امير المسلمين علي بن يوسف ولده عمر في مدينة اغرناطة واحتلها في شهر جمادى الاولى . وكان في جلته رجل زيه التلثم نشأ بمدينة طنجة وتأدب بأشبيلية يعرف بموسى بن مفروح له خط بارع وأدب صالح ونفوذ في الحساب وكانت له نفس ذكية وهمة عالية القى اليه الامير ابو حفص جميع الأعمال وأوطأه [عقب] ^(٣) الرجال فاستبد

(١) قد ألقت المصادر الموحدية الى ما يشبه المعجزة في اختفائه (انظر البيدق : ٢٨) .

(٢) انظر تفصيل وقعة البحيرة في البيدق : ٧٨ - ٨١ . ويعني المهدي بقوله « بقي الامر » أن عبد المؤمن رجع حياً من المعركة ، يقول راوي الخبر : « فأسرعت حتى وصلت المعصوم (أي المهدي) فأعلمته . فقال لي : عبد المؤمن في الحياة ؟ قلت : نعم ، قال لي : الحمد لله رب العالمين قد بقي امركم .

(٣) في المطبوعة : وأوطأ فيه .

بالأمر واستقل .. فـدس اليه يهودي ينتحل الطب سقاه يوم اربعاء ودفن
يوم جمعة .

ولحق الامير ابو بكر والي اشبيلية بغرناطة متوجهاً الى شرق الاندلس
فسار اليه الامير ابو حفص اخوه فدخلوا المدينة في اجمل هيئة واتفق زينة ...
فاجتمع بأخيه واقبلوا مقتربين والجيش تحفها وكان مضطرب محلة الامير
ابي بكر بالمصلتي فتلوم اياماً ثم تحرك الى وجهته فقصد حصناً كان للرم قد
تملكوه غدرأ فنصب عليه الحرب ودخله عنوة ، وامتلات ايدي المسلمين
بكثير من الاسلحة والآلات والزي والمتاع وثقف الامير ابو بكر الحصن
بالرجال والرماة وصدر فبرز له بغرناطة احفل تبريز ثم أغد السير الى
اشبيلية .

وقد نفذ كتاب امير المسلمين الى ولده صاحب اغرناطة بوصوله اليه واقام
واجدى بن سير مع اخيه عمر والي اشبيلية وعبدالرحمن بن ابي بكر والي
قرطبة وصدر ابو عمر يناله عن الشرق الى اغرناطة ثم توجه الى الجزيرة
وجاوز البحر ، فلما وصل الى حضرة امير المسلمين علي بن يوسف اشار
بذكره اليه مُعاهدة اغرناطة ، فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره ، فأدلو
بحجج في ظلمه فسجنه لهم حتى انصفهم من ظلامتهم ثم بعد ذلك اصابه
طاعون كان سبب حتفه ؛ وكان هذا يناله اذا عاقب الجاني اعتدى عليه ،
واذا اوتي بالبريء لم يسمع منه ، وكان له كاتب يهودي الاعراق والاخلاق
يبغض الناس ويبغضونه اشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به ، فبدا
بشؤمه اميره يناله ، فجبر اليه العزل واورده السجن وأداه الى الهلكة ،
وغدا شؤمه عليه فاستؤصل ماله ونهبت داره وطلب ليوقع به ففر وهلك
بعد ذلك وكان اشقر ازرق دمى الخلق في وجهه خال .

وفي رمضان المعظم من هذه السنة صرف الامير ابو حفص عمر بن امير
المسلمين علي بن يوسف عن اغرناطة وكانت ولايته بها اربعة اشهر ووليها

عبدالله بن ابي بكر اللتوني وكان في شرق الاندلس يحيش العدو فلما وصلته
الولاية أورد كتاباً على ابي يحيى بن رواده يستنبيه في الامور المختصة
فتولى ذلك .

وفي هذه السنة استمرت عزمة علي بن يوسف اقتداء بابيه في اشارتهم الى
من يقوم بالامر من بعده ، فاستدعى من نواب القبائل من وثق بدينه ونظره
وفأوضحهم في مذهبه ، فكل شيخ ورد على تهمة ، وأشار بالامير ابي محمد
سير ابنه ، فأمر كتبه بانشاء البيعة له ، فنزع كل سهمه الى غرض طبعه
وعلمه فلما وقف عليه أعرض عنه وأمر بنقل البيعة المتعمدة في قرطبة باسمه ،
فألزم نفسه ما التزم وقلده ما تقلده وانفذ الكتب الى عماله وقضاة بالاندلس
حتى أخذ البيعة في كل بلدة ، فانعقدت في كل قاعدة بيعة يوم الجمعة الرابع
عشر من جمادى الاولى ... امير ابي حفص ثم دنى بها واستدعى الزعماء
والاعيان من جميع جهات اغرناطة فلما ... فيها انفذ الى امير المسلمين بها
وتساجل في هذا الشأن اهل البلاد ، هكذا ذكر الصيرفي في كتابه .

قال الوراق في المقباس : لما عزم علي بن يوسف على ان يخلع عهده على ابنه
سير الذي من امته [قمر] (١) وجه الى عقد ذلك ... أهل العقد والحل من
الفقهاء والقضاة وجمع لذلك بني عمه واخويه الامير تيماء كبيره واخاه ابراهيم
صغيره المشتهر بابن تاغيشت وهي امة سوداء ، فسلم الأمر لابنه سير وشهد
الشهود عليه بذلك وكملت البيعة له وارسل بها الى سائر الاقطار والانظار
فاستقرت البيعة للمذكور والتزم قبولها واستقل بالامر ونظر في سائر ما
تدعوه الضرورة من امور الجيوش والاحكام والولايات والعزل ورد المظالم وقعد
للناس قعوداً فخماً وكان تام الخلقة حسن الخلق كامل الأدوات من الفروسية
وغيرها جميل الهيئة ولم يكن له ولد لانه كان عقيماً ولم تطل مدته فهلك في
حجر أبيه ، وتكلم الناس في سبب موته بأحاديث شنيعة .

(١) أثبتناه اعتماداً على الاحاطة ١ : ٤٥٥ .

ذكر ولاية تاشفين بن علي بن يوسف الاندلس ونبذ من اخباره

لما ولي علي بن يوسف ابنه سير ولاية عهده ، وجعل له الأمر من بعده ، رأى أن يولي ابنه تاشفين الاندلس فولاه امارة اغرناطة والمرية ، الى ان عزل عن قرطبة ابن عمه عبدالله بن جنونة ، فولاه مدينة قرطبة مضافة الى ما بيده لما حسن منابه ، وذلك بعد سنتين من ولايته ، فدخل قرطبة سنة اربع وعشرين واستقر بها ونظر في مصالح امورها وكان بطلا شجاعا حسن الركة والهيئة لولا بنجل "أخل" به وكان يسلك طريق تاموس الشريعة ويميل الى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين . وقيل انه لم يشرب قط مسكرا ولا استمع الى قينة ولا اشتغل بلذة صيد ولا غير ذلك مما يلهو به الملوك من سائر اللهو ، وظهرت له بارقة في النصر على النصارى الضارين ببلاد الاندلس فانه كان يؤثر فيهم ويهزمهم في اكثر الاوقات فأحبه اهل قرطبة خواصها وعوامها ، فبعد صيته وعلا ذكره ، وساس اهل الاندلس سياسة طار بها ذكره من الاستقامة واتباع لامور الشريعة ^(١) .

ولما بعد صيت تاشفين ^(٢) في امر الغزو والجهاد ، وشاع ذكره في سائر البلاد ، كبر ذلك على اخيه ولي عهد أبيه سير وفاوض اياه في ذلك وقال له : « ان الامر الذي اهلتي له لا يحسن لي مع تاشفين فانه قد حمل الذكر والثناء دوني وغطى على اسمي وامال اليه جميع المملكة فليس لي اسم معه ولا ذكر ، فحينئذ عزله ابوه عن الاندلس وامره بالوصول الى حضرته ، فوصل تاشفين مراکش وصار في جملة من يتصرف بين يدي اخيه سير فكان يحضر مجلسه في جملة كبار لمتونة ويقف على بابه ولم تطل المدة الى ان جرى من امر سير ما

(١) انظر وصف تاشفين في الاحاطة ١ : ٤٥٦ وفيه بعض ما أورده ابن عذاري .

(٢) الاحاطة ١ : ٤٥٤ .

جری ، ومات حسباً اذكر في موضعه وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ؛ هكذا ذكر الوراق .

وكانت ولايته بالاندلس سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، قال ابو بكر الانصاري : ولي اغرناطة الامير تاشفين فواقاها في السابع والعشرين^(١) لذي حجة سنة ثلاث وعشرين فقوى الحصون وسد الثغور واذكى العيون على العدو وآثر الجند ، ولم يكبر الا الجدد ، ولم تزل عنده الحظوة الا بالغناء والنجدة ، ولذلك حمل على الخيل وقلد الاسلحة واوسع الارزاق واستكثر من الرماة واركبهم واقام مهمهم وعني بالغزو ومباشرة الحرب فهزم الجيوش وفتح الحصون وتهيبه العدو ولم ينهض الا ظاهراً ولا صدر الا ظافراً ومهد الملك بالحزم وتملك نفوس الرعية بالمعدلة وقلوب الجند بالنصفة . قال : ولولا الاختصار لأوردنا من خلاله السنية ما يضيق عنه الرحب ولا يسعه الكتب .

وفي هذه السنة ، وهي سنة ثلاث وعشرين أغزى واجدى بن عمر بن سير اللمتوني على طلبيرة يحيش اشبيلية فاكسح ما بها وبالغ في النكاية وصدر بالسيقة ، فتبعه زهاء خمسين فارساً للعدو فحُضُّ على صرف عدد يصيب منهم او يشردهم ، فتهاون بهم ، فلحقه عدد آخر فقبل له بددٌهم قبل تجمعهم فأعرض عن ذلك حتى تكامل للعدو زهاء ثلاثمائة فارس حمل على جيش المسلمين فانهزم لهم واصابوا من المرابطين جملة وافرة واسروا عدة ، ورفع الامر الى علي بن يوسف فالزم واجدى فدية من اسر وأنقذ عزلته وولاية الامير ابي زكرياء يحيى بن علي ابن الحاج ومجوز^(٢) ، وكانت ولاية عبدالله بن تينغمر مدينة قرطبة في السنة الفارطة عن هذه وهو ابن اخت علي بن يوسف .

وفي سنة اربع وعشرين وخمسمائة استصرخ صاحب قرطبة الأمير تاشفين،

(١) في الاحاطة : في السابع عشر (وأورد النص المذكور هنا : ٤٥٦ ، ٤٥٧ مجزأ) .

(٢) يعني أنه يعرف بابن الحاج او ابن مجوز (وتكتب : مقوز) .

والعدو مصمم نحوها ، فبادر اليها فارتدع العدو عنها ورجع عوده على بدئه ، فلم تكن له نكاية ، فثنى الأمير تاشفين أغنته الى مدينة جيان وأقام يستطلع الأنباء ثم صدر الى اغرناطة .

وفي هذه السنة توفي صاحب بلنسية محمد بن يوسف يدر وتولاها ينتان ابن علي اللمتوني^(١) فقرن الله بذلك ... وظهر بالروم وسبق رأس زعيمهم غشتون^(٢) الى اغرناطة في شهر جمادى الآخرة ، فنصب على ذروة رمح وطيف به الاسواق والسكك وشهر بضرب الطبول ، وأغذ به البشير^(٣) الى امير المسلمين علي بن يوسف وهو بمراكش ؛ فأنشد الأمير تاشفين أبو بكر محمد بن يوسف شعراً ارتجالاً وهو :

بِسَعْدِكَ شَبْتُ فِي الْأَعَادِي لَظَى الْحَرْبِ

فجاءك ما تهوى من الشرق والغرب

بعيد مسرات تجيء على قرب
وسهلَ أمراً كان في غاية الصعب
وأمضت على غشتون بالطعن والضرب
على جسد للرمح كفا على
ولكنه [في] الحال من افصح العرب
ولكنه ترب أضيف الى ترب
على البرى وقرب الى الحب

وقد كنتَ بشرتَ الأميرَ بأنها
فقد أنجز الرحمن بالنصر وعده
[فخيلك قد] ألقت بإيلانَ برّكها
وجاءك منها رأس غشتون مخبراً
صوتاً أحر المسى في لسانه ... (؟)
وما هذه من تلك أعظم نعمة
.....

وقيل في ذلك :

وليس الا دم الأعداء يروها

يا تاشفينُ وقطبُ الحربِ عاطشة

(١) ذكر يدر بن ورقاء بين ولاية بلنسية (مفاخر البربر : ٨٢ وذكره صاحب الحلل : ٧٦ وكناه بابي محمد ، ولعل لفظة « أبي » زائدة) . أما ينتان فكان أصغر أبناء علي بن يوسف ابن تاشفين .

(٢) Gaston del Bearne

(٣) في المطبوعة : البسم ؛ ويذكر ابن القطان : ١٨١ أن رأس غشتون حمل الى مراكش .

قد راسلتك ملوك الروم صاغرة
فخيلها الكت ملقى البيد وادعة
تخشى عقابك في أقصى منازلها
إذا اتت رسلها جاءتك مقبلة
تخاف بحر ندادك الغمر يفرقها
لا تسمع القول إلا أن يحركها
تملك الرعب منها كل جارحة
فاهنا فان بلاد الله اجمعها
في السلم اذ كادت الهيجاء تفنيها
وكتك الخيل تعدو في مغانيها
وتطلب العفو من أعلى صياصياها
والسيف من غمده سراً يناجياها
وتتقي الشزور من مرآك يعشيها
ولا ترى الشخص إلا أن يناديها
فما لأعضائها فعل يواتيها
اليك تكفل من فيها وتكفيها

ولما وردت رسل الروم راغبة في السلم أحسن اليهم وصرفهم الى ملكهم،
وأمر بتشييعهم الى مأماتهم ، ثم أخذ في الحزم والعزم ، ونظر في حسم العلل
وحد لهم التأهب وأمر الأدلة بالفحص عن الأنباء وأخذ الألسنة .

وبأثر ذلك ورد النبأ الصادق أن القمط ^(١) احتفل في الحشد وخرج الى
بلاد الاسلام وعزم الامير تاشفين على الخروج الى طرف نظره فتواترت الانباء
بتعريض العدو الى طريق اشبيلية يوم النصف من رجب وكان واليها ابو حفص
عمر بن الحاج الممتوني الملقب ومجور ^(٢) ، فلم يشعر الا والخيل جائلة
بالشرف ^(٣) فخرج بمن كان معه فوقف على ضفة الوادي ببعض خيله ورجله ،
وأجاز البعض ليكف عادية الخيل الغادية عليهم ، فظفروا ببعض الروم
وكرؤا بهم الى الامير عمر ، فاستخبرهم وأمر بضرب اعناقهم ، ومن بالضفة
الاخرى من خيل الروم ينظرون اليهم ، فاحتلتهم الحمية ، واقتحموا النهر
فحاص المسلمون حيصة أجلت عن الأمير عمر صاحب اشبيلية قرب المسلمين
كرم ... بشهادة ، فقل ان حجراً كان يلقي على الظهر ، فلما ألهب الفرس

(١) Conde أو « قومس » يعني ردوريجو جنثال ، الذي قام بهذه الحملة .

(٢) الصواب « مجوز » أو « مقوز » كما مر وهذا هو أخو يحيى بن علي ابن الحاج الذي تقدم

ذكره .

(٣) الشرف El Ajarafe هو منطقة التلال المحيطة بأشبيلية .

بالجري سقط واثقله عن انقيام الدرع ، فدأسته الخيل وبطت بطنه بالطعن .
وفي صبيحة تلك الليلة اضطرب الروم بالهلة على فرسخين من مدينة اشبيلية ،
فقتلوا عظيماً وسبوا عظيماً بمراًى عين ومسمع اذن ، واستاقوا من الاسرى
والمواشي والآراب ما لا يحصيه عد ولا يحصره حد ، فلم ... عن احراق
الزرع وقطع الشجر ، وأسرعوا [في] الصّدْر ؛ ولما علم تاشفين بأخذ العدو
الى جهة اشبيلية خرج بالجيش الى سمت قرطبة ، فتلقاه كتاب القاضي بها
محمد بن اصبح معلماً له باكتساح العدو مدينة اشبيلية وعرفه باستشهاد
صاحبها ، فجدّ السير في الوصول اليها وقد قتل رئيسها وفض جمعها (١) ...
من اهل الحاضر المتصرفين اسعارها وكثر ... والتادب من اشبيلية وأمر
بتنكيله وسوقه الى جزيرة ...

وكان تميم بن يوسف بن تاشفين والياً على فاس فيها فعزله أخوه في سنة
ثلاث وعشرين بعد ولاية العهد لسير بن علي فولّى بعده محمد بن يزول . وفي
هذه السنة وهي سنة اربع وعشرين عزل يزول عن المغرب وولي حازم بن
داود بن عمرو بن يحيى .

وفي هذه السنة هبط الموحدون الى مراکش وحصروها وبقيت أياماً لا
يدخلها احد ثم وقعت الملاقاة فحصل من المتونيين خلق كثير لم يحص لهم
عدد وهرب باقيهم الى مراکش واتبعهم الموحدون الى بابها فتراموا في الحفير
وطلع فيه الناس على الناس حتى امتلأ منهم ثم رجع الموحدون عنهم الى محلتهم
وبقوا عليهم أياماً فوقعت بينهم وقعة مات فيها من الموحدين من قضى الله له
بذلك . انتهى كلام ابن حمادة .

وفي هذه السنة وهي سنة اربع وعشرين المذكورة نزلت طائفة من قبائل

(١) يجعل ابن عذاري هذه المعركة سنة ٥٢٤ ، ويؤرخ ابن الخطيب حركة العدو إلى
اشبيلية أواخر عام ٥٢٥ ، أما ابن عبد الملك فيشير إلى أن مقتل الأمير عمر كان في رجب
سنة ٥٢٦ وأن الذي كتب بخبر الكارثة الى علي بن يوسف هو سليمان بن جعفر الحضرمي
(الذيل والتكملة ٤ : ٦١) وذكر ابن القطان تلك الحادثة في أخبار سنة ٥٢٦ .

الموحدين الى كيك فهزموا عسكرياً لعلي بن يوسف واخذوا اموالهم وسلاحهم وأخبيتهم^(١) .

ثم نزل بهم عبد المؤمن بن علي الى اغمات^(٢) فحاصروها وقتلوا في يوم واحد نحو ثلاثة آلاف اكثرهم سودان فاتصلت الهزيمة بموضع افراك ؛ وفي اليوم الثاني اصبحوا على باب الشريعة فخرج اليهم علي بن يوسف من مراکش فهزموه حتى دخل باب المخزن .

وفي هذه السنة توفي المهدي ، لما رجع عبد المؤمن من حركته وجده مريضاً فخرج الى الناس فوعدهم وكلمهم ثم رجع الى داره فتوفي ، وكنتم اصحابه وفاته ، وكان عمر المهدي نحواً من خمسين سنة . هكذا ذكر ابن القطان رحمه الله .

وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة ورد كتاب علي بن يوسف على الامير ابي محمد عبد الله بن ابي بكر بولاية قرطبة ، فلما استقر بها امر بالنظر في الميرة الى ارنيط^(٣) وقد انتدبت النصرانية لهذا الحصن خيلاً ورجلاً واحدقت به لتمنع وصول الميرة اليه وقد نفذت الاموال عليه وطمعوا به لكونه [شجياً في حلوهم] وقذى في عينهم ، فاستمد الامير عبد الله الامير تاشفين من اغرناطة فأمدته بنفسه واجتمع بهما في سميت مرسية واليها ورئيسها يحيى بن علي ابن غانية وتسامعت الروم بذلك فأرسلت امدادها من البلاد النازحة والاقطار الشاسعة فاحدقت بالحصن ، وأمد الميرة ، فحال بين اتصال الروم ، وأمر الامير تاشفين يحيى بن علي بن غانية بأخذ مخاضة النهر على من بتلك الضفة من المدد ، فلما رأى الروم ذلك استمروا الى سفح الجبل فقل الطمع فيهم ، وأمر الامير تاشفين بضرب المحلة ، فلما حل بالمغرب صدر الناس الى الاخبية وترك

(١) انظر الخبر عن الغزوة إلى كيك في نظم الجمان : ١١٤ .

(٢) قارن بما أورده صاحب نظم الجمان : ١١٦-١١٧ .

(٣) في المطبوعة : ارنبة .

يحیی بن غانية المخاضة التي وقف عليها ، فبادر الروم الخوض منها رجلا وخيلا . . فأخذهم الطعن في النهر ، وذهب المسلمون اكثرهم غرقاً وطعناً وفي... امد الامير تاشفين الحصن بالرماة والرجلة وصدر... اظهر الله المسلمين... واخذ تاشفين في... من هناك المرية ثم وصل اغرناطة في ربيع الاول سنة ست وعشرين وخمسمائة .

وفي هذه السنة اعني سنة خمس وعشرين توفي بمدينة قرطبة ابو العلاء زهر ابن عبد الملك ابن زهر رحمه الله .

ولم يزل امير المسلمين علي بن يوسف يوالي الحروب من قبله على الموحدين ويأمر عساكره بملازمة السكنى حيث بقيت لهم الطاعة من اهل الجبال... مطاولة الحرب والنزال ووجه اليهم اخاه ابراهيم الشهير بابن تاغيشت فانكسرت محلته من غير قتال ، فأخذ الموحدون اخبيتهم واسلحتهم وألويتهم ، فلما جرت هذه الكائنة وشاع ذكر هذه الهزيمة ببلاد المصامدة كثر الوافدون اليهم وقامت الفتنة بين قبائل المصامدة يقاتل الرجل اباه واخاه في داره اذا تخلف عن اتباع المهدي ويكفر بعضهم بعضاً؛ اما مصامدة الجبل فاتبعوه اجمعين واما مصامدة الفحص فقليل .

وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة^(١) اتصل الخبر بالامير تاشفين بن علي بن يوسف ان العدو خرج من طليطلة الى جهة قرطبة فاستعد الامداد واستعد غاية الاستعداد وخرج الى الجهاد فدارت الحرب على الروم وأخذ السيف مأخذه منهم وقبض على قائدهم وعلى عشرين من زعمائهم وامتلأت ايدي المسلمين من اسلحتهم وزيهم ودوابهم . فأمر الأمير تاشفين بثفاف الاسرى والغنائم ونهض بهم الى قلعة رباح لقربها من المعترك ، فألقى أحوالهم مختلة ، وامورهم معتلة ، فأصلح ما فسد ، وسد ما اختل ، وترك الأسرى عندهم ليفادوا بها من في

(١) انظر الاحاطة ١ : ٤٥٩ في خبر هذه الغزوة .

دار الحرب من اسراهم وصدر الى اغرناطة ظاهراً وظافراً، فأنشده الشعراء،
فن ذلك ما قيل فيه من قصيدة :

ركبت ردعها جيوش الضلال وسرت من رماحها بذبال
ملقيات دروعها لا لوقت فيه تقص.. الجلود وغشى الصلال (؟)
حث في اثرها الامير بعقبا ن جياي هوت بأسد رجال
ومنها .

انت يا تاشفين والله واق لك نفس العلى وشخص الكمال
ليس آمال من على الأرض الا ان ترى انت غاية الاعمال
ومنشأ بان نهضت واقبلت [حميد] النهوض والاقبال
ومنها :

رب اشياء ليس يبلغ منها كنه ما في النفوس بالاقوال
غير ان الكلام ان جل قدرا ... وعانيت (؟) فوقه بالفعال

وفي هذه السنة خاطب الامير تاشفين رذريق صاحب طليطة اخزاه الله ،
وكان معروفاً عندهم بالماء الحدة (؟) فولاه ... السليطين بن ردمير^(١) حفيد
اذفونش ملك قشتالة ... من الأمير تاشفين ... ونظر من خلال ذلك في ...
بها الى ان استبشر اهلها بقدوم تاشفين عليها فقويت انفسهم برويته وتأنسوا
به وانضم الى جيشه بقية جيشها ، وتآلف اليه عدد جم من مطوعتهم واذماء
اهل باديتها ، فأخذ بهم في أثر العدو حتى يسير من لحاقه لخلوله ببلاده ففكر
راجعا الى قرطبة .

(١) السليطين (تصغير سلطان Emperador) هو ابن أراكة Urraca بنت الفونسو السادس ، فهو اذن الفونسو السابع (٥٢٠ - ٥٣٤) . ولعل هذا النص المضطرب يشير إلى غزوة تاشفين لحصن السكة Azeca وهي غزوة يجعلها لسان الدين عام ٥٢٤ (انظر الاحاطة ١ : ٤٥٩) .

وفي هذه السنة انضافت ولاية قرطبة الى تاشفين ، وكتب له بذلك ابن
ابي الخصال عن ابيه :

« من امير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ، اعزه الله بتقواه ،
وأمدته بتوفيقه وهداه ، كتابنا كتب الله لك معاني ومباني الخيرات ، ومهد
لك مراقي الأعمال الصالحات ، من مراکش حرسها الله تعالى ، لعشرة بقين من
رجب الفرد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقد رأينا والله نسأله الخيرة فيما
نرتبه والتوفيق في كل ما نصنعه ، أن نجتمع لك قرطبة وأعمالها الى ذلك
العمل الذي أنت فيه . فاذا وقفت على كتابنا هذا ، فانفض بنفسك على بركة
الله الى هناك . واجعل قرطبة دار سكنك وقرارة مثواك . وعلى مقدار ما
زدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مسعاك . واستعن
بالله في اعلانك واسرارك . وخذ من اوقات ليلك لأوقات نهارك ، واجعل
لنظرك حظاً من سهرك ولفكرك مستمنحاً من تدبرك ، واستظهر بحسن المشورة
في مواطن الاشتباه ، فان الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ : « وشاورهم في الأمر
فاذا عزمتم فتوكل على الله » . واستخلف على غرناطة عند انفصالك عنها أبا محمد
الزبير بن عمر ، أعزه الله بتقواه ، والزمه من استشعارك مراقبة الله تعالى من
الذي نلزمك اياه ، واعهد اليه بشاكلة ما نعهد اليك والمستعان الله لا
رب سواه . »

. ومنها : « وأول ما نوصيك به تقوى الله ، فاجعلها بردة شعارك وعقدة
اظمارك ، وعهدة ايرادك واصدارك ، ثم اعتمد الممدلة في عباد الله ، فانما انت
واحد منهم وكلنا عبيد الله الى تراب انتسابنا والى الحساب مآبنا ، والناس
كلهم سواء في اول النشأة والحال ، وانما يتميزون بالمساعي والأعمال ، فهي التي
رفع الله منها بعضهم فوق بعض درجات ... على مجازاة الحسن بإحسانه
والمسيء بإساءته بحكم بات ، وحق على من آتاه الله حظاً من ولاية لادائه
وقلده قسطاً من وقاية عبادته ، أن يقوم بينهم بالقسط كما أمره الله ويخشى
يوماً حق لمن يوصي ... اليوم الآخر ان يخشاه ، وان من عزم الامور وحزامة

التدبير ان يلحظوا بعين الكلاءة . . . بكل سوء ومساءة . والله المستعان
وعليه التكلان لا رب غيره .

وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة ^(١) وصل العدو دمره الله الى حومة
مدينة شريش والبحيرة ولم يلقه احد من المسلمين وصدر الى بلاده : هكذا
ذكر ابن حمادة .

وفي سنة ثمان وعشرين ^(٢) غزا تاشفين بن علي بن يوسف الروم وهزمهم
واخذ الاسرى من . . . وذلك انه اتصل بالامير تاشفين [أن] عظماء الروم
وزعماءهم تألف لهم جيش . . . يحتوي على الآلاف من زعمائهم ومشهوري
ابطالهم وقصدوا ناحية بطليوس وباجة ويابرة ومسا بذلك الصقع من بلاد
الاسلام فشنوا الفارة عليها واستحوذوا جميع ما ألقوا بها ، وانتهوا الى
مواضع كانت لا تروّع بعدو ، لبعدها ومنعتها وتعذر الوصول اليها ، فجاسوا
خلالها ودوخوا ارضها واخترقوا طولها وعرضها ، فاجتمع من المسلمين ضعف
شعبة العدو المححف باشبيلية ، وانثنوا على مهل لثقل السيق وثقتهم ببعدهم
الصارخ منهم ، فثنى الامير تاشفين الأعنة وأمر الأدلة أن يتجشموا به كل
ذروة وثنية ، رجاء في لحاقهم فأفضى الاغذاذ به الى فدان ^(٣) بقرب زلاقة
موضع المعترك الذي اوقع فيه جدّه بالطاغية اذفونش بن فرذند اخزاه الله
ولم يكن إلا كلا ولا ^(٤) [حتى] أقبلت الطلائع منذرة بهم ، فلما تراءى الجمعان

(١) يؤرخ ابن القطان هذه الغزوة في العام نفسه ، ويقول ان السليطين صاحب قشتالة وابن
هود اشتركا فيها « فهبطوا الى اشبيلية وانبسطت خيلهم واقتحمت ما وجدت ، ثم هبطوا الى
شريش فدخلوها وقتلوا من وجدوا فيها ، واستباحوا وبالغوا في نكاية المسلمين ثم رجعوا الى
بلادهم » نظم الجمان : ٢٠٠ .

(٢) وصل ابن الخطيب خبر هذه الغزوة بالمأساة التي واجهتها اشبيلية ومقتل واليها عمر بن
الحاج (مقوز) (انظر الاحاطة ١ : ٤٦٠) وكأنه يجعلها انتقاماً لتلك الحادثة وقد ذكرها ابن
القطان في حوادث سنة ٥٢٦ (نظم الجمان : ١٩٨) وراجع الحلل : ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) الاحاطة : فلاة .

(٤) المطبوعة : وفي . . . ذلك ، والتصويب عن الاحاطة .

اضطربت المحلة ـان وترقت المواكب فأخذت مصافهما ، ولزمت الرجال
مراكزها ، فكان في القلب مع الامير تاشفين وجوه المرابطين وأصحاب
الطاعات ، وعليه البنود البيض الباسقات مكتبة بالآيات ، وفي الجانبين كفاة
الدولة وحماة الدعوة ، من أبطال الأندلس عليهم الرايات بالصور الهائلات ،
وفي الجناحين من أهل الثغر وذوي الجلادة والصبر ، وفي المقدمة مشاهير زناقة
ولفيف الحشم أهل العزائم الماضية والبصائر الثابتة بالرايات المصنفة والاعلام
المنيفة ، فأنقذ الاسرى من ايدي الطاغية ، وأخذ الغنيمة وقتل جملة كبيرة ،
وصدر الى قرطبة ثم الى اغرناطة ، وذلك في جمادى الاولى من سنة ثمان
وعشرين ، فأنشده الشعراء مهنئة بقدومه من غزوه ووصفت هزيمته للروم ،
فمن ذلك من قصيدة طويلة ، نبذة اقتصرت عليها :

فالرومُ تبذل ما ظباك تروم	امّا وبيضُ الهندِ عنك خصوم
عن نفسه حيث الكلام رحيم	تمضي سيوفك في العدى ويردها
ابدا على قمم الملوك تحوم	دار جعلت بيوتها قطبا لها
فطفت وغاصت ارؤس وجسوم	وكأنما الفرسان قد عرقت بها
في كل واد بالفرار تهيم	جاست خلال ديارهم وحماتها
يوم على الدين الكريم كريم	[لله يا] يوم العروبة انه
فتح يقل لقدره التعظيم	فتح عظيم القدر يمن بشره
من بعد اقليم [عنا] اقليم	يستفتح البلدان سعدك طالعا
لأغرّ قام بتاجه التعميم	خضعت ملوك الروم في [بلدانها]
فنيت بصارم تاشفين الروم	... الكتاب بعد سير والقي
. النفاق (؟)	[هذي] سماء الملك الجمه
.	وأنت أمير المسلمين . . .

وفي هذا الشعر طول اقتصرت منه على هذا [وقد ورد في كتاب الانباء]

(١) ورد منها البيتان الاولان في الاحاطة : ٤٦١ .

في سياسة الرؤساء ، وإنما هذه نبذ مقتصر عليها .

وفي هذه السنة وهي سنة ثمان وعشرين اغزى تاشفين الروم وهي غزوة البكار^(١) كانت على المسلمين ؛ قال ابو بكر يحيى بن محمد الانصاري : خرج الامير تاشفين في اثر عيد النحر بجيش اغرناطة وقرطبة ولفيف من المجاهدين غيلا ورجلا ليقطع بالعدو المغزو وقد اكتسح ما بتلك الجهة وأوعز تاشفين الى ابي يعقوب ينتان بن علي فخرج بجيش تلك الجهة اعني اشبيلية فاجتمع به بفحص الريحانة في شهر ذي الحجة ، فنهضت المملتان الى موضع يعرف بالبكار طريق العدو التي لا محيص له عنها فلما [اشتدوا] في طلبه تمكن العدو من رؤيتهم واستشعر أن الامير تاشفين في طلبه ، فخامرهم الجزع ، [فصدر] المسلمون الى البكار فاضطربت المحلة وانبثت الادلة ، ولما تحقق العدو صدرا الامير تاشفين الى البكار حملوا الحملة في انتهاز الفرصة فانتدب من أنجادهم الفان واردفوا عددهم من الرجلة وصدوا صمدا المحلة ، وقد تهور الليل وضيع الحزم ، فاقحموها من فرج كثيرة فثار الصباح وعلا الصهيل واختلطت الأصوات ونفرت الدواب وقطعت مقاودها وقيودها فوقعت على الاخبية فوقع النهب ، وفر الناس وتسلمت المحلة وقصد العدو مضرب خباء الامير تاشفين ، وقد قرب فرسه لينجو عليه فانتهر ناصيته ونجا من حظه (؟) وقال : لا اسلم واسلم الامة ولا ابرح او تنجلي عما انجلت عليه هذه الكرة ، فأحرق به رجال من أهل الأندلس وافذاذ من المرابطين ، لم يلتئم الجمع اربعين فاعترضوا بينه وبين الروم فوقع الضرب واشتدت الحرب وعظم الخطب ، والامير تاشفين في درعه متشحا بسيفه ، ودرقته بيده ، يشد حملته ، ويبيدي صفحته ، فلم ير أربط جاشا ولا اشهم نفسا ولا تحدث عن أحد قبله بما ظهر منه في مطلع ذلك الهول وتفاقم الأمر وقد هتكت خباؤه بالطعن ، وجذت أواخيها بالضرب

(١) Albacar شمال قرطبة . وانظر خبر هذه الغزوة في نظم الجمان : ٢١٥ وجعلها من أحداث سنة ٥٢٩ ، والتاريخان متقاربان ، لأن خروج تاشفين حسب رواية ابن عذاري هنا كان في ذي الحجة (٥٢٨) .

فعاقت الأرض ، وبأخرة طعن أحد العبيد قومن الروم فاخرج الرمح من وراء ظهره ؛ فكانت المحاجزة وانصدع الفجر فانجلت الظلمة والحرب على افذاذ قتلى واعداد جرحى ... مبطوحة ودماء مسفوحة ، ولولا قدر الله السابق بثبوت الامير الاجل تاشفين [حلت] الفضيحة والآزفة التي ليست لها كاذبة . ورجع العدو في اخريات الليل الى مضرب محله فأقام الى الضحى مع أخذ آل بلده (؟) وركب الامير تاشفين في الصبح الى قشرش^(١) ... طبله ، وكرّ الى حصن قشرش بالحملة ، ثم رحل صدراً الى قرطبة .

ولما استقر الامير تاشفين بقرطبة انشده الشعراء فقال الفقيه ابو بكر يحيى بن يوسف الانصاري من قصيدة طويلة يمدحه ويعظمه ويذكر بلاءه في الحروب وفعله بما يحنى في ذلك :

كـ م يـ بـ كـ يـ المـ المـ الأروـع

وأخذوا كل طريق . ولما سكنت النائرة عاد الى اقامة رسمه ، والتمزام حكمه ، وجاء رجل يستعديه ، ويذكر موضعاً سلب فيه ، فقال له : وأنا أيضاً سلبت أنا وذهب مالي ومالك ... وصار ايدي سبا .

قال ابو بكر يحيى بن محمد الانصاري : وفي هذه السنة خرج يحيى ابن علي بن غانية عامل بلنسية ومرسية الى حماية الزرع بالشجر وبث الطلائع اثناء ذلك ، فانتهى اليه تقدم عسكر العدو يروم الضرب على بلاد الاسلام ، فأخذ في أثرهم حتى لحقهم ، فاستأصلهم الله واستنقذ الاسرى وصرف السبي .

وفي هذه السنة هلك الطاغية اذفونش ، ولما هلك أخزاه الله أفضت القومسة الى ردمير أخيه باجتماع الروم عليه بعد امور مشتتة وشؤون مضطربة ، فأقر كل عامل على عمله ببلاد شرق الاندلس من بلاده ، وانصرف الى قشتالة حضرة ملكهم - عجل الله بهلكهم - فاتفقت المواعدة في حين ذلك بين ابي بكر يحيى بن علي بن غانية عامل بلنسية ومرسية وبين ردمير بن ردمير

(١) Caceres وفي نظم الجمان « قصرش » .

– لعنهما الله – الى انقضاء عام ثلاثين الآتي بعد هذه السنة المؤرخة .

وبعد ذلك قطع اهل ارغون^(١) برفقة خرجت من افراغه^(٢) تاهضة الى وشقة^(٣) فبادر صاحب افراغه سعد بن مردنيس إعلام ردمير ، فأحضر الملا من القسيسين والرهبان وزعماء الروم وقال لهم : « ما منزلة آبائي ومن درج من اجدادي عندهم وما تعتقدونه في انفسكم ؟ » قالوا : على سواء واجتماع ملوك وابناء ملوك ، لهم السمع والطاعة وعندهم العزة والقوة على قدم الدهر كابرا عن كابر وأورثه الاول للآخر . قال « فإين انا منهم ؟ » قالوا « انت احدهم والمفضي اليه ملكهم وشأنك شأنهم ومكانك مكانهم » . قال : « فما [جزاء] من حلّ امرأ أبرمته وفسخ ما كنت أحكمته وهم فلان وفلان ؟ » ، وعدّ سبعة من عظمائهم وزعمائهم قالوا : « حاكمك ولا اعتراض عليك » فأمر اولائك إحضار سلب الرفقة فلما كمل أمر بضرب اعناقهم وصرف ذلك السلب الى أربابهم .

وفي هذه السنة تيمم فاس القاضي ابن الملجوم ، كتب امير المسلمين علي ابن يوسف الى اهل مدينة فاس ينبئهم بدم قاضيه ابن الملجوم وعزله عنهم . فصول منه^(٤) : ابقاكم الله واكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وقد انهي البنا وتحقق لدينا ان الجهول ابن الملجوم اجهل باحكام القضاء من العلجوم . وانه اظهر فيكم احكاماً يترحم من مثلها على سدوم ، فقد وليناه خطة الملوم . ونبذناه بالعراء وهو مذموم . وجعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم . ولعل متعسفا يتعسف او متكلفاً يتكلف ... [يلومنا في] تقديمه [وينالنا من العتب باليمه ولا] قدح .. فقد اختار [رسول الله] عليه السلام لوهي الله ... [لعين بني سرح ، وقد اغتر عثمان بجمران .. الخ] .

وفي هذه السنة ولي قضاء اشبيلية القاضي ابو بكر ابن العربي رحمه الله –

Huesca (٣)

Fraga (٢)

Aragon (١)

(٤) أررده السلفي في معجم السفر : ١٢١ – ١٢٢ (نسخة عارف حكمت) وانه في ابن أضحي قاضي مراکش .

ووصل كتاب ولايته من مراکش الى اشبيلية عن علي بن يوسف - رحمه الله -
بتاريخ يوم الخميس منسلخ جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

وفي هذه السنة خرج العدو ابن ردمير بشرق الاندلس فكسره جيش
ابن غانية صاحب مرسية ولم يسلم منه الا بشر يسير وصدر ابن غانية ظافراً
بالغنائم واما الطاغية فبقي اياماً ومات من مرض اصابه .

وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة، قال ابو بكر يحيى بن محمد الانصاري :
وقتل في هذه السنة قاضي قرطبة احمد بن خلف النجيب رحمه الله - أكبر رجل
عليه وهو في المسجد الجامع وهو في السجدة الاولى من ركعتي
الجمعة فضربه بخنجر فصرخ وقطعت الصلاة وبطش بالضارب وحز رأسه
فرفع في عصا وشهر رجل آخر سيفاً فقتل به وألحق بصاحبه ، وهرج الناس
في الجامع لا يعلم اكثرهم ما حدث فيه ، ثم انزعجوا الى المقصورة فسدت
ابوابها ومنعوا منها ، وشهر المرابطون أسلحتهم وأخرجوا أميرهم تاشفين على
باب الساباط ، وحمل القاضي في نعش فقضى عند العصر ، والتطخت قرطبة
بما لم يشتمل عليه ديوان ، ولا بدر في زمان ، من اغتيال قاض عدل فقيه خير
جامع لأعمال البر قتل مظلوماً ساجداً في صلاة الجمعة ، وقد تقدم ما كان من
تحذير الوالي خشيته على ابن رشد ، فكان الأمر الذي أصيب هذا به .

وثارت العامة ايضاً بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود - لعنهم الله -
بسبب قتل وجد بين أظهرهم ، ففتحت منازلهم وانتهبت اموالهم وقتل
نفر منهم .

وثارت السفلة ايضاً بأشبيلية على قاضيههم أبي بكر ابن العربي وذلك
انه كان له في عقاب الجناة اختراعات مهلكات ومضحكات فانتدب أنفساً
جمة صلباً وضرباً وسيق [اليه] أحد الزمرة فأمر بضرب يديه وثقب
شذقيه فانبطلت الحكمة عليه ، وعثر أعوانه على حامل خمر لم تنم عليه فباغته
وتحفى بسؤاله [وتلمس] طريقاً يخرج به الى ثقاته ، فطمس ذلك الرجل

وأبهم الأمر وقال : عندي خادم رومية ... والخمر قوام شرعها فابتعتها
وحملته لها ثم عثر عليّ هؤلاء ؛ فأطرق ابن العربي وقال « لعن الله بائعها
ومبتاعها وعاصرها وحاملها » ... اللعن عليها . فأمر بلعنه وعرضه على الحامل
ثم خلى سبيله ، فانطلق عليه اللعن في كل مكان ومن كل انسان ولا ... ذلك
امر من العقاب وأشد من العذاب فلما طال على الرجل الامر انتقل عن
البلد ، [وظلّ ابن] العربي يوالي التشدد والتسلط حتى [ثقل على الفساق]
والاشرار فهاجوا .

... عبد المؤمن بخليفته وتحرك عبد المؤمن لتاوررت فدخلها واستولى على
بلاد السوس كلها وقتل من لم يتبعه من اهلها وهزم قائدها علي بن
يوسف وعسكره وحصل بعسكره في تيونون : هكذا ذكر ابن القطان ^(١) .
وفي هذه السنة هلك الطاغية اذفونش اخزاه الله تعالى .

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة ^(٢) أغزى تاشفين بن علي بن يوسف الروم في
شعبان المكرم بعد ما استحضر زعماء المرابطين ونظر ما عندهم في لقاء
عدوهم فقالوا : « الدولة لنا فاما تركها او حمايتها لا يتقدمنا » ^(٣) احد الى لقاء
عدونا ، فاذا استشهدنا فالامر لمن شاء الله بعدنا ، ثم دعا العرب فقالوا : « ارم
العدو بنا ولا تشرك أحداً معنا ، وسيرى الله عملنا ، ثم استدعى زناثة والحشم
فقالوا : « لا جواب الا الفعل وشرطنا ان تعول ايتامنا ، فجزى كلا خيراً
واجابهم بما أطاب ^(٤) انفسهم وقوى عزمهم . وكر الى الامير تاشفين من اعلمه
ان الروم مالت الى التحصن في جبل القصر فأخذ الى الجبل فتعلقت الخيل به
ترهقه وتصيب منه وقد شرع القتل في الروم ، فهاهم الامر وتردوا ^(٥)

(١) انظر نظم الجمان : ٢١٠

(٢) خبر هذه الغزوة في الحلل الموشية : ١٠١ وما بعدها .

(٣) الحلل : لا يتعذر منا

(٤) المطبوعة : أصاب

(٥) المطبوعة : وتردى

أخذاً في غير طريق وأخذ الروم الضرب الى عدة اميال فأتى على جلهم القتل وأفلت النزر وامتلات ايدي المسلمين من دوابهم واسلحتهم وفكت اغلال الاسارى وصرفت الاغنام الى البلاد النازحة والاقطار الشاسعة وكاد هذا يربي على ما تقدم من نظرائه لاستئصال هذه الشوكة المؤلفة والحية القاتلة ؛ وصدر تاشفين الى قرطبة وقد صنع الله له كأفضل ما عوده .

واقبل عيد الفطر ، فانشدته الشعراء فقال الفقيه ابو بكر يحيى بن محمد ابن يوسف من قصيدة طويلة :

عرفت والليل مزور على الأفق خفي "مسراك" في الظلماء والغسق
يا بانه "كلما افتر" الصبح لنا القى النسيم عليها نفس معتبق
ومنها :

لا تعدلن تاشفين ... ملكاً طعانه وعطاياه على نسق
ومنها :

يا اكرم الناس عفواً عند مقدرة واجمل الناس في خلق وفي خلُق
قد نafs العيد اعياداً لك اطردت على الفتوح اطراد الخيل في الطلُق
فاهناً بعيدك من اعياد ذي ظفر له نظائر تأتي بعد في نسق
لا زال ملكك يعلو كعبه ابداً هام الملوك كما تعلو على السُوق

وكانت في هذه السنة احداث أعرضنا عنها لئلا يطول الكتاب بها .

وفي هذه السنة أغزى الروم سعد بن مردنيس صاحب افراغة وابن غانية صاحب بلنسية ومرسية وذلك انه أحس بنفاد القوات في مكناسة أحد حصون شرق الاندلس استدعى من طرطوشة ولاردة والحصون المجاورة لهم فنازل مكناسة وصار بذلك الى يحيى بن علي بن غانية ، ونظر روم سرقسطة في توصيل الميرة الى مكناسة فلما شارفوها دبّ الرعب في قلوبهم فتركوا الميرة وفرّوا بأنفسهم ولحق ابو زكرياء يحيى بن علي بن غانية ففرق من بمكناسة وتشوف صاحبها لنبيته وحماية الأمان فنزل عنها ، فوفى لهم ابو زكرياء وأصحابهم

شيعة الى مامنهم وانتقل من فوره الى تلك الحصون المجاورة لمكناسة فافتتحها
بفعل اهل مكناسة وانقضت غزوته بفتح عدة حصون منيعة المعقل .

وفي سنة احدى وثلاثين اخذ الأمير تاشفين في الحركة عن الأندلس الى
حضرة ابيه وذلك بعد ما وصله خطاب والده مستأذناً له في تجديد العهد به ،
وكان علي بن يوسف اعتل في السنة الفارطة وارقبك في مرضه حتى أرجف
به فسات الظنون وتمكن الجزع ببلاد الأندلس ، فلما وصله الخطاب المذكور
تلقى ذلك بالقبول ونزع في القفول الى مراکش ، فكان من امره ما يذكر
في موضعه ان شاء الله تعالى ؛ هكذا ذكر ابو بكر بن محمد . وقال ابن حمادة :
اغزى تاشفين الروم في ربيع من عام احد وثلاثين وفتح حصوناً للروم ^(١) .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، قال ابن حمادة : كان السيل العظيم
بطنجة حمل الديار والجدر ومات فيه خلق عظيم من الناس والدواب .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ^(٢) اجتمع عسكر المرابطين مع اميرهم
تاشفين بن علي مع عسكر عبد المؤمن بن علي ببلد منانة بموضع بني ملول ^(٣)
فكانت بينهم محاربة عظيمة شهراً كاملاً وثلاثة ايام انجلت عن هزيمة تاشفين
فاتبعه عبد المؤمن الى ايمى تانورت ^(٤) وأخذ عبد المؤمن بلاد منانة ، وكان
تاشفين قد ارسل الى جزولة ليغيثوه فلما وصلوا اليه وجدوا الهزيمة عليه فضربت
جزولة على آخر عسكر عبد المؤمن طمعاً ان تكون له ، فكرت عليهم
عساكر عبد المؤمن فقتلت جزولة عن آخرهم واخذ دوابهم واسلحتهم وكانوا
آلافاً من الفرسان والرجالة ، ولم يبقَ منهم الا الاقل .

(١) ذكر صاحب روض القرطاس ان تاشفين غزا سنة ٥٣١ هـ كركي ودخلها وان اجتيازه
عائداً الى مراکش تم سنة ٥٣٢ هـ .

(٢) انظر نظم الجمان : ٢٤١

(٣) في المطبوعة : يلول

(٤) في ابن القطان : الميز تانورت

ذكر وفاة سير

وفي هذه السنة توفي الامير ابو محمد سير بن امير المسلمين علي بن يوسف ولي عهد أبيه . وقد تقدم القول في ولاية تاشفين الاندلس انه لما شاع ذكره فيها كبر ذلك على اخيه سير فتسبب في عزله عنها فوصل تاشفين مراکش وصار يتصرف بأمر أخيه ويقف على بابه كأحد حجابيه . وكان سير يركن للراحة ويصطحب أهل الفكاهة فاقتحم ليلاً على أخيه عمر^(١) في داره فضربه وقضى عليه فمات رحمه الله ، وقيل غير هذا ، والله اعلم بذلك . وذكروا ان والدة سير هي التي غارت بأخيه تاشفين لثلاثين عاماً على ابنها ويتملك في بلاد الاندلس فكانت سبب عزله ووصوله . قال الوراق في المقباس : فكان الذي خافت ... من تاشفين ... ولما مات سير بن علي فاوضت امه قمر اباه فيمن يولي به عهده [دون] تاشفين ، فقالت له : ابنك اسحق وكانت امه قد ماتت وتركته صغيراً قريبته قمر أم سير فكان لها كابنها فقال علي بن يوسف : « هو صغير السن لم يبلغ الحلم ولكني اجمع الناس في المسجد الجامع من اهل مراکش خاصة وعامة وأخبرهم في ذلك . فان صرفوا الخيار اليّ فعلت ما اشرت اليه » .

ذكر ولاية العهد لتاشفين بن امير المسلمين

علي بن يوسف بن تاشفين

ولما مات سير بن علي ولي عهد أبيه طلب اشيخ المرابطين من علي بن يوسف في ان يولي ولي عهد فقال لهم : « اجتمعوا واختاروا لانفسكم واتفقوا على من

(١) في المطبوعة تاشفين وهو خطأ واضح ، وقد صرح ابن القطان بالحادثة على نحو أوضح فقال : « ودخل متسوراً على أخيه عمر يريد زوجته ، فجرح جراحة عجلت منيته » . وعند ابن الخطيب (١ : ٤٥٥) ففرض الله وفاة سير على الضرورة القبيحة .. الخ » .

ترضونه ، وقصد بذلك التوثيق في أمر تاشفين ، فلما اجتمع الناس في المسجد الجامع الكبير بالسقاية بمراكش حرسها الله تعالى خاصة وعامة وتشاوروا في من يختارون ومن عليه يجتمعون فقالوا كلهم بصوت واحد: « تاشفين . تاشفين » فلم تعط السياسة لأبيه مخالفتهم فيه ، فعقد له الولاية بعهدده ، ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه ، وقلده النظر في الامور السلطانية فاستقل بذلك وكتب الى العدو والاندلس وبلاد المغرب في بيعته فبايعوه ووصلت البيعات من كل الجهات مؤرخة برجب الفرد عام ثلاثة وثلاثين وخمسمائة .

وفي سنة اربع وثلاثين وخمسمائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناقة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم البرقيز (١) فبقي يحاربهم نحو شهرين ثم رجع الى مراكش ورجع الموحدون الى تينمل وانجلت الحرب على قتلى من الفريقين ؛ وقال ابن حمادة : يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال التقى تاشفين مع الموحدين وقتل له خلق كثير وحينئذ رجع الى مراكش .

وفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة خرج جيش اللمتونين من مراكش مع الحشم والروم فالتقى مع الموحدين يحبل جذميرة فهزمهم واتبعهم حتى وصل فج طرودنت فالتقى الجمعان وتحارب الفريقان فكانت للموحدين على اللمتونيين ورجعوا الى مراكش خاسرين وقائد الروم اللعين مجروح ورجع الموحدون مع عبد المؤمن الى تينمل . ثم خرج جيش اللمتونيين مع قائد الروم المذكور فالتقى مع الموحدين فحاربهم ودخل الموحدون الى السوس فبنوا اسنجر وبالجزر والطين ورجع عنه جيش اللمتونيين وغنم الموحدون بعض بلاد السوس ورجعوا الى تينمل .

وفي هذه السنة انجلى اهل المغرب انجلاء عظيماً الى الاندلس ذكر ذلك ابن حمادة . وذكروا ايضاً ان محاربة اللمتونيين مع الموحدين انما كانت في سنة اربع

(١) Reverter وهو قائد الفرقة الرومية في جيش المرابطين .

وثلاثين وفيها تحرك عبد المؤمن من بلاد المصامدة الى الغرب وطالت غيبته الى سنة احدى واربعين على ما نذكر ان شاء الله تعالى .

وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة قال ابن حمادة : وصل الموحدون الى ريف سبتة ثم الى تيطاون ثم رجعوا الى غمارة .

وفي هذه السنة خرج تاشفين بعساكره لتتبع الموحدين . قال البيذق وغيره : رحل عبد المؤمن بن علي من تينمل برسم التوجه الى بلاد الغرب سنة خمس وثلاثين وقيل في اواخر اربع ، فما زال يرحل من موضع الى موضع والقوم ترد عليه والقبائل من كل جهة تصل اليه الى ان وصل تاجررت بني وابوط فصرف [الامام ..] ابن زجو بجيش فغنم صفروي في منتصف محرم من [سنة] ست [و] ثلاثين . قال ^(١) : وفي هذه السنة اكل وادي فاس باب السلسلة وفتقت جزيرة مليلة وأكل البحر طنجة الى الجامع الكبير واكل وادي سبو أخبية لمتونة وكان عبد المؤمن اذ ذاك في غيابة وبلغ الشعير في ذلك الوقت ثلاثة دنانير للسطل ، وكان تاشفين بمحله على فاس .

قال ابو مروان الوراق ^(٢) : وقد كان امير المسلمين علي بن يوسف امل في ابنه تاشفين ما لم تكن الاقدار تساعد . وجاءت الايام بخلاف ما امل فيه فتشام به وعزم على خلعه وصرف عهده الى ولده الاصغر اسحق ، ووجه الى عامله على اشبيلية عمر ان يصل اليه ليجعله شيخ ابنه ومدير امره واخذ في العزم على ذلك الى ان وافاه خبر أمضه واقلقه ولم يمهله الى ان يستم تدبيره ، فأمر عند ذلك تاشفين ان ينزعج لذلك فانزعج على غير أهبة للضرورة وأتبعه والده بمدده وما لم يمكن الخروج به من عجلته ، وذلك في هذه السنة المؤرخة . ولما وصل تاشفين في حركته هذه الى فاس ضرب محله بظاهرها وكان وصوله اليها في اول زمن المشتى فروت الارض بنزول الغيث وتوالت الامطار والغيوم

(١) البيذق : ٩١

(٢) انظر هذا النص في الاحاطة ١ : ٤٥٥

وحملت الويدان واشتد البرد الى ان هلك كثير من عساكر تاشفين برداً وجوعاً لانقطاع الطرق عنهم . وكان اقامة تاشفين بظاهر فاس اياماً ، ثم رحل عنها ونزل بالنواظر من ناحية تازا وانتهى حال عسكر تاشفين حتى احرقوا السرج وصحاف العود، ولم تمتسك أوتاد الاخبية لرخاوة الارض، وغرقت الدواب في مرابطها الى بطنها ، وكثر الموتى في الضعفاء فكانت شرائط الاخبية مربوطة في جيف الموتى وتوالى عليها المطر نحو خمسة عشر يوماً بلياليها ، ثم رفع الله ذلك عنهم بعد يأس من الدنيا ، ولم يزل تاشفين ينتقل في ارض المغرب من موضع الى موضع الى آخر هذه السنة . وقال البيهقي : دخل عبد المؤمن مدينة المزمة فأخذه بها المطر ^(١) ثمانية ايام فسمها ناغروت [ان] والوط ^(٢) فقلعنا منها الى جبل تمسان ^(٣) . فخرج ابن زجو بالعسكر فغنم مليلة واخذ فيها مائة بكر فقسمها عبد المؤمن على الموحدين نفعمهم الله بذلك ، وكانت فيهم بنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة وفاطمة بنت يوسف فأخذ عبد المؤمن بنت ماكسن وأخذ ابو ابراهيم فاطمة فعملوا آسماس ^(٤) ورحلوا الى ندرومة بلاد كومية ورحل الى موضع تاجرا وميز بها عسكره وهو قد تقوى امره وعظم شأنه وذكره؛ فبعث ابن زجو الى جهة الساحل فأتى بغنائم وهران وترادفت الفتوحات من كل مكان ووصل الى عبد المؤمن زيري ابن ماخوخ الزناتي مطيعاً فبعثه الى غيَّاته فقبضوا عليه بنو مكود وقتلوه وحزوا رأسه [وحملوه إلى] فاس وعلق على باب السلسلة .

وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين رحمه الله باتفاق قيل توفي لسبع خلون من رجب ولا شهر موته الا لخمس خلون من شوال فكانت مدته من حين قدمه أبوه سبعا وثلاثين سنة وسبعة اشهر

(١) عبارة البيهقي : فأخذنا بها الهواء .

(٢) كذلك عند البيهقي : ٩٣ .

(٣) البيهقي : تمس آمان .

(٤) عبارة البيهقي : فأكلنا آسماس .

وقيل وتسعة أشهر بتقريب على خلاف في ذلك . وأما حقيقة مدته بعد وفاة
أبيه فستة وثلاثون سنة والأشهر المذكورة . وكان مولده يوم الخميس لأربع
خلون من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وأربعمائة : فكان عمره إحدى
وستين سنة تقريباً . أمه رومية وهي فاض الحسن وقيل قمر^(١) صفته : معتدل
القامة أسيل الوجه . وقال أبو مروان الوراق : كان مهلك علي بن يوسف
بمراكش سنة سبع وثلاثين بعد ما بلغته أخبار امرضته وأورثته مما وغماً أثر
في جسمه فالتزم فراشه .

ولما يش من نفسه ، أمر عند ذلك بإخراج ابنه أبي بكر من مراكش
وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها لأنه خاف من خوضه في أمور فإصاب
أبا بكر في [سفره] مرض فكان الرجال يحملونه على أعناقهم ووصل المذكور
إلى الجزيرة فسجن بها ولم تطل مدته في محبسه هذا إلى أن هلك^(٢) .

ولما اشتد ألم علي بن يوسف وزادت علته عهد أن يدفن مع قبور عامة
المسلمين فدفن بها في جملتهم وجددت البيعات لولي عهده تاشفين ، وهو في أمره
المتقدم ذكره ومتابعته لعبد المومن .

حكاية طريفة

واستوزر علي بن يوسف^(٣) في آخر أيامه اسحق بن ينتان بن عمر بن
ينتان وما بلغ عمره ثمانية عشر عاماً ، وكان يتوقد ذكاء وعقلاً وفهماً ، فأعجب
به أعجاباً كثيراً وجعل إليه النظر في المظالم والشكايا ، فاتبع الناس في أمورهم

(١) في روض القرطاس : أمه أم ولد رومية اسمها قمر وتكنى أم الحسن .

(٢) كان أبو بكر هذا أكبر أبناء علي بن يوسف وقد حوّل أبوه العهد عنه أولاً إلى سير ،
فسخط ذلك وتذمر ثم إلى تاشفين ، فاستاء أيضاً ، ومن أجل هذا عاقبه أبوه بحبسه في الجزيرة
الخضراء ، وقد كان أبو بكر والياً على اشبيلية سنة ٥١٨ - ٥٢٢ .

(٣) انظر الحلل الموشية : ٦٨ - ٦٩ .

وكافة شؤونهم ، وكان مع ذلك في طبعه ومولده مثل كاهن : يأتي بغرائب من الاخبار ، ومما يؤثر عن هذا الفتى ان تاشفين بن علي بن يوسف قال له : « يا اسحق ان الناس تكلموا في امرك وخاضوا في حديثك وفي الذي يؤثر من المغيبات ، فمنهم من صدقك ، ومنهم من كذبك » فقال الفتى : « اختبرني واسألني عما شئت مما صنعت » . قال تاشفين : « قد غبت من امسك ، أخبرني بما فعلته » أمس بعد ما قمت من مجلسي هذا وفارقتك ودخلت داري ، قال له : « دخلت دارك وجلست في مجلسك فقدم لك طبق فيه خوخ فتناولت واحدة وأكلتها حتى انتهيت على آخرها ثم تناولت أخرى فعضضت فيها عضة وصرفتها الى الطبق ثم قمت ، أفتحب ان اخبرك بما فعلت » قال له تاشفين : « اقطع الكلام ها هنا » . وجرى ذكره يوماً في مجلس علي بن يوسف فقال لهم قد عزمت على ان اختبره ولم يكن حاضر في ذلك الخبر ثم قام علي بن يوسف ودخل ... فأخبره [القوم] اليوم تفتضح فيما تدعيه من علمك مع امير المسلمين . فقال لأهل ... أخبركم فقالوا « اخبرنا » فقال لهم : « قام بنفسه [يريد] ان يكتب بطائق فيها اسمي واسم امي فكتبها ووضعها في ثني الوسادة الى ان يحين خروجه فاذا حان ويريد ان يخرج خرج ... فيجعلها .. ويسألني عما خبا لي فينسأها عند خروجه ويخرج اليكم دونها فاذا رأيته تذكر فيدعو بأحد عبيده ويسأره في اذنه ان يخرجها اليه ويناوله اياها من كمه لئلا يطلع على ذلك » [فما لبث] ان خرج علي بن يوسف من داره ودخل مجلسه فلما وقعت عينه عليه دعا بالغلام فسأره في الاذن ودخل الغلام الدار ثم خرج مسرعاً بالبطاقة فناوله اياها من كمه الى كمه فابتدر القوم وقالوا لعلي بن يوسف : « يا امير المسلمين ! قد اعلنا بجميع ما اردت » وقصوا عليه الحديث كما كان حدثهم ، وقالوا له : « قد علمنا صدقه في كل ما يدعيه ويؤثر عنه » فمجب علي بن يوسف من ذلك .

وكان علي بن يوسف في آخر امره امتنع الاعطاء لاجناده حتى رجع اكثرهم يكثرون دوابهم ، وهو اول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامرتهم ، ويأخذون منهم في نفقاتهم ؟

واكثر ما يجب عليهم ، واضطربت عليه الامور من لدن ظهور المهدي فلم يستقم له حال حتى مات ، رحمه الله ، في هذه السنة .

وفي سنة ثمان وثلاثين وصلت قراقر المجوس في مائة وخمسين مركباً بين كبار وصغار الى سبته فخرجت اليه اجفانها فتقاتلوا فقتل من الفريقين خلق كثير .

وفيهما دخل الموحدون وجدة .

وفيهما ظهر ليلة نجم عظيم في اقصى المغرب في ليلة سادس عشر لرمضان .

وانتقل تاشفين بمحلته الى تلمسان ونزل عبد المؤمن بمحلته بين الصخرتين بمقربة منه ، وكانت بينهم حروب كثيرة يطول ذكرها .

. وبعث ^(١) عبد المؤمن يوسف بن وانودين بعسكر الى مديونة فتلاقى مع جيش لمتونة ، خرج عليه من تلمسان ابو بكر بن الجوهر ومحمد بن يحيى بن فانوا فتلاقى العسكران بوادي الزيتون وتقابل الجمعان فقتل من الفريقين خلق كثير وفي اثناء ذلك وصلت محلة من بجاية لنصر تاشفين وذلك في سنة تسع وثلاثين برسم قتال الموحدين وقائدها ميمون بن المنتصر فهزمهم الموحدون من الصخرتين الى باب تلمسان وبعث القائد المذكور الى عبد المؤمن يعلمه بتوحيده سرأ ويعلمه بفتح افريقية اذا فتح المغرب ^(٢) ، فكان ذلك كذلك على ما يأتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى .

وفي سنة تسع وثلاثين خرج قائد الروم البربرتي بعسكره ، ومعه عسكر لمتونة والحشم ، فهزمهم الموحدون وقتل القائد المذكور وتبدد عسكره ^(٣) . وكان تاشفين في سطسيف بمحلته فزادت الحرب بينه وبين الموحدين مدة من شهرين

(١) انظر البيذق : ٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ٩٧ .

(٣) انظر البيذق : ٩٦ .

الى ان وصل ابن المنتصر من بحاية كما ذكرنا ، وهزمه الموحدون ووجد سر
ووعده بفتح بحاية .

وفي هذه السنة قتل ابن زجو ورحل تاشفين من سطيف ونزل على وهران
فهرب ينجمار ^(١) اللمتوني يجمع الى الصحراء وهرب ابن زنجي ^(٢) الى الغرب
وبقي تاشفين بعسكر مشمت ، والقايد ابن ميمون في الاسطول في البحر برسم
أن يطلع تاشفين فيها ان رأى ما لا طاقة له من قتال الموحدين فلم يقدر الله .
وخرج عسكر من الموحدين واتباعهم لقتال تاشفين ، قود عليه عبدالمؤمن بأحفص
فهزم عسكر تاشفين وتبعه وأحاط به وحصره ، فخرج تاشفين فاراً بنفسه
يريد الدخول في القطايح ، فبينما هو سائر على فرسه في الليل اذ صادف حافة
حاف منها ومات - رحمه الله ^(٣) - ، فلما أصبح وجده الموحدون ميتاً في
تلك الحافة ، فقطعوا رأسه وبعثوا به الى عبدالمؤمن فصبره ووجهه الى تينمل .
وقتل من أصحاب تاشفين خلق كثير وفرت منهم جمع كبير ولم يبق منهم
بعد ذاك إلا سيد الملوك السدراتي .. تقدم له فعفا عنه .

وذكر ابن حمادة في مقتل تاشفين ايضاً قال : انه كان ليلة سبع وعشرين
من رمضان من سنة تسع وثلاثين المذكورة وصل تاشفين بن علي من تلمسان
الى قرب وهران فاتبعه عسكر الموحدين وحصروه وضيقوا عليه ، وأطلقوا
النيران في محلته ، فلما رأى ما لا طاقة له به وعلم انه مأخوذ خرج هو وبعض
أصحابه على فرسه ففرت كل واحد منهم على طريقه ، فمنهم من قتل ومنهم
من حصل في القطائع ؛ وحاف تاشفين من حافة عظيمة وهلك ، ووجد ميتاً
وذلك ليلة سبع وعشرين المذكورة .

(١) البيدق : انكمار ،

(٢) البيدق : ونكي .

(٣) البيدق ، فبينما هو سائر على فرسه اذا بحافة فتركت فرسه في تلك الحافة ، وانظر الحلل
الموشية : ١١٠ .

ثم ولي اسحق بن علي بن يوسف ، وذلك انه لما مات تاشفين على ما ذكر بعض المؤرخين ببيع لابنه ابراهيم بن تاشفين فطلع عليه اسحق الى مراکش فنقض بيعته ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتدابير بينهم الى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم على ما اذكره ان شاء الله ملخصاً في موضعه ^(١) .

وفي هذه السنة ظهرت في الاندلس دعوة الموحدين ، فأول من قام بدعوتهم فيها أهل مارتلة ^(٢) في السابع عشر من ربيع الاول ، ثم خالفت بعد ذلك طلياطة ^(٣) على المرابطين ودخلت في دعوة الموحدين .

تلخيص التعريف بتواريخ من ولي اشبيلية من مشاهير اللمتونيين

المرابطين من حين استيلائهم عليها الى انقراض دولتهم ^(٤)

فأول من وليها بعد خلع المعتمد بن عباد عنها بتقديم امير المسلمين يوسف ابن تاشفين الامير سير - رحمه الله - فوليا سير المذكور في رجب الفرد من سنة اربع وثمانين واربعمئة ، وتوفي على مقربة من اشبيلية وهو زافاً بنته فاطمة ومشيعاً لزوجته حواء بنت تاشفين وقد تقدم خبرها في السنة المذكورة ، فكانت وفاته فجأة في ذي القعدة من سنة سبع وخمسة فكانت مدة ولايته بها ثلاثاً وعشرين سنة .

(١) عهد تاشفين الى ابنه ابراهيم وهو مقيم بوهران ووجهه الى مراکش قبل وفاته بشهر ، فبيع فيها ، لكن عمه اسحق بن علي خالف عليه ونقض بيعته . ولما حاصر عبد المؤمن مدينة مراکش سنة ٥٤١ هـ اشتد الحصار على اهلها كثيراً ، حتى استسلمت الفرقة الزومية لعبد المؤمن رامتني في القصبه ابراهيم مع المرابطين ، واستمر القتل ، وأخذ ابراهيم ومن معه أسرى فقتلوا وبموته انقرضت دولة الثمين (الحلل ١١٠ - ١١٥) .

(٢) مارتلة (Mertola) : على نهر وادي آفة من كورة باجة (في البرتغال) .

(٣) طلياطة (Tejada) تقع الى الشمال الغربي من اشبيلية (على بعد ٣٠ كيلومترا) .

(٤) قارن بالجدول الذي اوردته صاحب مفاخر البربر : ٨١ فهناك اختلاف واضح عما

اوردته بن عذاري .

ثم وليها يحيى بن سير بن ابي بكر في ذي الحجة من عام سبعة وخمسمائة وعزل عنها في ذي الحجة ايضاً عام ثمانية وخمسمائة فكانت ولايته سنة واحدة .

ثم وليها عبدالله بن فاطمة^(٢) الشهير بالنيولان في محرم [سنة تسع وخمسمائة] وتوفي بها في رمضان المعظم من عام احدى عشرة وخمسمائة فكانت ولايته ... ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن تاشفين^(٣) بعد ولايته سبعة ووليهما في شوال عام احدى عشرة وخمسمائة وعزل عنها في جمادى الاولى عام ستة عشر وخمسمائة فكانت ولايته لها اربعة اعوام وتسعة اشهر .

ثم وليها تميم بن يوسف بن تاشفين فوليهما الامير تميم بعد ولايته اغرناطة في جمادى الثانية عام ستة عشر وخمسمائة وعزل عنها في ذي الحجة عام سبعة عشر وخمسمائة فكانت ولايته الى ان عزل سنة واحدة واربعة اشهر .

ثم وليها ابو بكر بن علي بن يوسف فكانت ولايته الى ان عزل اربعة اعوام وخمسة اشهر اولها محرم ثمانية عشر وخمسمائة وآخرها رجب عام اثنين وعشرين وخمسمائة .

ثم وليها عمر بن سير فكانت ولايته الى ان عزل خمسة أشهر اولها شعبان وآخرها ذو الحجة عام اثنين وعشرين وخمسمائة .

(٢) لعبدالله بن فاطمة دور كبير في تاريخ المرابطين بالاندلس منذ سنة ٤٩٥ حين اشترك في استنقاذ بلنسية من يد دونا خيمينيا (زوجة السيد) ، ثم ولي بلنسية حتى سنة ٥٠٣ ثم نقل الى قاس ومن بعد تولى اشيلية ٥٠٩ - ٥١١ .

(٣) ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ابو اسحاق (ويعرف بابن تغيشت أو تاغيشت وهو اسم امه) ولي مرسية بعد ابن عائشة الذي اعتل بصره بعد غزوة البورت سنة ٥٠٧ وعمي ، ثم نقل منها الى اشيلية (المعجم : ٥٥)

ويبدو أنه ظل في الاندلس بعد سنة ٥١١ اذ يقول ابن الأبار ان علياً أخاه نكبه سنة ٥١٥ بعد تقصير له جر الى موقعة كتندة في السنة السابقة ؛ وقد كان له دور في الحروب ضد الموحدين ، وفيها قتل علي طريق سجلماسة ، وكان معتمياً بالعلوم والآداب ومن مداحه ابن خفاجة والفتح الذي ألف له كتاب قلاند العقيان .

ثم وليها يحيى بن مقوز فكانت ولايته الى عزل عاماً واحداً وشهرين
اثنين اولها محرم عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة وآخرها صفر عام اربعة
وعشرين وخمسمائة .

ثم وليها عمر بن مقوز فكانت ولايته الى ان قتل عامين وثلاثة اشهر
اولها ربيع الاول عام اربعة وعشرين وخمسمائة وآخرها رجب عام ستة
وعشرين وخمسمائة .

ثم وليها عبدالله بن ابي بكر بن تاشفين فكانت ولايته الى ان قبض عليه
وحبس في القصر شهرين اثنين اولها شعبان المكرم وآخرها شوال المعظم وكلاهما
في عام ستة وعشرين وخمسمائة .

ثم وليها الامير تاشفين بن علي بن يوسف فكانت ولايته الى أن عزل سنة
واحدة اولها شوال عام ستة وعشرين وخمسمائة وآخرها رمضان عام سبعة
وعشرين وخمسمائة .

ثم وليها ينتان بن علي الذي كان والي بلنسية فكانت ولايته الى ان عزل
سنة واحدة وستة اشهر اولها شوال عام سبعة وعشرين وخمسمائة وآخرها
صفر عام تسعة وعشرين وخمسمائة .

ثم وليها ابو زكرياء يحيى بن اسحق فكانت ولايته الى ان عزل تسعة
اعوام وعشرة اشهر اولها ربيع الاول عام تسعة وعشرين وخمسمائة وآخرها
ذو حجة عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة .

ثم وليها ابو بكر بن مزدي في شهر محرم عام تسعة وثلاثين وخمسمائة ،
فظهرت في الاندلس دعوة الموحدين بالعام المذكور وقام اهل مارتلة بدعوة
المهدي في السابع عشر لربيع الاول عام تسعة وثلاثين وخمسمائة وخالفت بعد
ذلك طلياطة على المرابطين وكذلك جميع الغرب الى أن صارت اكثر بلاد
الاندلس في طاعة الموحدين .

وفي سنة اربعين وخمسة تفلب الموحدون على اللثونيين المرابطين
وأخرجوهم من بعض البلاد المغربية على ما أذكر في دولتهم ان شاء الله تعالى:
ثم في سنة احدى وأربعين وصل ابو محمد عبد المؤمن ... ودخل أغمات دون
قنال وفي [سنة ٥٤١ هـ] دخل الموحدون مراکش وقتل اسحق بن علي بن
يوسف ومن كان معه .

ملحقات

الملحق ١٠

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، اللمتوني ، أمير المسلمين وملك الملثمين
وهو الذي اختط مدينة مراکش^(١)

ذكر أرباب التواريخ شيئاً من أحواله ، فاخترت في هذا الكتاب ما
وجدته في كتاب « المغرب » ، عن سيرة ملوك المغرب ، ، لأنه أوعب في
حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره ، غير أنه قال في أول
النسخة التي نقلت منها هذا الفصل : إنه كتبها في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ،
وفرغ منها في ذي القعدة من السنة بالموصل ، وهي في مجلد واحد لطيف ،
فاخترت منه مقتضباً ما مثاله : كان بر المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زنّانة ،
فخرج عليهم من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون
يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم ، وكان رجلاً ساذجاً خبير الطباع ، مؤثراً
لبلاده على بلاد المغرب ، غير ميال الى الرفاهية ، وكانت ولاية المغرب من زنّاته
ضعفاء لم يقاوموا الملثمين ، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل
البحر المحيط .

فلما حصلت البلاد لأبي بكر بن عمر المذكور سمع أن عجوزاً في بلاده
ذهبت لها ناقة في غداة فبكت وقالت : ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى

(١) ترجمة يوسف بن تاشفين من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ١١١ وما بعدها .

بلاد المغرب ، فحملة ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلاً من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ، ورجع إلى بلاده الجنوبية .

وكان يوسف هذا رجلاً شجاعاً عادلاً مقداماً ، اختط بالمغرب مدينة مراکش وكان موضعها مكنياً للصوص ، وكان ملكاً لعجوز مَصْمُودية . فلما تمهدت البلاد له تاق إلى العبور إلى جزيرة الاندلس ، وكانت مُحَصَّنَةً بالبحر ، فأنشأ شواني ومراكب ، وأراد العبور إليها ، فلما علم ملوك الاندلس بما يروم من ذلك اعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة ، وكرهوا المامه يحزيرتهم ، الا انهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته ، وكرهوا ان يصبحوا بين عدوين : الفرنج من شمالهم والملثمون من جنوبهم ، وكانت الفرنج تشد وطأتها عليهم ، الا ان ملوك الاندلس كانت ترهب الفرنج باظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف ابن تاشفين ، وكان له اسم كبير لنقله دولة زَنَاته وملك المغرب اليه في اسرع وقت .

وكان قد ظهر لابطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقذ الفارس ، وطعنات تنظم الكلى ، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم .

وكان ملوك الاندلس يفيثون الى ظل يوسف بن تاشفين ، ويحذرونه على ملكهم مها عبر اليهم وعان بلادهم ، فلما رأوا عزمته متقدمة على العبور ارسل بعضهم الى بعض ، وكاتبوهم يستنجدون آراءهم في امره ، وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد ؛ لانه كان اشجع القوم واكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم على مكاتبته ، وقد تحققوا انه يقصدهم ، يسألونه الاعراض عنهم ، وانهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من اهل الاندلس كتاباً ، وهو هذا :

« اما بعد ، فانك ان اعرضت عنا نُسِبت الى كرم ، ولم تنسب الى عَجْز ، وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم تنسب الى وهم ، وقد اخترنا لانفسنا اجل نسبتنا فاختر لنفسك اكرم نسبتك ، فانك بالحل الذي لا يجب

ان تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام
لامرك وثبوت ، والسلام .

فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا ، وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف
اللسان العربي ، ولكنه كان يُحيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين
العربية والمرابطية ، فقال له : أيها الملك ، هذا الكتاب من ملوك الأندلس
يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك ، وتحت طاعتك ، ويلتمسون
منك ألا تجعلهم في منزلة الأعادي ، فانهم مسلمون ، وهم من ذوي البيوتات ؛
فلا تغير بهم ، وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار ، وبلدهم ضيق
لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم إعراضك عن أطاعك من أهل المغرب .
فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه : فما ترى أنت ؟ فقال : أيها الملك ، اعلم أن
تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يرد بأنه خليف بما حصل في يده من الملك
أن يعفو إذا استعفى ، وأن يهب إذا استوهب ، وكلما وهب جزيلا كان
أعظم لقدره ، فاذا عظم قدره تأصل ملكه ، وإذا تأصل ملكه تشرف
الناس بطاعته ، واذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم ،
وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته . واعلم أن بعض الملوك الأكابر
والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال : من جاد ساد ، ومن ساد قاد ،
ومن قاد ملك البلاد . فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على يوسف بن تاشفين بلغته
فهمه ، وعلم أنه صحيح ، فقال للكاتب : أجب القوم ، واكتب بما يجب في
ذلك ، واقرأ عليّ كتابك ، فكتب الكاتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من
يوسف بن تاشفين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحية من سالمكم ، وسلم
إليكم ، وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم ، وإنكم مما بأيديكم من الملك في
أوسع إباحة ، مخصوصون منا بأكرم إثارة وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم ،
واستصلحوا إخواننا باصلاح إخوانكم ، والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام . »
فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه ، وقرن به
يوسف بن تاشفين درقاً لمطية مما لا يكون إلا في بلاده (قالت : اللطية - بفتح

اللام، وسكون الميم، وبعدها طاء مهملة، ثم ياء مشددة مثناة من تحتها، وبعدها هاء ساكنة - هذه النسبة الى لمطة، وهي بليدة عند السوس الأقصى، بينها وبين سجلماسة عشرون يوماً، قاله ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك، وهي معدن الدرق اللطية، ولا يوجد مثلها في الدنيا على ما يقال، والله أعلم) وأنفذ ذلك إليهم.

فلما وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا به وبولايته ملك المغرب، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج، وازمعاوا ابن رأوا من ملك الفرنج ما يريهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين، ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج، فتحصل ليوسف بن تاشفين برأي وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس له، وكفاه الحرب لهم.

وإن الأذفونش بن فردلند صاحب طليطة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار، ويفتح بلاد الأندلس، ويشتط على ملوكها بطلب البلاد منهم، وخصوصاً المعتمد بن عباد، فانه كان مقصوداً فيه،..... فنظر المعتمد في أمره فرأى أن الأذفونش قد داخله طمع فيما يلي بلاده، فأجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور، على ما فيه من خطر وعلم أن مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار، وأن الفرنج والمثلثين ضدان له إلا انه قال: إن دهيئنا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر المثلثين، ولأن يرعى أولادنا جماهم أحب إلينا من أن يرعوا خنازير الفرنج، ولم يزل هذا الرأي نصب عينيه مها اضطر إليه.

وإن الأذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الأندلس يجمع كبير من الفرنج، فخافه ملوك الأندلس على البلاد، وأجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا إلى المعقل، فكتب المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين يقول له: إن كنت مؤثراً للجهاد فهذا أوانه، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد،

فأسرع في العبور إليه ، ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك .

وكان يوسف بن تاشفين على أتم أهبة ، فشرع في عبور عساكره ، فلما أبصر ملوك الأندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد ، وقد كانوا وعدوا أنفسهم بالمساعدة ، أعدوا أيضاً للخروج . فلما رأى الأذفونش اجتماع العزائم على مناجزته علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجة للخروج ، فخرجوا في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى ، ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً ورَجَلاً من الفريقين ، كل أناس قد التفوا على ملكهم فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها ، فأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملاً ، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق ، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأي مصيب ، كان يحدق بها عساكره ، وكان يحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تحجم عنها .

فلما تكامل العساكر بالجزيرة قصدت الأذفونش ، وكان نازلاً بمكان أفنيح من الأرض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس ، قال البياسي : بين المكانين أربع فراسخ .

وقال أيضاً : إن يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض على الأذفونش الدخول في الاسلام أو الحرب أو الجزية ، ومن فصول كتابه : وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك ، وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا ، فقد أجزنا إليك ، وجمع الله في هذه الفرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بحر غيظه ، وزاد في طغيانه ، وأقسم أنه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه .

ثم إن ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة ، فلما وافاها المسلمون نزلوا

تجاه الفرنج بها فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولاً ، وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم وتبعوه ، يميل عليهم بعساكره ، وتتألف معه عساكر الأندلس ، فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين ، واستحرق القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير الأذفونش في دون الثلاثين من أصحابه ، فلحق ببلده على أسوأ حال ، فغم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ أيديهم خيراً .

قلت : وكانت الواقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وقيل : في شهر رمضان في العشر الأخير من السنة ، والله أعلم .

وقال البياسي : كان حلول العساكر الإسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، فحكى أن موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أو دم ، وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام ، حتى جمعت الغنائم ، فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين ، وآثر بها ملوك الأندلس ، وعرفهم أن مقصوده إنما كان الغزو لا النهب ، فلما رأت ملوك الأندلس إيثار يوسف بن تاشفين لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له .

ثم إن يوسف بن تاشفين أزمع الرجوع إلى بلاده ، وكان عند قصده ملاقة الأذفونش تحرّى المسير بالعراء ، من غير أن يمرّ بمدينة أورستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش ، وهناك اجتمع بعساكر الأندلس .

وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي في كتاب « تذكير العاقل » ، وتنبيه الغافل ، أن ابن تاشفين ، نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء ، وكان الموعد في المناجزة يوم السبت الأدنى ، ففدر الأذفونش ومكر ، فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها ، والناس على طمأنينة ، فبادر ابن عباد للركوب ،

وأثبت الخبر في المساكر فهاجت بأهلها ، ووقع النهب ، ورجفت الأرض ،
وصارت الناس فوضى على غير تعبئة ، ولا أهبة ، ودهمتهم خيل العدو ،
فغمرت ابن عباد ، وحطمت ما تعرض لها ، وتركوا الأرض حصيداً خلفها ،
وصرع ابن عباد ، وأصابه جرح أشواه ، وفر رؤساء الأندلس ، وأسلموا
محلّتهم ، وظنوا أنها داهية لا ترفع ، وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في
المنهزمين ، ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فركب أمير المسلمين وأحدق به أنجاد
خياله ورجاله من صنّاجة ورؤساء القبائل ، فعمدوا إلى محلة الأذفونش
فاقتحموها ودخلوها ، وقتلوا حاميتها ، وضربت الطبول ، فاهتزت الأرض ،
وتجاوبت الآفاق ، وتراجعت الروم إلى محلّتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين
فيها ، فقصدوا أمير المؤمنين ، فأفرج لهم عنها ، ثم كر فأخرجهم منها ،
ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر
أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ، ودخلوا المعترك
بدرق اللط وسيوف الهند ومزاريق الران ، فطعنوا الخيل ، فرمحت بفرسانها ،
وأحجمت عن أقرانها ، وتلاحق الأذفونش بأسود فدق مزاريقه بالدف ،
فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الأسود وقبض على أعنته ، وانتضى خنجرأ
كان منتظماً به ، فأثبته من فخذه ، فهتك حلق درعه ، وشك فخذه مع
بداد سرجه ، وكان وقت الزوال من ذلك اليوم ، وهبت الرياح بالنصر ،
وأُنزل الله سكينته على المسلمين ، ونصر دينه ، وصدقوا الحملة على الأذفونش
وأصحابه ، فأخرجوهم عن محلّتهم ، فولوا ظهرهم ، وأعطوا أعناقهم ،
والسيوف تصفهم إلى أن لحقوا بريرة لجأوا إليها واعتصموا بها ، وأحدقت
بهم الخيل ، فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من البرية ، وأفلتوا
بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية ، واستولى المسلمون على ما كان في محلّتهم من
الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة ، وأمر ابن عباد بضم وؤوس القتلى من
الروم ، فنشر منها أمامه كاتل العظيم ، ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد
كتاباً ، وأطار به الحَمَام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر .

وفد روى أيضاً أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو
بصدده ، فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى ، وذكر فيه أن جماعة أفتوه
يجواز طلب ذلك اقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أهل المرية
لقاضي بلدهم وهو أبو عبد الله بن الفراء ، أن يكتب جوابه ، وكان هذا
القاضي من الدين والورع على ما ينبغي ، فكتب إليه : أما بعد ما ذكره
أمير المسلمين من اقتضاء المعونة ، وتأخري عن ذلك ، وأن أبا الوليد الباجي
وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله ﷺ وضجيعه في قبره ، ولا يشك
في عدله ، فليس أمير المؤمنين بمساحب رسول الله ﷺ ، ولا بضجيعه في
قبره ، ولا من لا يشك في عدله ، فإن كان الفقهاء والقضاة أزلوك بمنزلة في
العدل فالله سائلهم عن تقديم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد
رسول الله ﷺ وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت للمسلمين ينفقه
عليه . فلتدخل المسجد الجامع هناك بحضرة أهل العلم ، وتحلف أن ليس عندك
درهم واحد ، ولا في بيت مال المسلمين ، حينئذ تستوجب ذلك ، والسلام .

ولما قضى أمير المسلمين من هذه الواقعة ما قضى أمر عساكره
بالمقام ، وأتت تشن الغارات على بلاد الفرنج ، وأمر عليهم سير بن أبي بكر ،
وطلب الرجوع في طريقه ، فتكرم به ابن عباد ، فمرج به إلى بلاده ، وسأله
أن ينزل عنده ، فأجابه يوسف إلى ذلك ، فلما انتهى يوسف إلى إشبيلية مدينة
المعتمد ، وكانت من أجمل المدن منظراً ونظراً إلى موضعها على نهر عظيم
مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة إليه ،
في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع
كلها تين وعنب وزيتون ، وهذا الموضع هو المسمى شرف إشبيلية ،
وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الأصناف ، وفي جانب المدينة قصور
المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء ، وفيها أنواع
ما يحتاج إليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك ، فأنزل

المعتمد يوسف بن تاشفين في احدها ، وتولى من إكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين ، وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينهبونه على تأمل تلك الحال وما هو عليه من النعمة والإتراف ، ويُغرُّونه باتخاذ مثلها لنفسه ، ويقولون : إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه ، وكان يوسف بن تاشفين مقتصدًا في أموره غير متطاول ولا مبذر متنوق في صنوف الملاذ بالأطعمة وغيرها ، وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شتَظف العيش ، فأنكر على مُغريه بذلك الاسراف ، وقال : الذي بلوح من أمر هذا الرجل - يعني المعتمد - أنه مضيع لما في يديه من الملك ، لأن هذه الأموال التي تعينه على هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبداً ، فأخذه بالظلم ، وأخرجه في هذه الترهات ، وهذا من أفحش الاستهتار ، ومن كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يغذو إلا جوفين متى تستنجد همته في حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها ؟

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذته : هل تختلف فتنة عما هي عليه في بعض الأوقات ؟ فقبل : لا ، بل كل زمانه على هذا ، قال : أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظاً من ذلك ؟ قالوا : لا ، فقال : كيف ترون رضاهم عنه ؟ قالوا : لا رضا لهم عنه ؛ فأطرق يوسف وسكت ؛ فأقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياماً ، وفي بعض تلك الأيام استأذن رجل على المعتمد ، فدخل وهو ذو هيئة رثة ، وكان من اهل البصر ، فلما دخل عليه قال له : أصلحك الله أيها الملك إن من أوجب الواجبات شكر النعمة ، وإن من شكر النعمة اهداء النصائح ، وإني رجل من رعيته حالي في دولتك الى الاختلال ، اقرب منها الى الاعتدال ، لكنني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه الملك على رعيته ، فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك ، وقد رأيت

رأيًا فإن آثرت الإصغاء إليه قلته ، قال له المعتمد : قل له ، قال : رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعتة على ملكك رجل مستأسد على الملوك ، قد حطم ببر العدو زناقة وأخذ الملك من أيديهم ، ولم يبق على أحد منهم ، ولا يؤمن أن يطمح إلى الطماعية في ملكك ، بل في ملك جزيرة الأندلس كلها بما قد عاينه من بلهنية عيشك ، وإنه لمتخيل في مثل حالك سائر ملوك الأندلس ، وإن له من الولد والأقارب ممن يؤثر مسراتهم من يود له الحلول بما أنت فيه من خصب الجنب ، وقد أودى الأذفونش وجيشه ، واستأصل شأفتهم ، وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه ، فقد كان لك منه أقوى عضد ، وأوقى بحن ، وبعد أن فات الأمر في الأذفونش لا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم ، قال له المعتمد : وما هو الحزم اليوم ؟ قال : أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك ، وتجزم أنك لا تطلقه حتى يأمر كل من هو بجزيرة الأندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء ، حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ، ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه بغزاة له ، ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الأيمان ألا يضر في نفسه عوداً إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن ، فانه يعطيك من ذلك ما تشاء ، فنفسه أعز عليه من جميع ما تلتبس منه ، فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده ، التي لا تصلح إلا له ، وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الأذفونش ، وتقيم في موضعك على خير حال ، ويرتفع ذكرك عند ملوك الأندلس وأهل الجزيرة ، ويتسع ملكك ، وتنسب بهذا الاتفاق إلى سعادة وحزم ، وتهابك الملوك ، ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في محاورة من عاملته هذه المعاملة ، واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الأمم وتجري بحار الدم دون حصول مثله . فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه ، وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصة ، وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات ، فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح : ما كان المعتمد على الله - وهو إمام أهل المكرمات - ممن يعامل

بالحيف ، ويغدر بالضيف ، فقال له الرجل : إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه ، لادفع الرجل عن نفسه المحذورَ إذا ضاق به ، فقال ذلك النديم : لضم مع وفاء خير من حزم مع جفاء . ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر وتلافاه ، فشكر به المعتمد ووصله بصلة ، وانصرف ، واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين ، فأصبح غادياً ، فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة ، فقبلها ، ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة .

قلت : وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدي الناس فيه من أحد البرين إلى الآخر ، أعني بر الأندلس وبر العدو .

قال : ولما عبر يوسف إلى بر العدوّة أقام عسكره بجزيرة الأندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الأذفونش ، فتوغل في بلاده ، ولما رجع الأذفونش إلى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وأبطال عسكره ، فوجد أكثرهم قد قتلوا ، ولم يسمع نواح الشكالي عليهم ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغما ، ولم يخلف إلا بنتا جعل الأمر إليها ، فتحصنت بمدينة طليطلة . وأما عسكر ابن تاشفين فانهم في غارتهم هذه كسبوا من الغنائم ما يحد ولا يوصف ، وأنفذوا ذلك إلى بر العدوّة ، واستأذن أميرهم سير بن أبي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الأندلس ، وأعلمه أنه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب فيها مستحفظين ورجالاً يغنون فيها ، وأنه لا يستقيم لهذه الجيوش أن تقيم بالثغور في ضنك من العيش تصابح العدو وتماسيه ، وتحظى ملوك الأندلس من الأرزاق برغد العيش ، فكتب إليه ابن تاشفين يأمره بإخراج ملوك الأندلس من بلادهم ، وإلحاقهم بالعدوّة ، فن استعصى عليه منهم قاتله ، ولا ينفس عنه حتى يخرجهم ، وليبدأ منهم بمجاوري الثغور ، ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ، ما لم يستول على البلاد ، ثم يولي تلك البلاد أمراء عساكره وأكابرهم ، فابتدأ سير بن أبي بكر بملوك بني هود من ملوك الأندلس ليستنزلهم من معقلهم ، وهي روطة .

قلت : هي بضم الراء ، وسكون الواو ، ثم طاء مهملة ، بعدها هاء -
قلعة منيعة من عاصمات الذرى ، ماؤها ينبع في أعلاها ، وكان بها من الأقوات
والذخائر المختلفة ما لا تقنيه الأزمان .

فلم يقدر عليها فرحل عنها ، ثم جند أجناداً على صور الفرنج وأمرهم أن
يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ، ويكن هو وأصحابه بالقرب منها ، ففعلوا
ذلك ، فرآهم صاحب القلعة ، فاستضعفهم ، ونزل في طلبهم ، فخرج سير بن
أبي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة . ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس ،
فسلموا إليه ، ولحقوا بالعدوة . ثم نازل بني صمادح بالمريسة ، وكانت قلعتهم
حصينة ، إلا أنهم لم يكن عندهم أجناد ولا أنجاد من الرجال فزحفوا عليهم
فغلبوهم ، فلما علم المعتصم بن صمادح أنه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف
قضى عليه ، فمات من ليلته ، فاشتغل أهله به ، فسلموا المدينة . ثم نزلوا
المتوكل عمر بن الأفطس ببطلانيوس ، وكان رجلاً شجاعاً عظيم القدر كبير
البيت ، كان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي من
فحول العلماء ، وكان ملكاً له تصانيف أعظمها وأشهرها الكتاب المنسوب
إليه وهو « المظفري » في التاريخ ، وكانت مدينته بطليوس من أجمل
البلاد ، ولم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال إلى أن خامر عليه
أصحابه ، فقبض عليه باليد ، وعلى ولدين له ، فقتلوا صبراً ، وحمل أولاده
الأصاغر إلى مراکش . وسائر ملوك الجزيرة سلموا ، وتحولوا إلى بر
العدوة ، إلا ما كان من المعتمد بن عباد ، فان سير بن أبي بكر لما فرغ
من ملوك الجزيرة ، كتب إلى يوسف بن تاشفين أنه لم يبق بالجزيرة
من ملوكها غير المعتمد بن عباد ، فارسم في أمره بما تراه ، فأمره بقصده ،
وأن يعرض عليه التحول إلى بر العدوة بأهله وماله ، فان فعل فيها ونعمت ،
وإن أبى فنأزله ، فلما عرض عليه سير بن أبي بكر ذلك لم يعطه جواباً ، فنأزله
وحاصره أشهراً ، ثم دخل عليه البلد قهراً ، واستخرجه من قصره قسراً ،
فحمل إلى العدوة مقيداً ، فأنزل بأغمت ، وأقام بها إلى أن مات ، ولم يعتقل

من ملوك الأندلس غيره ، وتسلم سير بن أبي بكر الجزيزة كلها ، واستحوذ عليها ، فمات يوسف بن تاشفين في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وأفضى الملك إلى ولده أبي الحسن علي بن يوسف ، وكان رجلاً حليماً ، وقوراً صالحاً ، عادلاً منقاداً إلى الحق والعلماء ، تجبى إليه الأموال من البلاد ، ولم يزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه . .

ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف وعلى يده انقرض ملكهم . . . وقد تقدم في أوائل هذه الترجمة أن يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراکش .

قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب : إن مراکش مدينة عظيمة بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراکش (معناه : امش مسرعاً بلغة المصامدة) كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة ، فعرف الموضع بها ، وقال غير مؤلف هذا الكتاب : بنى ابن تاشفين مدينة مراکش في سنة خمس وستين وأربعمائة ، قاله أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه «النبراس» في خلافة القائم بأمر الله قال : وكانت مزرعة لأهل نفيس ، فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من الصحراء .

ونفيس - بفتح النون ، وتشديد الفاء ، وسكون الياء المثناة من تحتها - جبل مُطل على مراکش .

قلت : وهي بنواحي أغمات في المغرب الأقصى ، وذلك أنه لما توطنت نفسه على الملك ، وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه من لمتونة سميت همتة إلى بناء هذه المدينة ، وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر ، وبها قوم من البربر فاخططها يوسف ، وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة ، وهي في مرج فسيح ، وحولها جبال على فراسخ منها ، وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها .

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس ، وكانت إذ
ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام ، وضيق على أهلها ثم أخذها ، فأقر العامة
بها ، ونفى البربر والجنود بعد أن حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوي
شأنه ، وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه ، مع ما صار بيده من بلاد
جزيرة الأندلس كما شرحناه ، وكان حازماً ، سائساً للأمور ضابطاً لمصالح
مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين ، كثير المشورة لهم ، وبلغني أن الامام
حجة الاسلام أبا حامد الغزالي تغمدته الله تعالى برحمته لما سمع ما هو عليه من
الاصناف الحميدة وميله إلى أهل العلم ، عزم على التوجه إليه ، فوصل إلى
الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه ، فوصله خبر وفاته ، فرجع عن
ذلك العزم ، وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب ، وقد ذهب عني
في هذا الوقت من أين وجدته .

وكان يوسف معتدل القامة ، أسمر اللون ، نحيف الجسم ، خفيف
العارضين ، دقيق الصوت ، وكان يخطب لبني العباس ، وهو أول من تسمى
بأمير المسلمين .

ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه ، الى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون
من المحرم سنة خمسماية ، وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة ،
رحمه الله تعالى .

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله : سنة خمسماية .
فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس ، وكان حسن
السيرة ، خبيراً ، عادلاً ، يميل الى أهل العلم والدين ، يكرمهم ويحكمهم في
بلادهم ويصدر عن رأيهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن
ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنى احدهم الف دينار يتجر بها ، وتمنى
الآخر عملاً يعمل فيه لأمر المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته ، وكانت من احسن
النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم وأعطى متمني المال

الف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنى زوجته : يا جاهل ، ما حملك على هذا الذي لا تصل اليه ؟ ثم أرسله الى زوجته ، فتركته في خيمة ثلاثة ايام تحمل اليه في كل يوم طعاماً واحداً ؛ ثم احضرته وقالت له : ما أكلت في هذه الأيام ؟ قال : طعاماً واحداً ، فقالت له : كل النساء شيء واحد ؛ وأمرت له بمال وكسوة وأطلقتة .

وأما ولده علي المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلثين وخمسمائة ، ومولده في حادي عشر رجب سنة ست وتسعين واربعمائة

ولما خرج عبد المؤمن بن علي المقدم ذكره قاصداً جهة البلاد المغربية ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ، وكان مسيره على طريق الجبال ، فسير علي بن يوسف ولده تاشفين ، ليكون في قبالة عبدالمؤمن ، ومعه جيش فساروا في السهل وأقاموا على هذا مدة ، فتوفي علي بن يوسف في اثناها في التاريخ المذكور ، فقدم أصحابه ولده إسحق بن علي ، وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراکش ، وكان صبيّاً ، وظهر أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال ، وفيها غمارة ، وثالدة ، والمصامدة ، وهم أمم لا تحصى ، فخاف تاشفين بن علي واستشعر القهر ، وتيقن أن دولتهم ستزول ، فأتى مدينة وهران وهي على البحر ، وقصد أن يجعلها مقره ، فان غلب على الأمر ركب منها في البحر ، وصار إلى بر الأندلس يقيم بها ، كما أقامت بنو أمية بالأندلس عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد ، وفي ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب ، وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون ، وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الحتم في جماعة يسيرة من خواصه ، وكان عبد المؤمن يجمعه في تاجرة وهي وطنه ... واتفق أنه أرسل منسراً إلى وهران ، فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ، ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن

يحيى صاحب المهدي ، فكنوا عشية ؛ وأعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط ،
فقصدوه ، وأحاطوا به ، وأحرقوا بابه ، فأيقن الذين فيه بالهلاك ، فخرج
تاشفين راكباً فرسه ، وشد الركض عليه ليشب الفرس النار وينجو ، فترامى
الفرس نازياً لروعته ، ولم يملكه اللحام حتى تردى من جرف هنالك إلى جهة
البحر على حجارة في وعر فتكسر الفرس وهلك تاشفين في الوقت ، وقتل
الخواص الذين كانوا معه ، وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى
في الليل ، وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن ، فوصل إلى وهران ، وسمي
ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ، ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن
من الجبل إلى السهل ، ثم توجه إلى تلمسان ، وهي مدينتان قديمة ومحدثة بينهما
شوط فرس ، ثم توجه إلى فاس ، فحاصرها ، وأخذها في سنة أربعين
 وخمسمائة ، ثم قصد مراکش في سنة إحدى وأربعين فحاصرها أحد عشر
 شهراً وفيها إسحاق بن علي ، وجماعة من مشايخ دولتهم ، فقدموه بعد موت
 أبيه علي بن يوسف بن تاشفين نائباً عن أخيه تاشفين ، فأخذها وقد بلغ القحط
 من أهلها الجهد ، وأخرج إليه إسحاق بن علي ومعه سير بن الحاج ، وكان من
 الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين ، وإسحاق دون البلوغ ، فعزم عبد
 المؤمن أن يعفو عن إسحاق لصغر سنه ، فلم يوافق خواصه ، وكان لا يخالفهم
 فخلى بينهم وبينها ، فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن في القصر ، وذلك في سنة
 اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وانقرضت دولة بني تاشفين .

قلت : وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى
الاندلس في العام الثاني من وقعة الزلافة ، وذكرت هنا ما يدل على أنه
ما عاد إليها ، وإنما نوا به هم الذين أخذوا بلاد الاندلس له ، فقد يعتقد
الواقف على هذا الكتاب أن هذا متناقض ، والعذر في هذا أنني وجدت في
ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ، ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة ،
والله أعلم بالصواب .

ثم رأيت في كتاب « تذكير العاقل » تأليف أبي الحجاج يوسف البياسي

أن ابن تاشفين لما جاز البحر قصد اشبيلية ، فخرج ابن عباد الى لقائه ، ومعه
الضيافة والإقامة ، ثم خرج من اشبيلية بقضه وقضيضه قاصداً بطليونس ،
وجرت الواقعة المذكورة ، ثم عاد ابن تاشفين الى بلاده ، وإن ابن عباد جاز
البحر ومضى اليه في سنة إحدى وثمانين ، واستنجد به على ما يحاوره من بلاد
العدو ، فأكرمه يوسف بن تاشفين ، وأجابه الى إنجاده ، ثم عاد ابن عباد الى
بلاده ، واستعد للعدو ، ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة إحدى وثمانين ، ثم خرج
الأذفونش في جيش كثيف ، وكان ملوك الأندلس قد اجتمعوا عند ابن تاشفين
فلما رأى ما فعلته من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه ، وأومه خواصه
أن ملوك الأندلس يفرون عنه ، ويخلون بينه وبين الأذفونش ، فأصغى الى كلامهم
وعمل في نفسه قولهم ، فأخذ في الحركة الى البرية ، وتحرك الجميع بحركته ، وجاز
البحر عائداً الى بلاده ، وقد غر صدره على ملوك الأندلس ، وتبين لهم تغيره
عليهم فخافوه ، فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الأقوات ، وأرسل بعضهم
الى الأذفونش ليكون عوناً له ، خوفاً من ابن تاشفين ، فأجابه الأذفونش بالإعانة
والمساعدة ، وكان قد سير له هدايا وأطافاً كثيرة ، فقبلها منه ، وحلف له على
جميع ما التمس منه ، واتصل ذلك بابن تاشفين ، فاستشاط غيظاً ، ثم إن ابن
تاشفين جاز البحر مرة ثالثة ، وقصد قرطبة وهي لابن عباد ، فوصلها في جمادى
الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقد سبقه إليها ابن عباد ، فخرج إليه بالضيافة ،
وجرى معه على عادته ، ثم إن ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن
بلكين بن باديس بن حبوس ، وحبسها ، فطمع ابن عباد في غرناطة ، وأن
ابن تاشفين يعطيه إياها ، فعرض له بذلك ، فأعرض عنه ابن تاشفين وخاف ابن
عباد منه ، وعمل على الخروج عنه ، فقال له : إنه جاءته كتب من اشبيلية ،
وهم خائفون من العدو المجاور لهم ، واستأذنه في العود إليها ، فأذن له فعاد ،
ثم رجع ابن تاشفين الى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ،
وأقام ببلاده إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين ، ثم عزم على العبور إلى
الأندلس لمنازلة ابن عباد ، وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ في التأهب والاستعداد ،

ووصل ابن تاشفين إلى سبتة ، وجمع العساكر الكثيرة ، وقدم عليهم سير بن أبي بكر فجازوا البحر وضايقوا ابن عباد ، فاستصرخ بالأذفونش ، فلم يلتفت إليه ، وكان ما ذكرته ، والله أعلم .

وفي هذه الترجمة ذكر المثلثين فيحتاج الى الكلام عليه ، والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ، يسكنون الصحارى الجنوبية ، وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب ، وبيوتهم من الشعر ، والوبر ، وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطعمهم في تلك البلاد عبد الله ابن ياسين الفقيه ، وقتل في حرب جرت مع برغواطية ، وقام مقامه أبو بكر ابن عمر الصنهاجي الصحراوي المقدم ذكره ، ومات في حرب السودان ، وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه ، وهو الذي سمى أصحابه المرابطين ، وهم قوم يتلثمون ، ولا يكشفون وجوههم ، ولذلك سموهم المثلثين وذلك سنة لهم يتوارثونها ، خلفاً عن سلف ، وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم ، فكثرت ذلك حتى صار تفعله عامتهم ، وقيل : كان سببه أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم ، فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعدوا هم في البيوت مثلثين في زي النساء ، فاذا اتاهم العدو وظنهم النساء فيخرجون عليهم ، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركاً به بما حصل لهم من الظفر بالعدو .

وقال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير ما مثاله : وقيل إن سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ، ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن تلبس ثياب الرجال ، ويتلثمن ، ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وقد تقدم المشايخ

والصبيان أمامهن ، واستدار النساء بالبيوت ، فلما اشرف العدو رأى جمعاً عظيماً ، فظنه رجالاً ، وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت . والرأي أن نسوق النعم ونمضي ، فان اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم ، فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ أقبل الرجال إلى الحي ، فبقي العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو خلقاً كثيراً ، وكان من قتل النساء أكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلزمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ، ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً .

ومما قيل في اللثام :

قوم لهم درك العلا من حمير	وإن ائتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا أحراز كل فضيلة	غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر بن عمر الصنهاجي ، وخرج من سجلماسة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وكان أبو بكر بن عمر قد أتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها ، وقاتل أهلها أشد قتال ، وأخذها ، ثم وثب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان ، والله أعلم .

الملحق ٢٠

الزَّلَاقَةُ^(١)

بَطْنُ حَاءِ الزَّلَاقَةِ من إقليم بَطْلَيْيُوسَ من غرب الأندلس ، فيها كانت الواقعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية عظيم الجلالَةِ إِذْفُونُش بن فَرْدِلَسْد عهيد المعتمد محمد بن عبَّاد ، وكان ذلك في الثاني عشر من رجب سنة ٤٧٩ .

وكان السببُ في ذلك فساد الصلح المنعقد بين الطاغية وبين المعتمد ؛ فإنَّ المعتمد اشتغل عن أداءِ الضريبة في الوقت الذي صارتْ عادته يؤدِّيها فيه ، بغزو ابن صُمَادِح صاحب المريَّة ، واستنقاذه ما في يديهِ بسبب ذلك ، فتأخَّر لأجل ذلك أداء الإتاوة عن وقتها ، فاستشاط الطاغية غضباً ، وتشطَّط فطلب بعض الحصون زيادةً على الضريبة ، وأمعن في التجنُّي ، فسأل في دخول امرأته القُصْطِيجَةَ إلى جامع قرطبة لتَلِدَ فيه من حملٍ كان بها ، حيث أشار إليه بذلك القِسْتِيسُون ، الأساقفة ، لمكان كنيسةٍ كانت في الجانب الغربي منه ، مُعَظَّمَةٍ عندهم ، عملَ المسلمون عليها الجامعَ الأعظم ؛ وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بمدينة الزهراءِ غربي مدينة قرطبة ، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور ، حتى تكون تلك الولادة بين طيب نسيم الزهراءِ ، وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع ، وزعم أن الأطباء ، أشاروا عليه بالولادة في الزهراءِ ، كما أشار عليه القِسْتِيسُون بالجامع ، وسفر

(١) من الروض المطار : ٨٣ .

بذلك بينها يهودي ، وكان وزيراً لابن فرذلند ، فتكلم بين يدي
المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه ، فأثابه ابن عباد من جميع ذلك ،
فأغلظ له اليهودي في القول ، وشافه بما لم يحتمله ، فأخذ ابن عباد محبرة كانت
بين يديه ، فأنزلها على رأس اليهودي ، فألقى دماغه في حلقه ، وأمر به
فصلب منكوساً بقرطبة .

واستفتى ابن عباد الفقهاء لما سكت عنه الغضب ، عن حكم ما فعله
باليهودي ، فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك ، لتعدي
الرسول حدود الرسالة إلى ما يستوجب له القتل ، إذ ليس له أن يفعل ما
فعل ؛ وقال للفقهاء حين خرجوا : إنما بادرت بالفتوى خوفاً أن يكسل
الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو ، وعسى الله أن يجعل في عزمته
للمسلمين فرجاً ! .

وبلغ الفتش ما صنع ابن عباد ، فأقسم بألته ليفزونه بإشبيلية ،
ويحصره في قصره ؛ فجرد جيشين جعل على أحدهما كلباً من مساعير كلابه
وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الأندلس ، ويغير على تلك التخوم
والجهاث ، ثم يمر على لبة إلى إشبيلية ، وجعل مواعده إتياء طريانة للاجتماع
معه ؛ ثم زحف ابن فرذلند بنفسه في جيش آخر عرمرم ، فسلك طريقاً غير
طريق صاحبه ؛ وكلاهما عاث في بلاد المسلمين وخرّب ودمر ، حتى اجتمعا
لموعدهما بصفة النهر الأعظم ، قبالة قصر ابن عباد ؛ وفي أيام مقامه هناك
كتب إلى ابن عباد زارياً عليه : « كثر بطول مقامي في مجلسي الذبان » ،
واشتد عليّ الحر ، فألقني من قصرك بمروحة أروّح بها على نفسي ، وأطرد
بها الذباب عني ! ، فوقّع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة : « قرأت
كتابك ، وفهمت خيلاءك وإعجابك ، وسأنظر لك في مراوح من الجلود
اللمطية ، في أيدي الجيوش المرابطة ، تروّح منك ، لا تروّح عليك ،
إن شاء الله ! » ، فلما ترجم لابن فرذلند توقيع ابن عباد في الجواب ،
أطرق إطراق من لم يخطر له ذلك ببال .

وفشا في بلاد الأندلس خبر توقيص ابن عبّاد ، وما أظهر من العزيمة على إجازة الصّحراويين والاستظهار بهم على ابن فرّذلند ، فاستبشر الناس ، وفتّحت لهم أبواب الآمال ، وانفرد ابن عبّاد بتدبير ما عزم عليه من مداخلة يوسف بن تاشفين ، ورأت ملوك الطوائف بالأندلس ما عزم عليه من ذلك ، فمنهم من كتب إليه ومنهم من شافهه : كلّهم يحذّره سوء عاقبة ذلك ، وقالوا له : الملك عقيم ، والسيّفان لا يجتمعان في غمدٍ واحد ! فأجابهم ابن عبّاد بكلمته السائرة مثلاً : رعيّ الجمال خيرٌ من رعيّ الخنازير ! أي أن كونه ما كولا لابن تاشفين أسيراً يرعى جماله في الصحراء ، خيرٌ من كونه ممزقاً لابن فرّذلند ، أسيراً يرعى خنازيره في قشتالة ؛ وكان مشهوراً برزاة الاعتقاد . وقال لعذّاله ولوّامه : يا قوم أنا من امري على حالتين ، حالة يقين وحالة شك ، ولا بدّ لي من إحداها ؛ أمّا حالة الشكّ فإني إن استندتُ إلى ابن تاشفين أو إلى ابن فرّذلند ففي الممكن أن يفيّا لي ويُبقيّا عليّ ، ويمكن ألاّ يفعلّا ؛ فهذه حالة الشكّ . وأمّا حالة اليقين ، فهي أني إن استندتُ إلى ابن تاشفين فأنا أَرْضِي الله ، وإن استندتُ إلى ابن فرّذلند أسخطتُ الله ، فإذا كانت حالة الشكّ فيها عارضةٌ فلاي شيء أدع ما يَرْضِي الله وآتي ما يسخطه ! وحينئذ أقصّر أصحابه عن لومه .

فلما عزم خاطب جاريّه المتوكّل عمر بن محمّد صاحب بطليّوس ، وعبدالله بن حبّوس ابن ماكنسن الصنّهاجيّ صاحب إغرناطة ، يأمرهما أن يبعثا إليه كل واحدٍ منها قاضي حضرته ، ففعلّا ؛ ثمّ استحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبّيد الله بن أدّهَم ، وكان أعقل أهل زمانه ؛ فلما اجتمع القضاة عنده بإشبيلية ، أضاف إليهم وزيره أبا بكر ابن زيّدون ، وعرفهم أربعتهم أنتم رُسُلُهُ إلى يوسف بن تاشفين ، وأسند إلى القضاة ما يلبق بهم من وعظ يوسف ، وترغيبه في الجهاد ؛ وأسند إلى ابن زيّدون ما لا بدّ منه في تلك السفارة ، من إبرام العقود السلطانيّة . وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تقيّد عليه وفودٌ تغور الأندلس ، مستعطفين ، مجهّشين بالبكاء ،

ناشدين الله والإسلام ، مستنجدين بفُقهاءِ حضرته ، ووزراء دولته ، فيستمع إليهم ، ويصغي لقولهم ، وترقُّ نفسه لهم ؛ فما عبرت رُسُلُ ابن عبَّاد البحرَ إلَّا ورُسُلُ يوسف بالمرصاد ؛ وقد آذن صاحب سبَّنة بقصده الغزو ، وتشوَّفه إلى نصره أهل الإسلام بالأندلس ، وسأله أن يخلي الجيوش تجوز في الحجاز ؛ فتعذَّر عليه ، فشكاه يوسف إلى الفقهاء ، فأفتَوْا أجمعين بما لا يَسُرُّ صاحب سبَّنة .

ولما انتهت الرُّسُلُ إلى ابن تاشفين أقبل عليهم ، وأكرم مشواهم ، وجدَّدوا الفتوى في حقِّ صاحب سبَّنة ، واتصل ذلك بابن عبَّاد ، فوجَّه من إشبيلية أسطولاً نحو صاحب سبَّنة ، فانتظمت في سلك يوسف ، ثم جرت بينه وبين الرُّسُلِ مراوضات ، ثم انصرفت إلى مرسليها .

ثم عبر يوسف البحر عبوراً هنيئاً ، حتى أتى الجزيرة الخضراء ، ففتحوا له ، وخرج إليه أهلها بما عندهم من الأقوات والضيافات ، وجعلوا سباطاً أقاموا فيه سوقاً ، جلبوا عليه من عندهم من سائر المرافق ، وأذنوا للغزاة في دخول البلد ، والتصرُّف فيها ، فامتلات المساجد والرحبات بضعفاء المَطْشُوعين وتواصَّوا بهم خيراً .

فلما عبر يوسف وجميع الجيوش ، انزعج إلى إشبيلية على أحسن الهيئات ، جيشاً بعد جيش ، وأميراً بعد أمير ، وقبيلاً بعد قبيل ؛ وبعث المعتمدُ ابنه إلى لقاء يوسف ، وأمر عمَّار البلاد بحلب الأقوات والضيافات ، ورأى يوسف من ذلك ما سرَّه ونشَّطه ، وتوارَدَت الجيوشُ مع أمرائها في إشبيلية ، وخرج المعتمدُ إلى لقاء يوسف من إشبيلية في مائة فارسٍ ووجوه أصحابه ، فأتى محلة يوسف فركض نحو القوم وركضوا نحوه ، فبرز إليه يوسف وحده ، والتقى منفردَيْن ، ووصافحَا وتعانَقَا ، وأظهر كلُّ واحدٍ منها المودَّةَ والخلوص ، فشكرا نعم الله ، وتواصيا بالصبر والرحمة ، وبشرا نفسيهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر ، وتضرَّعا إلى الله تعالى في أن يحمل ذلك

خالصاً لوجهه ، مقرّباً إليه وافترقا ؛ فعاد يوسف لمحلته ، ورجع ابن عبّاد إلى جهته ، ولحق بابن عبّاد ما كان أعدّه من هدايا وتحفٍ وأنطافٍ ، أوسع بها محلة ابن تاشفين . وباتوا تلك الليلة . فلما صلّوا الصبح ركب الجميع ؛ وأشار ابن عبّاد على يوسف بالتقدّم إلى إشبيلية ، ففعل ؛ ورأى الناس من عِزة سلطانه ما سرّهم ؛ ولم يبقَ من ملوك الطوائف بالأندلس إلا من بادرَ وأعان وخرج وأخرج ؛ وكذلك فعل الصّحراويّون مع يوسف بكل صقعٍ من أصقاعه ، رابطوا وصابروا .

ولما تحقّق ابن فرّذلند جوازَ يوسف ، استنفر جميعَ أهل بلاده وما يليها ، وما وراءها ، ورفع القيسّيون والرّهبان والأساقفة صلبانهم ، ونشروا أناجيلهم ، فاجتمع له من الجلالقة والإفرنجة وما يليهم ما لا يحصى عدده ؛ وجعل يصفي على أنباء المسلمين متغيظاً على ابن عبّاد جافياً ذلك عليه ، متوعداً له . وجواسيس كلّ فريق مترددون بين الجميع ، وبعث ابن فرّذلند إلى ابن عبّاد : إن صاحبكم يوسف قد تعثّى من بلاده ، وخاض البحور ، وأنا أكفيه العناء فيما بقي ، ولا أكلّفكم تعباً ، أمضي إليكم ، وألقاكم في بلادكم ، رفقا بكم ، وتوفيراً عليكم . وقال لأهل ودّه ووزرائه : إني رأيتُ إن أمكنتهم من الدخول إلى بلادي ، فناجزوني بين جدرها ، وربما كانت الدائرة عليّ ، فيكتسحون البلاد ، ويحصّدون من فيها في غداة ؛ لكن أجعل يومهم معي في حوز بلادهم ، فإن كانت عليّ اكتفوا بما قالوه ، ولم يجعلوا الدُرُوب وراءهم إلا بعد أهبة أخرى ، فيكون في ذلك صوتٌ لبلادي ، وجبرٌ لمكاسري ! وإن كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفتُ أنا أن يكون منهم فيّ وفي بلادي إذا ناجزوني في وسطها !

ثم برز بالختار من أنجاد جموعه على باب دربه ، وترك بقية جموعه خلفه ، وقال حين نظر إلى ما اختاره من جموعه : هؤلاء أقاتلُ الجنّ والإنسَ وملائكة السماء ، فالمُقتلُ يقول : كان هؤلاء المختارون من أجناده أربعين

ألف دارع ، ولا بُدَّ لِمَنْ هذه صِفَتُهُ أَنْ يتبعه واحد أو اثنان ، وأما
النصارى فيتعجبون مِمَّنْ يزعم ذلك ويقول . واتفق الكلُّ أنَّ عدَّةَ
المسلمين كانت أقلَّ من عدَّةِ المشركين ورأى ابنُ فرذَلَنْد في نومه كأنه
راكبٌ على فيلٍ ، فضرب نقيرة طبل فهايته رؤياه ، وسأل عنها القسوس
والرهبان فلم يحبه أحدٌ ودسَّ يهوديًا الى من يعلم تأويلها من المسلمين ، فدلَّ
على عابر فقصَّها عليه ، ونسبها إلى نفسه ، فقال له العابر : كذبت ! ما هذه
الرؤيا لك ، ولا بدَّ أن تخبرني مَنْ صاحبها وإلا لم أعبرها لك ! فقال له :
اكنم ، ذلك هو الفُنش بن فرذَلَنْد ! فقال العابر : قد علمت أنها رؤياه
ولا ينبغي أن تكون لغيره ، وهي تدلُّ على بلاء عظيم ، ومصيبة فادحة ،
تؤذن بصلبه عما قريب ؛ أما الفيل فقد قال الله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ » (١) السورة ، وأما ضرب النقيرة فقد قال
الله تعالى : « فَلَمَّا دَاخُرَ فِي السَّاقُورِ قَدْ ذَلِكَ يَوْمٌ مِّدِّيَّ يَوْمٌ عَسِيرٌ » (٢)
الآية ؛ فانصرف اليهودي الى ابن فرذَلَنْد وجمجمَ له وذكر له ما وافق
خاطره ولم يفسرها له .

ثم خرج ابن فرذَلَنْد ووقف على الدروب ، ومال يحيوشه الى الجهة الغربية
من بلاد الاندلس ، فتقدم يوسف فقصده ، وتأخر ابن عباد لبعض الأمر ،
ثم الزعج بقلو اثره يحيش فيه 'حماة' الثغور ، ورؤساء الاندلس ، وجعل ابنه
عبداً على 'مقدمته' ، وسار وهو يتفاهل لنفسه ، مكثلاً البيت المشهور :

لا بدَّ من فرج قريب	يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك	سيعود بالفتح القريب
لله سمدك إنه	نكس على دين الصليب
لا بدَّ من يوم يكو	ن أخاً له يوم القلب

(١) قرآن كريم : ١٠٥ - ١ .

(٢) قرآن كريم : ٧٤ - ٩٠٨ .

ووافقت الجيوش كلها بطليوس ، فأتوا بظاهرها ، وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد فلقبهم بما يجب من الأقوات والضيافات ، وبذل مجهودهم ، ثم جاءهم الخبر بشخص ابن فرذلند إليهم ، ولما ازدلف بعضهم إلى بعض ، أذكى المعتمد عيونه في محلات الصحراويين خوفاً عليهم من مكيد ابن فرذلند ، إذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد ، وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل إن الرجل من الصحراويين كان يخرج عن طرق محلاتهم لبعض شأنه ، أو لقضاء حاجته ، فيجد ابن عباد بنفسه مطيفاً بالحلة بعد ترتيب الكراديس من خيل على أفواه طرق محلاتهم ، فلا يكاد الخارج منهم عن الحلة يخطئ ، إذ ذاك من لقاء ابن عباد لكثرة تطوافه عليهم .

ثم كتب يوسف إلى ابن فرذلند يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو يأذن بحربه فامتلاً غيظاً وعتاً وطغاً وراجمه بما يدل على شقائه ، وقامت الأساقفة والرهبان فرفعوا صلبهم ، ونشروا أناجيلهم ، وخرجوا يتبايعون على الموت ؛ ووعظ يوسف وابن عباد أصحابها ، وقام الفقهاء والعُبَّاد يعظون الناس ويحضُّونهم على الصبر ، ويحذرونهم الفرار ؛ وجاءهم الطلائع بخبر أن العدو مشرفٌ عليهم صبيحة يومهم ، وهو يوم الأربعاء ، فأصبح المسلمون قد أخذوا مصافتهم ، فكعَّ ابن فرذلند ورجع إلى أعمال الخديعة ، ورجع الناس إلى محلاتهم ؛ وباتوا ليلتهم ، ثم أصبح يوم الخميس فأخذ ابن فرذلند في أعمال الحيلة ، فبعث لابن عباد يقول . غداً يوم الجمعة وهو عيدكم ، وبعده الأحد وهو عيدنا فليكن لقاءنا بينهما وهو يوم السبت ! فعرف المعتمد بذلك يوسف ، فقال : نعم ! فقال له المعتمد : هذه خديعة ابن فرذلند ! إنما يريد غدرَ المسلمين ! فلا تطمئن إليه ، وليكن الناس على استعداد له طولَ يوم الجمعة كل النهار ! وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس بجميع المحلات ، خائفين من كيد العدو ، وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي (وكان في محلة ابن عباد) فرحاً مسروراً ، يقول إنه رأى النبي (صلم) فبشره بالفتح والشهادة له في

صبيحة غد وتأهب ودعا ودهن رأسه وتطيب ، وانتهى ذلك إلى ابن عباد ، فبعث إلى يوسف فخبّره بها تحقيقاً لما توقعه من غدر ابن فرذلند ، فحذروا أجمعين ، ولم ينفع ابن فرذلند ما حاوله من الغدر .

ثم جاء في الليل فارسان من طلائع المعتمد ، يخبران أنها أشرفا على محلة ابن فرذلند وسمعا ضوضاء الجيوش ، واضطراب الأسلحة . ثم قلاحق بقية الطلائع محققين بتحريك ابن فرذلند ، ثم جاءت الجواسيس من داخل محلة ابن فرذلند يقولون : استرقنا السمع الساعة فسمعنا ابن فرذلند يقول لأصحابه : ابن عباد مسمر هذه الحروب ، وهؤلاء الصحراويون ، وإن كانوا أهل حفاظ وذوي بصائر في الجهاد ، فهم غير عارفين بهذه البلاد ، وإنما قادم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه ، واصبروا ، فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه المحلة . وعند ذلك بعث ابن عباد كاتبه أبا بكر بن القصيرة إلى يوسف يعرفه بأقبال ابن فرذلند ، ويستحث نصرته ، فمضى ابن القصيرة يطوي المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين ، فعرفه بحلية الأمر ، فقال له : قل له إنى سأقرب منك إن شاء الله تعالى . وأمر يوسف بعض قواده أن يمضي بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها ناراً ، ما دام ابن فرذلند مشغلاً مع ابن عباد . وانصرف ابن القصيرة إلى المعتمد ، فلم يصله إلا وقد غشيته جنود ابن فرذلند فصدما ابن عباد صدمة قطعت آماله ، ولم ينكشف له ، فعميت الحرب بينهما ، ومال ابن فرذلند على المعتمد بمجموعه ، وأحاطوا به من كل جهة واستعمر القتل فيهم ، وصبر ابن عباد صبراً لم يعهد مثله لأحد ، واستببطاً يوسف وهو يلاحظ طريقه ، وعضته الحرب ، واشتد البلاء ، وأبطأ عليه الصحراويون ، وساءت ظنون أصحابه ، وانكشف بعضهم ، وفيهم ابنه عبدالله ، وأنخن ابن عباد جراحات ، وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته ، حتى وصلت إلى صدغيه ، وجرحت يمين يديه ، وطعن في أحد جانبيه ، وعقرت تحته ثلاثة أفواس ، كلما هلك واحد قدم له آخر ،

وهو يقاسي حياض الموت ، ويضرب يمينا وشمالا ، وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا ، كان مغرما به ، تركه بأشبيلية عليلا ، اسمه العلاء ، وكنيته ابو هاشم ، فقال [متقارب] :

أبا هاشم هشتني الشفار والله صبري لذاك الاوار
ذكرت شخصيك تحت المعجاج فلم يشني ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد ، من قواد ابن تاشفين ، داود بن عائشة ، وكان بطلا شهيا ، فنفس بمجيئه عن ابن عباد ؛ ثم أقبل يوسف بعد ذلك ، وطبوله تصدع الجو ، فلما أبصره ابن فرذلند وجهه أشكولته اليه ، وقصده بمعظم جنوده ، وقد كان علم حساب ذلك من أول النهار ، وأعد له هذه الاشكولة ، وهي معظم جنوده ، فبادر اليه يوسف يجمعه فردهم إلى مركزهم ، وانتظم به شمل ابن عباد ، ووجد ربح الظفر ، وتباشر بالنصر ، ثم صدقوا جميعا الحملة ، فتزلزلت الأرض بحوافر خيلهم ، وأظلم النهار بالمعجاج والغبار ، وخاضت الخيل في الدماء ، وصبر الفريقان صبرا عظيما ؛ ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف وحمل معه حملة نزل معها النصر ، وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين ، فصدقوا الحملة ، فأنكشف الطاغية ، ومر هاربا منهزما ، وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنة بقي أثرها بقية عمره ، فكان يجمع منها ، فلجأ إلى تل كان يلي محله في نحو الخمسمائة فارس كلهم مكلوم ، وأباد القتل والأسر من عداهم من أصحابهم ، وعمل المسلمون بعد ذلك من رؤوسهم صوامع يؤذنون عليها وابن فرذلند ينظر إلى موضع الوقعة ومكان الهزيمة ، فلا يرى إلا نكالا محيطا به وبأصحابه .

وأقبل ابن عباد على يوسف فصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف مقامه ، وحسن بلائه وجميل صبره ، وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهم عنه فقال : 'هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك ' ولما انحاز الطاغية بشرذمته ، جعل ابن عباد يحرّض على اتباع الطاغية ، وقطع

دأبره ، فأبى ابن تاشفين واعتذر بأن قال : لو اتبعناه اليوم لقي في طريقه أصحابنا المنهزمين راجعين إلينا منصرفين ، فيهلكهم ؛ بل نصبر بقية يومنا حتى يرجع إلينا أصحابنا ، ويجتمعوا بنا ، ثم نرجع إليه فنحسم دأه . وابن عباد يرغب في استعجال إهلاكه ويقول إن فرأ أماننا لقيه أصحابنا المنهزمون فلا يعجزون عنه ! ويوسف مصر على الامتناع من ذلك . ولما جاء الليل تسلل ابن فرذلند وهو لا يلوي على شيء ، وأصحابه يتساقطون في الطريق واحداً بعد واحد من أثر جراحهم ، فلم يدخل طليطلة إلا في دون المائة .

وتكلم الناس في اختلاف ابن عباد وابن تاشفين ، فقال شيع ابن عباد : لم يخف على يوسف أن ابن عباد أصاب وجه الصواب والرأي في معاجلتهم ، لكن خاف أن يهلك العدو الذي من أجله استدعاه فيقع الاستغناء عنه ! وقالت شيع يوسف : إنما أراد ابن عباد قطع حبال يوسف من العود إلى جزيرة الاندلس ! وقال آخرون : كلا الرجلين أسراً حسواً في ارتقاء ، وإن كان ابن عباد أحرى بالصواب .

وكتب ابن عباد إلى ابنه باشبيلية : كتابي هذا من المحلة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ، ونصر المسلمين ، وفتح لهم الفتح المبين ؛ وأذاق المشركين العذاب الأليم ، والخطب الجسم ؛ فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه الهزيمة العظيمة ، والمسرة الكبيرة ، هزيمة إذفونش أصلاه الله نكال الجحيم ، ولا أعدهم الوبال العظيم . بعد إتيان النهب على محلاته ، واستئصال القتل في جميع أبطاله وأجناده ، وحماته وقواده . حتى اتخذ المسلمون من هماماتهم صوامع يؤذنون عليها ، فله الحمد على جميل صنعه ، ولم يصبني بحمد الله تعالى إلا جراحات يسيرة أملت ، لكنها فرحت بعد ذلك ، وغنمت وظفرت .

ولما فرغ يوسف من وقية يوم الجمعة ، تواردت عليه أنباء من قبل السفز ،

فلم يجد معها بدءاً من سرعة الكرّة ، فانصرف الى إشبيلية ، فأراح بظاهرها
ثلاثة أيام ، ونهض نحو بلاده ، ومشى ابن عبّاد معه يوماً وليلة . فعزم عليه
يوسف في الرجوع ، وكانت جراحاته تشعب وتورّم كالم رأسه ، فرجع
وأمر ابنه بالمسير بين يديه الى فرضة المجاز حتى يعبر البحر الى بلده .

ولما دخل ابن عبّاد إشبيلية جلس للناس وهنّئ بالفتح ، وقرأت
القرّاء ، وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه . قال عبد الجليل بن وهبون :
حضرت ذلك اليوم ، وأعددت قصيدة أنشده إياها ، فقرأ القاري :
« إلا تنصروه فقد نصره الله » (١) فقلت : « بعداً لي ولشعري ! والله
ما أبقت لي هذه الآية معنى أحضره اليه ، وأقوم به .

واستشهد في ذلك اليوم جماعة من أعيان الناس ، كابن ربيعة المتقدم
الذكر ، وتاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما . وطار
ذكر ابن عبّاد بهذه الواقعة ، وشهد مجده ، ومالت اليه القلوب ، وسالته
ملوك الطوائف ، وخاطبوه جميعاً بالتهنئة ، ولم يزل ملحوظاً معظماً الى أن
كان من أمره مع يوسف ما كان .

(١) قرآن كريم : ٩ - ٤٠ .

الملحق ٣٠

الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين^(١)

كان جوازه الثاني سنة ٤٨١ هـ سببه : حدث الوزير أبو بكر بن عقاب قال لما كان بعد وقعة الزلاقة بسنين وفدت على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بحضرة مراکش جملة من وجوه الأندلس من أهل بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة فشكوا له ما حل بأهل بلنسية من أهل الانبيطور وكان (وهو) من ملوك الروم قد لازم حصارها حتى دخلها وشكوا له ما حل بأهل مرسية وأعمال لورقة وبسطة من شأن لبيط وهو حصن حصين على رأس جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم يملكه العدو وكانت سراياه تسير شرقاً وغرباً إذ كان في موسطة بلاد المسلمين فلم يزل وجوه الأندلس من تلك البلاد يترددون اليه بالشكوى حتى وعد بالجواز اليهم إذا تمكن الفصل ثم ان ابن عباد تحرك من اشبيلية في خاصته وعبر البحر إلى يوسف بن تاشفين فتلقيه بالمدخل على وادي سبو فتلقيه بوجه طلق وصدر رحب واكرام جم وقال له ما السبب الذي دعاك الى الجواز الينا وهلا كتبت بحاجتك فقال له : جئتك احتساباً وجهاداً وامتعاضاً للدين وقد أجرى الله الخير على يديك وحظك مما جئت به الأوفر وقد اشتد ضرار النصارى المستولين على حصن لبيط وعظم أذاه بالمسلمين لتوسطه في بلادهم ولا جهاد أعظم منه أجراً ولا أثقل في

(١) الحلل الموشية: ٥٤ - ٦٢ .

الميزان وزراً ، فتلقي أمير المسلمين مقصده بالقبول ووعدته بالحركة والجواز ، فاستحثه واستوثق منه وصار الى حضرة اشبيلية وتقدم الى كل طبقة من أهل مملكته وأكثر من أعمال السهام والمطاردة وعمل الرعادات وغير ذلك من الآلات ؛ ولما رتب أشغاله ومهد أحواله وكمل من ذلك ما حوى له ، اتصل به قدوم أمير المسلمين وجوازه البحر واستقراره بالجزيرة الخضراء ، فتلقيه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من الكرامات والمبرة ، وأنفذ أمير المسلمين كتبه للوكة الأندلس يستدعيهم للجهاد معه والموعده حصن لبيط ، فاجتاز على مالقة واستنفر صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس وتلاحق به المظفر عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة ، والمعتصم بن صمادح من المرية ، وتوافى رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان ومن كل مكان ، وجاءهم من مرسية النجارون والبناءؤون والحدادون واضطربت المحلة محدقة بحصن لبيط وكان بداخله من الروم ألف فارس واثناعشر ألف راجل ، واتصلت السابلة وكثر الوارد واتصلت الحروب على الحصن ليلاً ونهاراً وكل أمير من أمراء المسلمين يقاتل في يومه بخيله ورجله مداولة بينهم . وتمادى ذلك شهراً ، واجتمع المعتمد ابن عباد ويوسف بن تاشفين وظهر لهما من حصانته ومنعته واستصعابه ما آيسهم عنه وأنه لو كان دون سور لكان جفاء جرفه عاصماً لمن فيه وأنه لا يتأتى لهم أخذه إلا بالمطاولة وقطع مادة القوت عنهم . وكان جملة من وصل من رؤساء الأندلس ابن رشيق صاحب مرسية الثائر بها على المعتمد ابن عباد فشكا ابن عباد بابن رشيق لأمر المسلمين وذكر انتزاعه عليه ، وأنه دفع جبايتها مصانعة للطاغية أذقنش ، فحضر ابن رشيق واستفتى يوسف بن تاشفين في أمرهما الفقهاء فوجب الحكم على ابن رشيق فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه وإسلامه في يد ابن عباد ونهاه عن قتله فثقفه ابن عباد فهرب للحين أصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محله الى مرسية وانتزوا بها ومنعوا الميرة عن المحلة فاختلفت أمورهم ووقع الغلاء بها وارتفع السعر فيها ، فضاقت بالناس الأحوال ؛ وفي أثناء ذلك استصرخ أهل الحصن سلطانهم فأخذ في الحشد ويمم الحصن في أمم لا تحصى ، فاقتضى رأي يوسف بن تاشفين التوسعة

على الحصن والتأهب للقاءه ، فتأخر بمحلته الى تربية ، وهي موضع الماء
والشمر ، وظهر له أن الاذفش اذا وصل فغايتة تخليص قومه واخلأ الحصن
ويزول ضرره ، وأن الصواب اخلاء الطريق له ، ولما وصله للحين وجد قوماً
جوعاً لا يقدرّون على إمساك الحصن فأحرقه وخرج من فيه من قومه .
فجرد يوسف من عسكره جيشاً ينيف على اربعة آلاف فارس بعثه الى بلنسية
وأردف بعده عسكراً عظيماً قدم عليه محمد بن تاشفين الى جهة وانصرف من
هنالك الى العدو ، فتحرك الجميع بحركاته وعادوا بلادهم . وهذا هو تلخيص
خبر جوازه الثاني الى الأندلس .

الجواز الثالث

كان جوازه الثالث في سنة ٤٨٣ سببه أنه لما كان على حصن ليط نقل
إليه عن (ملوك الأندلس) كلام أحفظه ووغر صدره عليهم وهو الذي
أزعجه الى العدو ولما تبين لهم تغييره عليهم وإعراضه عنهم نظر كل واحد
منهم لنفسه بغاية حزمه ، فأول من شر ذلك وتظاهر به وجد في المظفر
عبد الله بن بلقين بن باديس واتصلت أنباؤه بيوسف بن تاشفين فاشتد غضبه
وزاد حرجه عليه ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاء بعادته من
التعظيم واحتفل في التضييف والتكريم وتوالت عليه الاخبار من الأمير عبد الله
ابن بلقين بما يغيظه ويحقدّه فاستنزل من مالقة أخاه المستنصر تيم بن بلقين
وتوجه الى غرناطة فلقية المظفر عبد الله بن بلقين خارج الحضره وترجل اليه
ودخل معه البلاد وسلم اليه الامر وقام ينظر في توطيد البلد وتمهيد الامور
واحتمله هو وأخاه المستنصر تيم الى العدو واسكنها باعمات . وقد استوفى
الكلام في هذا الأمير عبد الله بن بلقين في الكتاب الذي ألفه في دولة قومه .
وكان المعتمد بن عباد والمتوكل بن الألفس قد قدما عليه بغرناطة يهنئانه بما
تهيا له من ملك غرناطة ومالقة فلم يقبل عليهما وأعرض عنهما وانصرفا عنه الى

بلادهما وأدرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى الاندلس .
وقال خليفه المتوكل ابن الافطس والله لا بد له أن يسقينا من الكاس الذي
أسقى به عبد الله بن بلقين ولما عاد ابن عباد الى أشبيلية أخذ في بناء الاسوار
وعمل القنطرة فقال له ابنه أبو الحسن عبد الله الرشيد : ألم اقل لك يا أبت
يخرجنا هذا الصحراوي من بلادنا ان انت اوردته علينا قال : يا بني لا يُنجي
حذر من قدر . ولما كان في سنة ٤٨٤ هـ تحرك يوسف بن تاشفين الى سبتة لجواز
عساكره اللعنتونية الى الاندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصار بلادهم وفي أثناء
مقامه بها أمر ببناء المسجد الجامع بسبتة والزيادة فيه فزاد فيه حتى أشرف
على البحر وبنى البلاط الاعظم منه وأمر ببناء سور الميناء السفلي وشرع في
جوازمهم فقدم ابن عمه الامير سير بن أبي بكر على عسكر وأمره بمحاصرة
ابن عباد بأشبيلية وأوعز اليه أنه إذا فرغ من شأنه فيتقدم لبلاد المتوكل بن
الافطس وقدم أبا عبد الله بن الحاج على عسكر ثان وأمره بمنازلة الفتح الملقب
بالمأمون ولد المعتمد بن عباد بقرطبة وقدم أبا زكريا بن واسينو على عسكر
ثالث وأمره بمحاصرة المعتصم محمد بن معن بن صمادح بالمرية وقدم جرور
الحشمي على عسكر رابع وأمره بمنازلة يزيد الراضي ولد المعتمد بن عباد
برندة فجوز العساكر وانصرف كل فريق الى حيث أمرهم وأقام هو بسبتة
مترقباً لأنبيائهم ومتشوقاً لما يحدث عنهم فكان منهم بالاندلس ما هو مشهور
من الاستيلاء على بلادهم والغلبة على مملكتهم ليس هذا موضع التقصي لآخباره
لما قصد من ايجاز القول واختصاره . ولم يبق بالاندلس ولاية إلا بنو هود لأن
المستعين بالله أبا جعفر أحمد بن المؤمن بالله أبي الحجاج يوسف بن المقتدر بالله
أبي جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود الجذامي أقام ببلاده بشرق
الاندلس وكان يومئذ بيده عمالة الثغر الاعلى وهي سرقسطة وتطيلة وقلعة
أيوب ودروقة ووشقة وبربشتر ولاردة وأفراغة وبلغي ومدينة سالم ووادي
الحجارة وما الى ذلك كله بحصن بلاده وملك رعيته فخاف أمره ولم تدخل
عليها بسببه داخلة وكان مع ذلك يهادي أمير المسلمين ويكاتبه وقال له في

مكاتبته : نحن بينكم وبين العدو سند لا يصل اليكم منه ضرر ومنا عين تطرف
وقد قنعنا بمسالتكم فاقنعوا منا الى ما نعينكم به من نفيس الذخائر . ووجه
اليه ابنه عماد الدولة أبا مروان عبد الملك فأجابه يوسف بن تاشفين الى ما أراد
ومما جاوبه به ما نصه : من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين الى
المستمعين بالله أحمد بن هود أدام الله تأييده من حضرة مراکش حيث تنلى آية
شرفك ، ومآثر سلفك ، ونحن نحمد الله بجميع المحامد ، ونستهديه أحسن
الموارد ، ونسأله أتم الفوائد ، وأنجح المقاصد ، ونصلّي على سيدنا ومولانا
محمد ﷺ صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، وأما الذي عندنا أيديكم الله لجنابك
الكريم ، ومجدك الصميم ، ومحلك المعلوم ، فودّ صريح ، وعقد في ذات الله
تعالى صحيح ، ووردنا نشأة السيادة والنبل والنباهة والفضل أبو مروان
عبد الملك ابنك ولادة وتنسباً وابناً وداداً وتقرباً زاد الله به عينك قرة ،
ونفسك مسرة ، ومعه خاصتك الوزيران أبو الاصبع وأبو عامر أكرمهما الله
بتقواه وكلا وفيناه حق نصابه ، وأتيناه بره من بابيه ، وأديا اليها كتابك الجليل
الخطير المقبول المبرور فوقفنا منه على وجه شخوصها ، وأصغينا في تفصيل
جملته الى تخليصها ، فألقينا لها مراجعة في ذلك ما لقنوه ، وسفرنا لها عن
وجه قصدنا فيه حتى استبانوه ، وجملته الوفاق ، وجماعة الانتظام في سلك
ما يرضي الله تعالى والاتساق ، إن شاء الله تعالى والسلام . فأقام ابن هود
رخي البال يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بالروم بكونه حائلاً بينهم
وبين بلاد الافرنج والاردمانيين وقد كان الافرنج قبل ذلك باعوام قريبة العهد
خرجوا من الارض الكبيرة الى الاندلس في جموع كثيرة ليس لها حد ولا
يحصى عدد الا الله انتشروا على ثغور سرقسطة وأثخنوا وقتلوا وسبوا وتغلبوا
على مدينة بربشتر عنوة وقتلوا فيها نحو أربعين ألفاً ما بين فارس وراجل
وأسروا النساء والاولاد فاسترجعها من أيديهم المقتدر بالله ابن هود ودخل
عليهم عنوة ولم ينج من أهلها إلا يسير ؛ يذكر أنه تالف عنده في استفتاحها ستة
آلاف من الرماة بالقسي العقارة قال البراكي : دخل منها سرقسطة نحو خمسة

آلاف من الخيل والدرع ما لا يحصى ، فشاع لابن هود بهذا الفتح الذي اتفق على يده صيت بعيد وكان يتحف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ويهديه مما تحصل بيده من نفيس الذخائر واليواقيت والجواهر ، اتصل اليه ذلك من إقبال الدولة أبي الحسن علي بن الموفق بالله أبي الحسن علي بن مجاهد العامري صاحب دانية وعاملها ظفر بها لما تغلب على دانية ، وذلك أن مصر كانت بها مجاعة كثيرة ومسغبة شديدة وكانت دانية في شرقي الاندلس كثيرة الخصب فبعث ابن موسى من دانية الى الشام مركباً كبيراً محشوا بالزرع فعاد اليه بكل ذخيرة وتحفة خطيرة فلما تغلب المقتدر على عمالة الموفق تحصل بيده ما ذكر واستولى عليه فتحصل عنده من ذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الاندلس . وهذا هو تلخيص الخبر في الجواز الثالث الى الاندلس بحول الله وقوته .

الملحق « ٤ »

« قطعة من كتاب لمؤرخ مجهول عن ابن جحاف والسيد ^(١) »

ذكر دولة القاضي أبي أحمد جعفر بن جحاف بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يمن بن سعيد المعافري البلسي وذكر سببه :

« لما ملك القادر بلنسية أحدث فيها أحداثاً وغير أحكاماً وأظهر منكرات كثيرة وصادق ألفنش وهاداه وراسله ، فخاف أهل بلنسية من أن يملكها للفنش كما ملكه طليطلة ؛ فاجتمعوا وعزموا على قتله وتقديم ابن جحاف ، فدخل عليه وقتله ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان كما تقدم ، وبويع ابن جحاف في صبيحتها وهو يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة ؛ ودخل القصر فوجد فيه من الأموال والأثاث وذخائر الملوك شيئاً كبيراً واحتوى على ذلك كله ، وتقفه بشاطبة على أبي عمر ابن عبد البر وسمع الحديث من أبي العباس العدوي وغيره ، وأقام بها ملكاً إلى أن غزاه ققط من أقطار النصارى يقال له القنبيطور ومعناه صاحب الفحص لذريق ، فطمع في أخذ بلنسية فضايقة مضايقة شديدة وحصرها حصراً عظيماً وقطع عنها المرافق ، ونصب المجانيق ، ونقب الأسوار ، وعدم الناس الطعام ، وأكلوا الفيران والكلاب والجيايف إلى أن أكل الناس الناس ؛ ومن مات منهم أكلوه ، فبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقون . وقد ألف ابن

(١) نشرها ليفي بروفنسال ، انظر : الإسلام في المغرب والأندلس : ٢٣٢ - ٢٣٦ .

علقة كتاباً في أمر حصارها يبكي القارىء ويذهل العاقل .

فلما طال عليهم البلاء ، وعدموا الصبر ، وكان المرابطون قد خرجوا من الأندلس إلى العدو ، ولم يجدوا ناصراً ، عزموا على تسليمها للقنبيطور . فاستأمنوه على أنفسهم وأموالهم وأهلهم ، واشترط على ابن جحاف أن يعطيه جميع ذخائر القادر فأجاب كل منهما إلى سؤاله ، وانعقد الصلح بينهما ، وفتح الباب ، ودخل القنبيطور البلد ، ونزل في القصر ، وتملك بلنسية وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . فكانت دولة ابن جحاف ثلاث سنين وأربعة أشهر وسبعة أيام . ثم إن القنبيطور قتل ابن جحاف ، وكان سبب قتله أن القنبيطور ، لعنه الله ، لما تسلم من ابن جحاف جميع ذخائر المقتدر ، كان ابن جحاف قد أمسك منها ذخيرة نفيسة ، فوقع عليها عند القنبيطور ، فسأله عنها ، فأنكرها فأمر بحلفه بحضرة الشهود وأعيان المسلمين وأعيان النصارى فحلف أنه ما رآها ولا هي عنده فأخلى سبيله . ثم إنه عثر بعد ذلك عليها . وقال أبو العباس أحمد بن علقمة في تاريخه ، وهو ممن شهد الموطن ، وكان في الحصار ، أن القنبيطور طلبه في الأموال ، فأخرج له أسباباً كثيرة وأثاثاً كثيراً ، فقال له القنبيطور : ومن تكون عنده الأسباب ما يكون عنده مال ؟ فغضب وأمر بتعذيبه فعذب عذاباً شديداً ؛ ثم أمر به فجمع له حطب كثير ، وحفرت له حفرة وأقيم فيها . وصير الحطب حوله ، وأوقدت فيه النار ، فكان يضم النار إليه بيديه ليكون ذلك أسرع لخروج روحه . ولم تزل بلنسية تحت يده إلى أن استخلصها منه مزدلي المرابط سنة خمس وتسعين .

الملحق «هـ»^(١)

١ - مقتل القادر بن ذي النون في بلنسية

« وانتقل حفيد بن ذنون الى بلنسية بمشايعة ملك قشتالة ووجهه معه جيشاً حتى دخلها واستقر بها الى شهر رمضان من سنة ١٨٥ ؛ وقد تملك ابن عائشة قائد يوسف بن تاشفين ، مرسية . فاستدعاه أهل بلنسية وعرضوا عليه مدينتهم فأقبل اليها نائبه بجيش من المبتونيين ، وخرج القاضي ابن جحاف والفقهاء لتلقيه وإدخاله البلد ، ففر ابن ذنون من القصر ولم يمكنه الخروج من المدينة ، فاختفى ببعض الدور الخالية ، فظهر عليه ليلة الجمعة لسبع بقين من رمضان من السنة ، وسيق الى القاضي ابن جحاف فأمر بقتله ، تولى ذلك فتى من بني الحديدي القليل بطليطلة ، وطيف برأسه ، واحتوى ابن جحاف على ما كان له ، وطرحته جثته في سبخة ، فواراه رجل احتساباً وصدقة ، ودفن دون كفن ، فانقطعت مدته على هذه السبيل . »

* * *

٢ - أيام القاضي أبي احمد بن جحاف رئيس بلنسية

« ... وكان قاضي حضرة بلنسية وله فيها الأصالة المأجدة ، الناطقة بالقدم الشاهدة ، وكان قد سئم إضافة عدو الله الكنبطور بلنسية ، وسومه أهلها خطة الخسف ، وسئم الذل ، وضاق صدره بحفيد ابن ذنون المنتقل إليه ،

(١) انظر أعمال الاعلام : ١٨٢ ، ٢٠٣ .

بعد تمكن النصاري من طليطلة ، فقوي بمكان دولة الممتونيين وانتشل على ايديهم كشف المحنة والخروج من ذل الكنبطور ، متعبد أهل بلنسية ، وحالب ضروع جباياتها بصرامته ، فاستدعى محمد بن عائشة قائد يوسف بن تاشفين ، فوجه إليه جمعاً من المرابطين ، وبرز الناس الى لقائه ، وفر عند ذلك حفيد ابن ذنون من قصره ، وثار البلد به ، وعثر عليه فقتل بأمر القاضي ابن جحاف كما تقدم ، وتمت بمقتله الرياسة في البلد لابن جحاف ، فرتب الأجناد والخدمة ، واستشعر أبهة الملك ، وعين الألقاب ، وحذا حذر ابن عباد باشيلية ، فلم تساعده الأيام ، وخاطبه عدو الله الكنبطور يهنيه على ما تهبأ له وفي قلبه من استظهاره بسلطان لمتونة النار المضرمة ، وأخذ يعرض له بالحسنة التي اكتسبها في شهر صومه من قتل سلطانه ، ويطلبه بالاطعمة التي كانت له بحصون بلنسية انتهبها رجاله في حال الحادثة ، فراجعه أن البلد لأمر المسلمين يوسف بن تاشفين والاطعمة قد انتهت ، فكتب اليه الكنبطور يقسم بمحرجات أيمان دينه ألا يبرح عن بلنسية حتى يظفر به ، ويأخذ ثأر ابن ذنون . وخاطب من يحاوره من أهل الحصون الذي لا طاقة له يستمد الأقوات للمحلة .

ثم كاد الكنبطور عدو الله ابن جحاف وخدعه وداخله في إقامة أودعه ، وتوطيد ملكه إذا صرف الممتونيين وأزعجهم أنه يسوغ استبداده بالملك رقيقه مقام ابن ذنون ويقاقل عنه من يريده ، وكان استئثار القوم وضاق بمؤنتهم ففعل ، وعند ذلك استبصر في التضييق عليه ، فعظم الغلاء ، وتضاعف البلاء ، واستصرخ بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين فبعث إليهم جيشاً عظيماً أتيح للكنبطور عليه الظهور ، فأيقن الناس بالهلكة ، واشتد عليه كلب العدو الى أن استأمنوه لأنفسهم ، وخرج اليه ابن جحاف وأحكم معه العقد ، ودخل العدو المدينة في جمادى الأولى من سنة ٤٨٧ ، وتجهزت اليه جيوش المسلمين ثانية ، فما أغنت وفازت بها قداحه ، ولما تمكن فيها سام أهلها سوء العذاب واستخلص اموالهم وأذاقهم وبال أمرهم بما هو معروف . واعتقل القاضي أبا المطرف جعفر بن جحاف ، وعم بالنكبة جميع قرابته وأهله

وطلبه ببال حفيد ابن ذنون ، فلما استصفى جميع ماله من ظاهر وباطن أمر
باضرام النار ، وسبق القاضي أبو المطرف يرسف في قيوده بين اهله وولده ،
وقد حشر الناس من أهل الملتين ، وقال الكنبطور للملأ ما جزاء من قتل
اميره عندكم في شرعكم فصمتوا . فقال : أما نحن فجزاؤه عندنا الاحراق ؛ وأمر
به وبجملته الى تلك النار وقد لفحت الوجوه على المسافة البعيدة ، فضج المسلمون
والنصارى وتضرعوا اليه في ترك الأطفال والعيال إذ لا ذنب لهم فأسعف
الرغبة بعد جهد ومدة ، واحتفر للقاضي أبي المطرف حفرة وأدخل فيها الى
حجزته وسوى التراب حوله وضمت اليه النار ، فلما لفحت وجهه قال :
بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم ضمها الى جسده فاحترق رحمه الله ، ولم يكن
غضبه عليه إلا لاجتهاده في طلب النصر ودفعه إياه بالمطاولة رجاء في
استمساك البلدة للاسلام واستبقاء الكلمة فيها ، وعمد بعد إحراقه إلى الجلة من
أهل بلنسية فثقفهم بحال تفرقة بين سجون الرجال منهم والنساء ، يتجاوب
صراخهم أمام المحلة حتى استأصل جميع ما عندهم وجعل الناس في الضغط
أسرة على طبقاتهم ، وهلك في الثفاف خلق كثير منهم ، رحمهم الله ، في
أخريات السنة .

فہارس الکتاب

فهرست الاعلام والقبائل والأماكن

- أ -

ابراهيم (الشهير بابن تاغيش)

٨٥، ٧٨

ابراهيم بن أبي بكر بن عمر

٢٩، ٢٩، ١٧

ابراهيم بن احمد ٥٨

ابراهيم بن تاشفين ١٨٥

ابراهيم بن ترجوت الصنهاجي ١٧

ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ١٠٦

ابن أبي الخصال ٨٧

ابن الأثير عز الدين ٢٨، ١٢٤

ابن تاشفين : أنظر يوسف بن تاشفين

ابن جحاف (أبو المطرف وأبو أحمد)

١٤٧، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٤، ٣٣، ٣٢

١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨

ابن الجد ٦٤

ابن حديدة ٣١

ابن الحديدي أبو بكر ٣٢

ابن حمادة ٥٨، ٧٤، ٨٣، ٨٨، ٩٦، ٩٨

٩٩

ابن حمد بن أبو القاسم ٥٩، ٦٠

ابن حوقل ١١٤

ابن دحية أبو الخطاب ١٢٣

ابن ذي النون ٣١، ٣٧، ١٥٠

١٥١

ابن رقيب ٢٩

ابن رديمير ٤٠، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٩٣

ابن رزين الحاجب ٣٥

ابن رشد أبو الوليد ٦٤، ٧٢، ٧٤

٩٣، ٧٥

ابن رشيق ١٤٢

ابن رميلة القرطبي أبو العباس ١٣٦

١٤٠

ابن رودة أبو يحيى ٦٦، ٧٨

ابن زجو ٩٩، ١٠٠

ابن زرقون أبو عبدالله ٥٧

ابن زهر أبو العلاء ٤٩، ٦٥، ٨٥

ابن زهر ابو مروان ٦٥ ، ٦٦
ابن الزنر ٥٨
ابن زنجي ١٠٤
ابن زيدون ابو بكر ١٣٢
ابن صمادح ٤٩
ابن الصيرفي : انظر الصيرفي
ابن عائشة ١٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١٤٩ ،
١٥٠
ابن عبد البر ابو عمر ١٤٧
ابن المعجمي ٧٤
ابن عديس ٣٩
ابن العربي ابو بكر ٥٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
٩٤
ابن علقمة ١٤٨
ابن غانية (صاحب مرسية) ٩٣ ، ٩٥
ابن القصيرة ابوبكر ٤٣ ، ٥٧ ، ٦٠ ،
١٣٧
ابن القطان ٢٢ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٨٤ ،
٩٤
ابن القلاس ٧١
ابن المرخي ٥٧
ابن معنصر الزناتي ٥٨
ابن الملجوم ٩٢
ابن المنتصر ١٠٤
ابن منظور ٤٥ ، ٤٩

ابن موسى ١٤٦
ابن ميمون ٧٤ ، ١٠٤
ابن نصر ٣١
ابن هود ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥
ابن واجب (صاحب الأحكام) ٣١
ابن واسينوا ابو بكر ٦١
ابن واسينوا ابو زكريا ١٤٤
ابن ياسين : انظر عبدالله بن ياسين
ابن يملول ٤٠
ابو ابراهيم (الموحدي) ١٠٠
ابو اسحاق ابن دانية ٦١
ابو الاصبع الوزير ١٤٥
أبو بكر (أمير المسلمين) ٧١
أبو بكر (والي اشبيلية) ٧٧
ابو بكر بن ابي يحيى ابراهيم ٣٣ ،
٣٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢
ابو بكر بن الجوهري ١٠٣
ابو بكر بن زيدون : انظر ابن زيدون
ابو بكر بن سوار ٤٧
ابو بكر بن عبد الرحمن ٥٠
ابو بكر بن عقاب ١٤١
ابو بكر بن علي بن يوسف ٦٧ ،
١٠١ ، ١٠٦
ابو بكر بن عمر ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ،
١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ١١١ ،

١٢٨ ، ١٢٩

ابو بكر بن القصيرة : انظر ابن القصيرة

ابو بكر بن محمد الانصاري : انظر

يحيى بن محمد الانصاري

ابو بكر بن مزدلي ١٠٧

ابو حامد الغزالي ٥٩ ، ٦٠ ، ١٢٤

ابو الحسن بن اضحى ٦٧

ابو الحسن شريح بن محمد : انظر

شريح بن شريح

ابو حفص (قائد عبد المؤمن) ١٠٤

ابو حفص بن يوسف بن تاشفين : انظر

عمر بن يوسف

ابو حفص بن توزجين ٧٢

ابو زكريا يحيى بن اسحاق : انظر

يحيى بن اسحاق

ابو زكريا يحيى بن علي : انظر يحيى

ابن علي

ابو الطاهر : انظر تميم بن يوسف بن

تاشفين

ابو عامر الوزير ١٤٥

ابو العباس التطيلي ٦٤

ابو العباس العدوي ١٤٧

ابو عبدالله (ابن اخي يوسف بن تاشفين)

٣٤

ابو عبدالله ابن الحاج ٤٥ ، ١٤٤

ابو عبدالله ابن داود ٥٨

ابو عبدالله بن زرقون : انظر ابن

زرقون

ابو عبدالله ابن عائشة ٥٥

ابو عبدالله بن الفراء ١١٨

ابو عبدالله البوني ٤١

ابو عبدالله محمد بن ميمون : انظر

محمد بن ميمون

ابو عبيد ١١

ابو العلاء بن زهر : انظر بن زهر

ابو علي بن هدبة ٧٣

ابو علي صالح ٦٩

ابو عمران الفاسي ٧ ، ٨

ابو عمر يناله المتوني : انظر يناله

ابو القاسم بن ورد ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٣

ابو محمد البشير : انظر البشير الونشريسي

ابو محمد سير : انظر سير بن علي

ابن يوسف

ابو مروان الباجي ٥٨

ابو مروان الوراق : انظر الوراق

ابو هاشم ١٣٨

ابو الوليد الباجي ١٢٨

ابو يحيى بن رواده : انظر ابن رواده

ابو يعلى ٣٠

اسحاق بن علي بن يوسف ١٠٥، ٩٩

١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦

اسحاق بن ياران ١٧

اسحاق بن ينتان بن عمر ١٠١ ، ١٠٢

اسدال ٢٠

اسنجرو ٩٨

الاسكندرية ١٢٤

اشبيلية ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧

٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٧ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧

٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٠

٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٧

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١

١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٠

اغرنات ٥٦

اغرناطة : انظر غرناطة

أغمت وريكة ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩

٢٤ ، ٢٩ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ١٢٢

١٢٣

أفراغة ٥١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٤٤

أفراك ٨٤

أفريقية ١٠٣

الافضال المتوني ٢٧

اقبال الدولة العامري ١٤٦

اجرسيف ٣٠

احمد بن المستعين عماد الدولة ٥٥

احمد بن خلف التجيبي ٩٣

احمد بن رميلة القرطبي : انظر ابن

رميلة

احمد بن سليمان بن هود : انظر

المقتدر بالله

احمد بن هود : انظر المستعين بالله

الاذفونش ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢

٨٦ ، ٩١ ، ٩٤

الاذفونش بن ردمير ٥٤ ، ٥٥

الاذفونش بن شانجة ٥١

الاذفونش بن فردلند ٤٤ ، ٥٠

٥١ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ١١٤

١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠

١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥

١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩

١٤٣ ، ١٤٧

اراقة بنت فردلند ٥١

الارض الكبيرة ٥٨

ارغون ٤٠ ، ٩٢

ارنبة : انظر ارنيط

ارنيط ٥٣ ، ٨٤

ازكي ١٤

اقليش ٧٣

البونت ٤٠

البيرة ٥٠

المرية ١٤٢ ، ١٤٤

الفنش : انظر الأذفونش

الانيطور ١٤١

الاندلس ١٠ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ،

٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ،

٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ،

٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ،

٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ،

١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨

ايلان ٨١

ايمي تانورت ٩٦

— ب —

باب البيرة ٧٤

باب الرملة ٧٤

باب السلسلة ٩٩ ، ١٠٠

باجة ٨٨ ، ١٣١

بحاية ١٠٣ ، ١٠٣

البحيرة ٧٦ ، ٨٨

البراكي ١٤٥

البرانس (قبائل) ١٠

بربشتر ٥٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥

بربيطة ٧٠

برتغال ٥١

برجه ٦٢

برغواطة ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٢٨

برغوش ٥١

بسطة ١٤١ ، ١٤٢

البشارات ٦٩

البشير الوثريسي ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦

بطرة بن شانجة ٥١

بطليوس ٨٨ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦

البكار ٩٠

بلقي ٥٤ ، ١٤٤

بلنسية ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ،

٤٤ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ،

٨١ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٤١ ،

١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠

بنت ماكسن بن المعز ١٠٠

بنو الحديدى ٣٢ ، ١٤٩

بنو صمادح ١٢٢

بنو طاهر ١٢٢

بنو متكود ١٠٠

بنو نجبة ٧٣

بنو هود ١٢١ ، ١٤٤

بنو وارث ١١

بنو يفران الزناتيون ١٨

بنياسة ٦١

البياسى ١١٥ ، ١١٦

بيت المقدس ٤٥

البندق ٩٩ ، ١٠٠

- ت -

تاجرا ١٠٠ ، ١٢٥

تاجرت بني وابوط ٩٩

تازا ٣٠ ، ١٠٠

تاشفين (والد يوسف) ٥٦

تاشفين (أخو يوسف) ٥٦

تاشفين بن علي بن يوسف ٧٩ ، ٨٠

٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠

٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧

١٢٣ ، ١٢٥

تالدة ١٢٥

تامسنا ١٠ ، ١٥ ، ١٦

تاوررت ٩٤

تأييد الدولة ٤٠

ترجوت بن ورتاسن الصنهاجي ١٧ ، ٦٠

ترياسة ١٤٣

تطيلة ٣٤ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٤٤

تلمسان ٢٩ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ١٠٣

١٠٤ ، ١١١ ، ١٢٦

تيم بن بلقين ١٤٢ ، ١٤٣

تيم بن يوسف (ابو الطاهر) ٤٨ ، ٤٩

٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠

٧٣ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ١٠٦

توزجين بن الحسن ٢٠

تيطاون ٩٩

تينمل ٦٩ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ٩٩

تيونوين ٩٤

- ج -

جبل ايجليز ٦٨

جبل تمسامان ١٠٠

جبل جذميرة ٩٨

جبل القصر ٩٤

جدالة ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ،

٢٠ ، ٢٢

جراوة ١٠ ، ٢٢

جرور الحشمي ١٤٤

جزولة ١٠

جزيرة جربة ٦٢

الجزيرة الخضراء ٤٤ ، ٤٨ ، ١٠١ ،

١١٦ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٤٤

جزيرة طريف ٦٦

جزيرة مليلة ٩٩

جعفر بن عبدالله بن جحاف ٣١

الجعفرية ٥٤

الجلالة ١٣٠

جليقية ٦٢

جنفيسة ٦٨

الجوهر بن سحيم ٨

جيان ٤٩ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٤٢

- ح -

حازم بن داود ٨٣

حسام الدولة ذو الرياستين ٤٠ ، ٤٣

حصن ارنيبول ٧١

حصن الأشرف ٤٠

حصن اقليش ٥٠

حصن روطه ٦٢

حصن شرب ٣١

حصن العقاب ٣١

حصن مسطاسة ٦٠

حمران ٩٢

حميد بن ترجوت الصنهاجي ١٧

حمير بن سبأ ١٢٨ ، ١٢٩

حواء بنت تاشفين ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٥

- خ -

الخير بن خزر الزناتي ٢٧ ، ٢٨

- د -

دانية ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ١٤٦

داود بن عائشة ١٣٨

درعة ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥

درن ١٩

دروقة ٥٤ ، ١٤٤

دكالة ١٩ ، ٧٦

دوناس بن حمامة ٢٨

- ر -

البرتير ٩٨ ، ١٠٣

رجار ٦٧

ردمير بن شانجة ٥٠ ، ٥١ ، ٩١ ، ٩٢

رذريق (صاحب طليطة) ٨٦

الرشيد بن المعتمد ١١٧

ركونة ١٠

رندة ١٤٤

روطة ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦

١٢١

- ز -

الزاوية ٧٢

الزبير بن عمر ٨٧

زغاوة ١٠

زقاق سبتة ١٢١

زلاقة ٨٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٣٠

١٤١

زقاة المغراويين ١٣

زقاة ١٥ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٢ ، ٢٩

٩٨ ، ١١١ ، ١١٢

الزقانيون ١٤

الزهراء ١٣٠

الزهري ٦٥

زيري بن ماخوخ الزقاني ١٠٠

زينب النفزاوية ١٨ ، ١٩ ، ٢١

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠

- س -

سابور ٥١

ساقية هوارة ٤٠

سبتة ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٧٤

٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢١

١٣٣ ، ١٤٤

سجلاسة ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥

٢٢ ، ١١٤ ، ١٢٩

سدراة ١٩

سرقسطة ٣١ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤

٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١

٦٢ ، ٩٥ ، ١٤٤

سطسيف ١٠٣ ، ١٠٤

سعد بن مردنيش ٩٢ ، ٩٥

سلا ٢٦

السليطين (ابن ردمير) ٨٦

سليمان بن هود الجذامي ٥٤

سمورة ٥١

السوس ١٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٤

سيد الدولة ٤٠

سيد الملوك السدراتي ١٠٤

سير بن أبي بكر ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧

١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٤٤

سير بن الحاج ١٢٦

سير بن علي بن يوسف ٤٥ ، ٧٨

٧٩ ، ٨٣ ، ٩٧

- ش -

شاطبة ٣٣ ، ٣٧ ، ٧٢ ، ١٤٧

الشام ١٤٦

شانجه بن أذفونش ٥٠

شانجه بن ردمير ٥١

شانجه بن غرسية ٥٠

شانجه بن فردلند ٥١

شرب ٤٠

الشرف ٨٢ ، ١١٨

شريح بن شريح أبو الحسن ٥٨ ، ٦٥

شريش ٨٨

شقورة ١٤٢

شنت برية ٣٥ ، ٤٠

شتمرية ٤٣

الشنياطي ٣٥ ، ٤٠

- ص -

الصخرتين ١٠٣

صفروي ٩٩

صقلية ٦٧ ، ٦٨

صلب الفتح ١٢٦

صلب الكلب ١٢٥

صنهاجة ٧ ، ١١ ، ١٧ ، ٤٦ ، ١٢٩

الصيرفي ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٨

- ط -

طرطوشة ٤٠ ، ٩٥

طريانة ١٣١

طلبيرة ٤٤ ، ٥٢ ، ٨٠

طلياطة ٢٠٥ ، ١٠٧

طليطلة ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٤ ،

٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٧٣ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٧ ،

١٤٩ ، ١٥٠

طنجة ٧٦ ، ٩٦ ، ٩٩

- ع -

عائشة بنت ياران ١٧

العباس بن يحيى ٢٩

عبد الجليل بن وهبون ١٤٠

عبدالرحمن بن ابي بكر ٧٧

عبد شمس بن وائل بن حمير ٤٦

عبد العزيز بن الإمام

عبد الله بن ابي بكر اللمتوني ٧٨ ،

٨٤ ، ١٠٧

عبد الله بن أسباط ٤٤

عبد الله بن بلكين (بلقين) ١٢٧ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤

عبد الله بن جنونة ٧٩

عبدالله بن حبوس الصنهاجي ١٣٢

عبدالله بن سمجون ٥٨

عبدالله بن عبدالرحمن العراقي ٥٩

عبدالله بن فاطمة ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٣ ،

٥١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ١٠٦

عبدالله بن مزدلي ٦١

عبدالله بن ياسين ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،

٣١ ، ٤٠ ، ١٢٨

عبدالله بن يوسف ١٣٧

عبدالله الرشيد ابو الحسن ١٣٥ ، ١٤٤ ،

عبدالله بن خلف بن ازحن ٤٣

عبد الملك بن المستعين بن هود ٤٣ ،

٥٥

عبد الملك المصمودي ١٤٠

عبد المؤمن بن علي ٧٦ ، ٨٤ ، ٩٤ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨

عبدالله بن آدم ١٣٢

العدوة ٤٢ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٣ ، ٧٨ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢١ ،

١٤٣ ، ١٤٨

علي بن الحاج أبو الحسن ٣٧ ،

٤٢ ، ٤٤

علي بن كنفاط اللمتوني ٥٥

علي بن يحيى بن ترجوت ١٧

علي بن يحيى بن قميم -

علي بن يحيى بن غانية ٦٧

علي بن يوسف بن تاشفين ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

عماد الدولة عبد الملك ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٦

٦٢ ، ١٤٥

عمر بن الحاج اللمتوني (مجزز) ٨٢ ،

١٠٧

عمر بن الخطاب ١١٨

عمر بن سير ابو حفص ٧٣ ، ١٠٦

عمر بن علي بن يوسف ٧٥ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ٩٧ ، ٩٩

عمر بن يحيى ١٢٥

عمر بن يوسف بن تاشفين ابو حفص

٦٥ : ٦٦

عيسى بن يحيى بن ترجوت ١٧

- غ -

غرسية بن شانجة بركة ٥١٠ ٥٠

غرسية بن فردلند ٥١ ، ٥٢

غرناطة ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥

٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧

٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٦

١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣

غشتون ٨١

غليسية ٥١

غمارة ٥٨ ، ٩٩ ، ١٢٥

غياته ٩٩ ، ١٠٠

- ف -

فاس ١٩ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨

٥٩ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٣

٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦

فاض الحسن ١٠١

فاطمة (بنت سير) ٥٦ ، ١٠٥

فاطمة بنت يوسف ١٠٠

الفتح الملقب بالمأمون (ابن المعتد)

١٤٤

الفتوح بن حماسة ٢٨

فج طرودنت ٩٨

فحص البرنس ٢٥

فحص الريحانة ٩٠

فردلند بن شانجة ٥٠ ، ٥١

الفضل بن تاشفين ٣٠

الفنت بن غرسية ٥٠

- ق -

القادر حفيد ابن ذي النون ٣٢ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩

القاسم بن عبد الرحمن بن أبي العافية

٣٠

القائم بأمر الله ٢٨

قبرة ٧١

قرباقة ٧٢

قرطبة ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٦

٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦

٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠

٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠

١٣٢ ، ١٤٤

قشتالة ٥٠ ، ٥١ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١٣٢

١٤٩

قشرش ٩١

لذريق الكبيطور : انظر الكبيطور
لمتونة ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ،
١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ،
٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٣٠ ،
٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ،

١٢٨

المتونيون - انظر لمتونة

لمطة ١٠ ، ١٤ ، ١١٤

لورقة ١٤١

ليون ٥١

لييط ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤٣

- م -

ماخوخ الزناتي ٥٨

مارتلة ١٠٥ ، ١٠٧

ماكسن بن المميز ١٠٠

مالعة ١٤٣

مالك (الامام) ٧٤

مالك بن وهيب ٥٧

المامون بن ذي النون ٥٠ ، ٥١

المتوكل عمر بن الأفتس ١٢٢ ، ١٣٢ ،

١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤

محمد (الرسول صلى الله عليه) ١٠ ،

١٣ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٤٥

القصر ٧٠

قصر الحجر ٢٢

قطرون ٦٦

قليرة (قليرة) ٤٢

قلعة أيوب ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٤٤

قلعة رباح ٨٥

قلعة مهدي بن تبالا ١٩

قلورية ١٤

قمر (أم سير بن علي) ٧٨ ، ٩٧

قمر (أم علي بن يوسف) ١٠١

القنبيطور : انظر الكبيطور

القيروان ٧

- ك -

الكبيطور ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

١٥١

كركال ٧٥

كومية ١٠٠

كيك ٧٥ ، ٨٤

- ل -

لاردة ٤٠ ، ٥٤ ، ٩٥ ، ١٤٤

لبة ١٣١

محمد (ابن أخي أمير المسلمين) ٣٦
 محمد بن أبي بكر اللمتوني ٤٨
 محمد بن ابراهيم اللمتوني ٢٢
 محمد بن اسماعيل بن عباد - انظر
 المعتمد بن عباد
 محمد بن اصبغ ٨٣
 محمد بن تاشفين ٤٠ ، ١٤٢
 محمد بن ترجوت الصنهاجي ١٧
 محمد بن قومرت (المهدي) ٥٩ ، ٦٠ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٤
 ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٢٦
 محمد ابن الحاج ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
 ٦١
 محمد بن سعيد الخزرجي ٥٧
 محمد بن الطلاع ١٣١
 محمد ابن عائشة - انظر ابن عائشة
 محمد بن عباد - انظر المعتمد بن عباد
 محمد بن علقمة ٣١ ، ٣٨
 محمد بن عيسى ٥٨
 محمد ابن فاطمة ٦٣
 محمد بن مزدلي ٦١
 محمد بن معن بن صمادح: انظر المعتصم
 محمد بن ميمون أبو عبدالله ٦٢ ، ٦٦ ،
 ٦٧
 محمد بن يحيى بن ترجوت ١٠٣

محمد بن يحيى بن فانوا ١٠٣
 محمد بن يزول ٨٣
 محمد بن يوسف أبو بكر ٨١
 محمد بن يوسف يدر ٨١
 مدينة سالم ٤٤ ، ٥٤ ، ١٤٤
 مديونة ١٠٣

مراكش ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
 ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
 ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
 ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٦٥ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ،
 ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٦ ،
 ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ،
 ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥
 مرسية ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ،
 ٧٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ،
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩
 المرية ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ،
 ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٠
 مزجة ١٤
 مزدلي بن بانلونكا (بولنكان) ٢٦ ،
 ٢٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٨
 المزمة ١٠٠

معنصر بن حماد ١٩
 المعز بالله ٢٣
 مغيلة ٢٨
 مقاطع ٤٥
 مقبرة بني العباس ٧٤
 المقتدر بالله ابن هود ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٥ ،
 ١٤٦ ، ١٤٥
 مكناسة ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٩٥ ،
 ٩٦
 ملكوس ٨
 ملوية ٢٢
 مليلة ١٠٠
 منانة ٩٦
 منذر بن يحيى ٥٤
 المصـور بن سير بن مسلمة (ابن
 الافطس) ٥٦ ، ٦٤
 منغداد بن عبدالعزيز الزناتي ٢٧
 المهدي : انظر محمد بن تومرت
 مهدي بن تبالا ١٩
 المهديّة ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨
 المؤمن بن المقندر بن هود ٥٥
 موسى ابن الحاج ٤٥
 موسى بن حماد ٦٥
 موسى بن مفروح ٧٦
 موضع القناطير ٢٧

المستعين بالله ابن هود ٤١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٥٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥
 المستنصر بالله تيم بن بلقين : انظر
 تيم بن بلقين
 مسعود بن وانودين ١٣
 مسوفة ١٠ ، ١٤
 المصامدة (المصموديون) ١٠ ، ١٥ ،
 ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٤٨ ،
 ٦٨ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
 مصر ١٤٦
 مطفرة ١٠
 المظفر عبد الله بن بلقين : انظر
 عبد الله بن بلقين
 المظفر بالله محمد بن عبد الله بن
 مسلمة التيجيبي ١٢٢
 المعتصم بن صمادح ١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤
 الممتضد ١١٨
 المعتمد بن عباد ٣٢ ، ٦٢ ، ١٠٥ ،
 ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،
 ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥

ميمون بن المنتصر ١٠٣

- ن -

ناغروت آن والوط ١٠٠

ندرومة ١٠٠

نظام الدولة ٤٠

نقيس ١٢٣

نقوطة ٦٧

النواظر ١٠٠

- ه -

هذيل بن خلف بن أرحن (مؤيد الدولة)

٤٣

هذيل بن عبد الملك ٤٣

هرغة ٦٨

هزيمة ١٥ ، ١٦ ،

هبلانة ١٥ ، ١٩

- و -

واجاج ٨ ، ٩

واجدي بن سير ٧٧ ، ٨٠

وادي آش ٣٦ ، ٧٠ ، ٧٢

وادي أم الربيع ٧٦

وادي بهت ٢٧

وادي قانسيت ١٩

وادي الحجارة ٥٤ ، ٥٦ ، ١٤٤

وادي الزيتون ١٠٣

وادي سبو ٩٩ ، ١٤١

وادي نفيس ١٩

وجدة ١٠٣

الوراق (أبو مروان) ٧٨ ، ٨٠ ،

٩٢ ، ٩٩ ، ١٠١

وريكة ١٥ ، ١٩

وشقة ٥٤ ، ٩٢ ، ١٤٤

وطاط ٢٢

وهران ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦

- ي -

يبرة ٨٨

يحيى بن ابراهيم الجدالي ٧ ، ٨ ، ٩

١٠

يحيى بن أبي بكر بن عمر ١٧ ، ٤٨

يحيى بن اسحاق أبو زكريا ١٠٧

يحيى بن تاشفين أبو بكر ٦١

يحيى بن سير بن أبي بكر ١٠٦

يحيى بن علي أبو زكريا ٦٥

يحيى بن علي ابن الحاج أبو زكريا ٨٠

يحيى بن علي ابن غانية اللتوني (أبو

زكريا) ٦٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩١

يحيى بن عمر بن ابراهيم بن ترجوت

١٧

موضوعات الكتاب

٥	تصدير
٧	(ابتداء امر اللمتونيين)
٩	بعض اخبار عبدالله بن ياسين
١٢	بعض أخبار الأمير أبي بكر زكريا يحيى بن عمر
١٤	ذكر دولة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني
١٧	ذكر نسب أمراء الدولة المرابطية
٢١	ذكر حركة الأمير أبي بكر بن عمر إلى الصحراء
٢١	ذكر ولاية يوسف بن تاشفين ونبذ من أخباره
٢٤	ذكر خلع الأمير أبي بكر بن عمر نفسه
٢٦	ذكر الهدية التي أهداها الأمير يوسف بن تاشفين إلى ابن عمه أبي بكر بن عمر
٢٧	ذكر تسمية يوسف بن تاشفين رحمه الله بأمير المسلمين
٢٩	فتح مدينة تلمسان
٣١	[الكبيطور في بلنسية]
٣١	ثورة القاضي ابن جحاف ببلنسية
٣٢	مقتل القادر حفيد ابن ذي النون
٣٤	ذكر تغلب العدو على بلنسية في هذه السنة
٣٦	ذكر غدر لذريق اللعين لمحنة المسلمين
٣٧	ذكر حرق القاضي أبي أحمد ابن جحاف ...

٤١	ذكر فتح بلنسية وعودها للمسلمين
٤٦	بعض أخبار [يوسف بن تاشفين] على الجملة
٤٨	ذكر دولة أمير المسلمين علي بن يوسف
٤٨	ذكر حركة أمير المسلمين ... من مراکش الى الأندلس
٥٠	بعض أخبار الأذفونش ملك قشتالة أخزاه الله
٥٣	ومن أخبار المستعين بن هود في هذه السنة
	تلخيص التعريف بتاريخ من ملك سرقسطة وبعض
٥٤	أخبار البلاد الشرقية من بني هود رحمهم الله الى هذه السنة
٥٩	ذكر حرق الأحياء وما قال أبو حامد حين بلغه ذلك
٦٥	ذكر ولاية أبي حفص عمر بن يوسف بن تاشفين
٧٣	ذكر التعذيب بالأندلس وبناء الأسوار في هذه السنة
٧٩	ذكر ولاية تاشفين بن علي بن يوسف الأندلس
٩٧	ذكر وفاة سير
٩٧	ذكر ولاية العهد لتاشفين
١٠١	حكاية طريفة
١٠٥	تلخيص التعريف بتاريخ من ولي اشيلية من مشاهير اللتونيين
١٠٩	ملحقات
	الملحق (١)
١١١	أبو يعقوب يوسف بن تاشفين (من وفيات الأعيان)
	الملحق (٢)
١٣٠	الزلافة (عن الروض المعطار)
	الملحق (٣)
١٤١	الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين (عن الحلل الموشية)
١٤٣	الجواز الثالث

الملحق (٤)

١٤٧ قطعة من كتاب لمؤرخ مجهول عن ابن جعاف والسيد

الملحق (٥)

١٤٩ مقتل القادر بن ذي النون في بلنسية (عن أعمال الاعلام)

١٤٩ أيام القاضي أبي أحمد ابن جعاف " " "

١٥٣ فهارس الكتاب